

هشام بن عبد الملك

والدولة الأموية

الدكتور علي عبد الرحمن العمرو


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


هشام بن عبد الملك
والدولة الأموية

الطبعة الثانية
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الدكتور علي عبد الرحمن العمرو

هشام بن عبد الملك
والدولة الأموية

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ
ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

(سورة العلق)

هشـام في ذمـة التاريــخ

ـ كان هشام أحزم بني أمية وأرجلهم

تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٢٨

ـ يقول عبد الله بن علي العباسي :
جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشــــام .

تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٠٣

ـ السواس من بني أمية ثلاثة :
معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك، وخُتمت به (هشام) أبواب السياسة وحسن السيرة.
وكان أبو جعفر المنصور في أكثر أموره وتدبيره وسياسته متبعاً لهشام ابن عبد الملك في أفعالــه .

المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٢١١

ـ كان هشام غزير العقل حليما عفيفا.

ابن طباطبا / الفخري في الآداب السلطانية ص ١٣٢

ـ له سياسة في الملك، وتيقظ في أموره يباشرها بنفسه.

الأربلي / خلاصة الذهب المسبوك ـ مختصر من سير الملوك ص ٢٦

ـ كان هشام رجل بني أمية حزما ورأيا،وكان صاحب سياسة حسنة

الكتبي / فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩

ـ قال أبو جعفر المنصور في حديثه مع بعض أسرته عن خلفاء بني أمية : هشام بن عبد الملك رجل القـوم .

مقدمة ابن خلـدون ص ٢٠٧

ـ له سياسة حسنة، وتيقظ في أموره مع مباشرة الأمور بنفسه.

القلقشندي / مآثر الأناقة في معالم الخلافة جـ ١ ص ١٥٠

ـ ما رأيت أحدا من الخلفاء أكره إليه الدماء، ولا أشد عليه من هشام.

السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠

ـ كان حسن السياسة يقظا في أمره يباشر الأعمال بنفسه، واجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع في خزائن أحد من ملوك بني أمية .

الزركلي / كتاب الأعلام ج ٩ ص ٨٥

ـ كان هشام غزير العقل، حليما، عفيفا، اشتهر بالتدبير وحسن السياسة.

د. حسن إبراهيم حسن / تاريخ الإسلام ج ١ ص ٣٣٣

ـ لا شك أن المؤرخ يخطئ في تصوير هشام إذا ظن أنه كان خليفة لا هم له إلا أمور الإدارة والشؤون الداخلية، على أن هشاما لم يكن جنديا ولكنه لم يكن يرهب الحروب، بل هو واجهها بهمة وبكل الوسائل، وجهز جيوشا كبيرة، ولم يدخر في ذلك الأموال ولا حياة الرجال، وكانت يداه دائما مشغولتين بالمشروعات الحربية في أكثر المواضع تباعداً .

فلهوزن / تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية ص ٣١٥، ٣٢٧

ـ كانت دواوين الخليفة هشام مثال الدقة والعناية في معاملة الرعية ومحاسبة العمال، وكان الخليفة هشام يختار العاملين عليها من ذوي الأمانة والاستقامة والنزاهة .

عمر أبو النصر / الأيام الأخيرة للدولة الأموية ص ١٥١

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فلقد عمرت الدولة الأموية إحدى وتسعين سنة، وتعاقب فيها على منصب الخلافة أربعة عشر رجلا؛ منهم من بقي في منصبه حوالي عشرين سنة، ومنهم من أمضى فيه عدة شهور أو أسابيع فقط، ومنهم من خلف بصماته القوية على تاريخنا الإسلامي، ومنهم من جاء وذهب ثم طوي في زوايا النسيان أو كاد.

ومؤسسو الدول يوضعون عادة على رأس قائمة الرجال ذوي الأهمية في التاريخ ، ومن هذا المنطلق فإنه من الممكن النظر إلى معاوية ابن أبي سفيان (٤١ــ٦٠ هـ) وعبد الملك بن مروان (٦٥ ــ ٨٦ هـ) في مستوى واحد، أو متقارب ، وفي مقدمة الرجال ذوي الأهمية بين خلفاء الدولة الأموية، ذلك لأن معاوية هو الذي أقام الدولة ووضع أسس الكثير من السياسات التي احتذاها من جاء بعده؛ أما عبد الملك فهو المؤسس الثاني لهذه الدولة وهو الذي حقق لها شخصيتها المستقلة، ووفر لها دعائم استقلالها الاقتصادي.

وإلى جانب هذين المؤسسين، يقف ثالث وهو الوليد بن عبد الملك (٨٦ــ٩٦ هـ) وذلك لأنه في عهده حققت الدولة الأموية انطلاقتها الكبرى، وهي الانطلاقة التي تمثلت في الفتوحات العظيمة التي شملت بلاد الأندلس، ومناطق واسعة في شبه القارة الهندية، وفي بلاد ما وراء النهر.

ونتيجة لهذه الفتوحات فقد تغيرت خريطة الدولة الأموية بشكل

جوهري، وبعد الوليد يقف آخر يمكن وضعه في المكانة التالية ذلك هو : هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـــ ١٢٥ هـ) وإن عده بعض المؤرخين في درجة واحدة مع معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان (والد هشام). فالمسعودي يقول : (السواس من بني أمية ثلاثة : معاوية، وعبد الملك، وهشام)[١].

وأهمية هشام ترجع إلى أنه استطاع في خلافته التي استغرقت قرابة عشرين سنة، أن يبتعد بالدولة الأموية عن الانسياق مع عوامل الانهيار التي أخذت في الظهور إبان السنوات العشر السابقة لخلافته، كما أنه أرسى الكثير من النظم والقواعد في الميادين السياسية والإدارية.

نعم إنهم أربعة رجال، كل منهم يشكل معلما بارزا في تاريخ الدولة الأموية، وكل منهم كان له دوره البناء في تاريخ هذه الدولة وفي تاريخنا الإسلامي، ومزيدا من الضوء على هذه الأفكار والحقائق نقول : إن معاوية ابن أبي سفيان قد نجح في سنة ٤١ هـ في الانفراد بالخلافة، وتحقيق الوحدة للدولة الإسلامية بعد فترة من الانقسامات والصراعات، ومن هنا حق للعام المذكور أن يعرف بعام الجماعة[٢].

عمر معاوية في الخلافة ما يزيد قليلا على تسع عشرة سنة[٣]،

---

(١) مروج الذهب : ج ٣ ، ص ٢١١ .

(٢) ويقول ابن سعد في طبقاته الكبرى ج ٧ ص ٤٠٦ــ٤٠٧ : (فكانت ولايته ـــ يعني معاوية ـــ على الشام عشرين سنة أميرا، ثم بويع بالخلافة، واجتمع عليه بعد علي بن أبي طالب فلم يزل خليفة عشرين سنة حتى مات). والطبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٢٤ وخليفة بن خياط في تاريخه أيضا ج ٢ ص ٢١٦ يذكران مدة خلافته تسع عشرة سنة وبضعة أشهر... انظر أيضا الدياربكري ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ج ٢ ص ٢٩١ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ج ٢ ص ٢١٦. تاريخ الطبري : ج ٧ ص ٣٢٤. وقد ذكر ابن سعد في الطبقات : ج ٧ ص ٤٠٦ ـــ ٤٠٧ كما لاحظنا في الحاشية السابقة أن مدة خلافته عشرين سنة، ولكن المرجح أن مدة خلافته لم تبلغ العشرين سنة، وتكاد المصادر تجمع على ذلك.

وطوال هذه الفترة نعمت الدولة الإسلامية بالوحدة التي افتقدتها في السنوات الخمس السابقة على خلافته، ويكفي أن نعرف أنه في هذه الفترة القصيرة شهدت الدولة الإسلامية معركتين مثلتا ذروة الحرب الأهلية : أولاهما معركة الجمل التي دارت رحاها بالقرب من البصرة، وذلك في جمادى الثانية سنة ٣٦ هـ(١) ، وتعتبر هذه المعركة الانشقاق الثاني في جسم الدولة الإسلامية(٢) التي كانت منذ سنوات دولة متحدة ومتماسكة وأيضا قوية تدك قواتها الفاتحة معاقل كسرى وقيصر.

وتتضح أبعاد وخطورة معركة الجمل من حقيقة أن أحد المعسكرين، كان يقاتل تحت قيادة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أما المعسكر الثاني فكان يقاتل تحت زعامة طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ومعهما السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عن الجميع ، كما أنه في هذه المعركة استشهد الكثير من الصحابة الذين قاموا بدور بارز وفعال في إقامة الدولة الإسلامية.

أما المعركة الثانية فهي معركة (صفين) التي دارت رحاها وأحداثها في السنة التالية (سنة ٣٧ هـ)؛ وفي هذه المعركة كان معاوية يحمل لواء المجابهة ضد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما(٣).

وفي ضوء هاتين المعركتين وما أسفرتا عنه يكاد الباحث يقول بقرب انهيار الدولة الإسلامية، ومن هنا كانت قيمة معاوية بن أبي سفيان الذي أعاد للدولة الإسلامية وحدتها، وهيبتها طوال خلافته.

توفى معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ هـ، وخلفه ابنه يزيد الذي عمر

---

(١) للمزيد من المعلومات عن هذه المعركة. اقرأ تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٥٠٨ ــ ٥٤١ .

(٢) أما الانشقاق الأول فإنه يتمثل في الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ .

(٣) تاريخ الطبري : ج ٥ ص ٦٣.

في الخلافة ثلاث سنوات وثمانية أشهر[1] ، وفي هذه الفترة الوجيزة انهار البناء الذي أقامه معاوية أو كاد ، ومما يؤكد هذه الحقيقة أنه من خلال خلافة يزيد ــ على قصرها ــ شهدت الدولة الإسلامية ثلاثة أحداث جسام زلزلت كيانها بعنف وشدة.

أولها : استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه سنة ٦١ هـ، الذي أعلن خروجه على يزيد ، وقد سجل التاريخ على يزيد أنه شن ضد الحسين حفيد الرسول ﷺ حربا غير متكافئة[2] فكانت النتيجة المباشرة استشهاد الحسين، وكثير من أهل بيته[3]، أما النتيجة البعيدة فهي إثارة الحقد والكراهية في نفوس الأغلبية الساحقة ضد الدولة الأموية مما زعزع أركانها.

وثاني الأحداث الجسيمة : انتهاك حرمة المدينة المنورة في وقعة الحرة سنة ٦٣ هـ، ويقول المسعودي عن وقعة الحرة هذه[4] : « فكان ذلك من أعظم الأحداث في الإسلام وأجلها، وأفظعها رزءا بعد قتل الحسين بن علي ».

وثالث الأحداث : انتهاك قوات يزيد حرمة البيت الحرام بمكة

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط : ج ٢ ص ٢٤٨. ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ١٢٥ .

(٢) لم يكن صاحب الحرب مع الحسين بن علي هو يزيد، وإنما كان صاحبها أمير العراق من قبله، وهو عبيد الله بن زياد، والذي لم ينزل على طلب الحسين حينما سأله أحد ثلاثة أمور : إما أن يرجع إلى المكان الذي قدم منه، وإما أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، فيرى يزيد فيه رأيه، وإما أن يسيروه إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شاء فيكون رجلا من أهله، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وطلب منه ابن زياد أن ينزل على حكمه، ولكن الحسين رضي الله عنه أبى ذلك، فقاتله جيش ابن زياد، وقتل هو، وجمع من أسرته، ومن كانوا معه، ولما بعث ابن زياد برأسه إلى يزيد بن معاوية قال يزيد : « أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك ». انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤١٣ــ٤٦٠، وابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ٤٦ــ١٨٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٨٢ــ٤٦٧. ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٤٦ــ٨٢.

(٤) التنبيه والأشراف ص ٢٦٥.

المكرمة، والذي لاذ به عبد الله بن الزبير[1] فما كان من قوات يزيد إلا أن ضربت البيت الحرام بالمنجنيق. ويعتبر كل حدث من هذه الأحداث الثلاثة معول هدم في بنيان الدولة الأموية؛ البنيان الذي أقامه وحافظ عليه معاوية بدهائه وحكمته.

بموت يزيد في ربيع الأول سنة ٦٤ هـ، سقطت الخلافة الأموية، أو كادت ، ويكفي لإبراز هذه الحقيقة أن نعرف أن ابنه معاوية أعلن تنازله عن الخلافة[2]، كما تخلى عن الأمويين واحد من كبار زعمائهم هو عبيد الله بن زياد حاكم العراق، فقد ذكر عنه أنه خطب فنعى يزيد وقال لمستمعيه[3] : (اختاروا لأنفسكم)، بل ويذكر عن مروان بن الحكم أنه كان على وشك إعلان بيعته لعبد الله بن الزبير بالخلافة، لولا أن بعض أنصار الأسرة الأموية دفعوه دفعا بوصفه شيخ بني أمية إلى المناداة بنفسه خليفة، وقد تمت بيعته بهذه الصفة من قبل أنصار بني أمية في ذي القعدة سنة ٦٤ هـ[4].

تعتبر بيعة مروان الخطوة الأولى على طريق إعادة تأسيس الدولة الأموية، وقد عززت هذه الخطوة بسلسلة من الإنجازات التي تم بعضها في عهده، وتم معظمها في عهد ابنه عبد الملك، فقد سجل التاريخ لمروان أنه عقب بيعته حقق انتصارا كبيرا ضد اتباع عبد الله بن الزبير تحت زعامة الضحاك بن قيس؛ وذلك في معركة مرج راهط، ونتيجة لهذه الانتصارات سيطر مروان بلا منازع على بلاد الشام[5]، وفي جمادى الأولى من السنة

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٥٣. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٩٦ـ٤٩٨. ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ١٢٣ـ١٢٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ١٣٠.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٢٥٣.

(٤) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٥٥.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٣٥ ـ ٥٤٠.

التالية ٦٥ هـ نجح مروان في انتزاع مصر، وبعد ذلك بفترة توفي هذا الرجل[١] بعد أن قام بدور له أهميته البالغة في إعادة تأسيس الدولة الأموية .

خلف مروان في الخلافة ابنه عبد الملك الذي سجل له التاريخ أنه نجح في تغيير موازين القوى لصالحه، بعد أن كانت في صالح عبد الله بن الزبير. ومن إنجازاته البارزة في هذا الصدد، انتزاعه العراق من مصعب بن الزبير سنة ٧٢ هـ والتغلب على منافسه عبد الله بن الزبير، والسيطرة على الحجاز في السنة التالية.

هذا بالإضافة إلى أن الدولة الأموية في عهده تصدت بنجاح لفئة الخوارج الذين يشكلون المعارضة الثائرة ضد بني أمية، وقد برز الكثير من القادة الذين وقفوا ضد الخوارج؛ ومنهم المهلب بن أبي صفرة وبنوه[٢]. كما سجل التاريخ لعبد الملك أنه استطاع أن يفرض السيادة الأموية بحزم وقوة على إقليم العراق الذي أقض مضاجع الأمويين كثيراً، حتى في عهد المؤسس الأول معاوية بن أبي سفيان.

وإضافة إلى كل ذلك فقد حقق عبد الملك للدولة الأموية شخصيتها المتميزة والمستقلة البعيدة عن أي نوع من أنواع التبعية، فقد حرر الاقتصاد الإسلامي من رابطة التبعية التي كانت تربطه بالعملة البيزنطية[٣]، كما فرض اللغة العربية على الدواوين التي كانت تقوم عليها الدولة في بلاد الشام.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٧٨.

(٢) الديتوري: الأخبار الطوال ص ٢٧١ ، ٢٧٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٩٥—١٩٩.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ج ٣ ص ٢٧٩. الديار بكرى: تاريخ الخميس في أخبار أنفس نفيس ج ٢ ص ٣١٠.

ومن هذه الانجازات وغيرها يتبين لنا الدور الكبير والرائع الذي قام به عبد الملك في دعم وترسيخ دعائم الدولة الأموية؛ مما أتاح لها أن تنطلق في مجالات العمل الخارجي انطلاقتها الكبرى في عهد ابنه الوليد.

وفي شهر شوال من سنة ٨٦ هـ أصبح الوليد بن عبد الملك على رأس الدولة الأموية، وكانت هذه الدولة آنذاك قد استكملت كل عوامل ثباتها واستقرارها في المجال الداخلي، وبالتالي غدت الفرصة مهيأة للوليد من أجل الانطلاق بالدولة الأموية في المجال الخارجي[١]، وهذا الانطلاق يعيد إلى الأذهان ذكريات السنوات المشرقة من تاريخنا الإسلامي إبان عهد الخليفة عمر بن الخطاب، والسنوات الأولى من عهد خلفه عثمان بن عفان رضي الله عنهما، ويكفي لإبراز روعة الإنطلاقة التي حدثت في عهد الوليد أن تعرف أن جيوش الدولة الأموية أخذت تتوغل في فتوحاتها في ميادين ثلاثة متباعدة غاية البعد، وذلك في وقت واحد على وجه التقريب.

ففي أقصى المغرب الإسلامي كانت شبه جزيرة ايبريا في جنوب غرب أوربا مسرح انطلاق القوات الأموية، وقد تحقق لها في هذا الميدان إنجاز كبير تمثل في السيطرة على القسم الأكبر مما يعرف اليوم بإسبانيا والبرتغال، وقد أصبح هذا الجزء من القارة الأوربية جزءا من الدولة الأموية تحت اسم الأندلس، وقد ظلت الأندلس أرضا إسلامية عدة قرون.

وفي الميدان الثاني الميدان الجنوبي الشرقي فتحت القوات الأموية العديد من المناطق في شبه القارة الهندية، ونتيجة لهذا الفتح انتشر الإسلام في بلاد السند، وفي غيرها، ولا تزال هذه المناطق إسلامية إلى يومنا الحاضر.

وما حدث في الميدان الثاني، حدث نظيره أو قريب منه في

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٤٢٣.

الميدان الشمالي الشرقي أو بلاد ما وراء النهر. وفي إطار الانطلاقة برز العديد من القادة المسلمين، وسجلوا أسماءهم في صفحات المجد والفخار، ففي شبه جزيرة ايبريا برز طارق بن زياد وموسى بن نصير، وفي شبه القارة الهندية برز محمد بن القاسم، وفي بلاد ما وراء النهر برز قتيبة ابن مسلم الباهلي(١).

والذي تعنينا الإشارة إليه هنا، أنه نتيجة لهذه الانطلاقة طرأت تغييرات جوهرية على شكل خريطة الدولة الأموية، وهو الشكل الذي بقي جامدا منذ أواخر عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، كما طرأت تغييرات جوهرية أيضا على خريطة انتشار الإسلام.

على أية حال، فإنه بوفاة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ فترت حركة الفتوح، وأخذت انطلاقة الدولة الأموية تفقد قوة دفعها، وهذا الفتور في حد ذاته كان أحد مظاهر الانحدار في قوة الدولة الأموية، ولم يقيض للدولة الأموية في سنواتها الباقية رجل يضعها على طريق القوة من جديد. وفي الظروف الصعبة التي أخذت تحيط بالدولة الأموية تولى الخلافة هشام ابن عبد الملك (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ). وتبرز أهمية هذا الرجل في أنه استطاع أن يوقف انهيار الدولة، وهو الانهيار الذي بدت معالمه في الظهور بعد وفاة الوليد.

وسوف نبين في بحثنا هذا وضع الدولة الأموية في عهد هشام، وما قام به هذا الرجل من جهود حيال تماسك الدولة، وثبات بنيانها، واستقرارها، وكيف حافظ على توازنها ووقف ببسالة في وجه أعدائها، والحركات المناوئة لها، واستطاع بهمّة ونشاط أن يحافظ على هيبة الدولة، ويصون كرامتها في وقت كانت الأعاصير تعصف بها من كل جانب.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٤٢٤ ــ ٤٩٣. ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٥٢٣ــ٥٩١، ج ٥ ص ٥ــ٨.

حروب مستمرة مع الدول المجاورة، وثورات متعددة في الداخل، وفوق ذلك كله دعوة بني العباس التي ازداد نشاطها وبدأ يستفحل أمرها.

وسوف أتطرق في هذا البحث إلى جوانب من شخصية هشام وصفاته وعلاقاته مع من حواليه.

وأرجو أن أوفق في استجلاء الحقائق، ووضع الأمور في نصابها، ورجل عظيم مثل هشام بن عبد الملك شهد له بحسن السياسة وغزارة الحلم، وروعة التدبير، ودامت خلافته قرابة العشرين عاماً ، حري أن تدرس حياته وأن يؤرخ له.« والله الموفــق »

علي عبد الرحمن العمرو

الفصـــل الأول

ـ الدولة الأمويـة قبيل خلافـة هشــام

ـ حيـاة هشــام المبكـــرة:

١- مـولده ونشـأته
٢- دوره في الدولة الأموية قبل ولاية العهد



الدولة الأموية قبيل خلافة هشام

سبق أن عرفنا أن الدولة الأموية قد وصلت إلى أقصى درجات قوتها في عهد الوليد بن عبد الملك، وقد تمثل هذا المستوى الرفيع من القوة في حركة الفتوحات العظيمة التي ترتب عليها إحداث تغيير جوهري في خريطة الدولة الأموية.

بعد الوليد وقبل هشام مرت فترة على الخلافة بدا واضحاً فيها أن الدولة الأموية أخذت تسير في طريق الضعف.

ففي عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ ــ ٩٩ هـ) فترت حركة الفتوح الإسلامية إلى حد كبير، وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدل على أن الدولة الأموية ابتعدت عن ذروة القوة التي وصلت إليها في عهد الوليد، وإذا كانت قد دارت بعض المعارك في مناطق الحدود، فإنها إذا قيست بتلك المعارك التي دارت في عهد الوليد، تعتبر مجرد مناوشات؛ لأنها لم تسفر عن تغيير ما في شكل خريطة الدولة الأموية.

كما يلاحظ أيضا أن بعض كبار رجال الدولة قد شقوا عصا الطاعة ضدها مع بداية عهد سليمان ؛ فها هو ذا قتيبة بن مسلم الباهلي ـ بطل الفتوحات العظيمة في ميدان ما وراء النهر ـ يتمرد ضد سليمان وخلافته؛ مما ترتب عليه وقوع انقسام بين القوات الإسلامية في هذه المنطقة؛ الأمر الذي كانت له انعكاساته السيئة على قوة وهيبة الدولة الأموية، وتخلُّصُ سليمان من قتيبة يعتبر نجاحا لسليمان، ولكنه ـ في الوقت نفسه ـ خسارة كبيرة للدولة الأموية(١).

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ج ١ ص ٣١٨. تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٠٦ ــ ٥١٦. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٢ ــ ١٩ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ .

هذا عن فاتح ما وراء النهر، أما فاتح المغرب والأندلس موسى بن نصير، فقد بالغ سليمان في إهانته واضطهاده، وقد قتل ابنه عبد العزيز أمير الأندلس، وعرض رأسه على أبيه فقال : « هنيئاً له بالشهادة، قتلتموه صواماً، قواماً»[1].

واتهم سليمان موسى باختلاس أموال الدولة ؛ ولذلك صادر أمواله ونفاه إلى الحجاز حيث عاش بقية حياته في ظروف صعبة[2].

ولم يكن حظ فاتح السند محمد بن القاسم وأتباعه، بأفضل من حظ زميليه موسى بن نصير، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وهكذا، وفي الفترة الأولى من عهد سليمان خسرت الدولة الأموية عددا من كبار رجالها، وبخاصة أولئك الذين كان لهم دور بارز في تحقيق انطلاقتها الكبرى في عهد الوليد.

ومهما تكن المبررات للسياسة التي انتهجها سليمان تجاه هؤلاء الرجال فإن الدلالة تبقى ماثلة: وهي أن الدولة الأموية ابتداء من عهد سليمان أخذت تسير في طريق الضعف والانهيار .

مكث سليمان في الخلافة حوالي أربعة وثلاثين شهرا، وخلفه بعهد منه ابن عمه عمر بن عبد العزيز، الخليفة الصالح. وفي عهده الذي استغرق سنتين وبضعة أشهر (٩٩ ــ ١٠١ هـ) حاول إصلاح بعض الأمور، والرجوع بالحكم ونظمه إلى ما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين، إلا أن مظاهر الضعف في الدولة الأموية تزايدت، وفي مقدمة هذه المظاهر: النقص الكبير الذي طرأ على مالية الدولة نتيجة السياسة العادلة التي سار عليها عمر بن عبد العزيز في التعامل مع من اعتنقوا

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤١٨. أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس ص ٧٩.

الإسلام حديثا؛ إذ أنه رفع عنهم الجزية، فاستغلت هذه السياسة استغلالا سيئا من قبل الكثيرين الذين أرادوا أن يزيحوا عن كاهلهم ما كانوا يدفعونه للدولة، حتى ولو لم يكونوا صادقين في إسلامهم، مما ترتب عليه حرمان الدولة الأموية من بعض الروافد لمواردها المالية(١).

وهناك موضوع آخر خلَّف ظلاله القاتمة على الدولة الأموية؛ ذلك هو الانتقاد الذي وجهه الخليفة عمر بن عبد العزيز لسياسة بعض من سبقوه من خلفاء الأسرة الأموية، فقد زعزع هذا الانتقاد الثقة في نظام الحكم، وفي إنجازاته، وفي الأساس الذي أقيم عليه(٢). كما أن هذا الانتقاد أدى إلى إحداث المزيد من التمزق داخل الأسرة الأموية؛ وذلك لأن معظم أبناء الأسرة الأموية أدركوا أن سياسة الخليفة عمر بن العزيز الإصلاحية ستؤدي إلى حرمانهم من امتيازاتهم التي تمتعوا بها طويلا، ومن ثم عملوا على التخلص منه(٣). وبانتهاء الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله توسعت فجوة الشقاق داخل الأسرة المروانية، وإذا أضفنا إلى ذلك السلبيات التي برزت في عهد سلفه سليمان وضح لنا بجلاء درجة الانحدار الذي كانت تسير فيه الدولة الأموية مع بداية عهد يزيد بن عبد الملك.

يزيد بن عبد الملك هو ثالث الثلاثة الذين تعاقبوا على الخلافة الأموية بين الوليد وهشام، وفي عهد يزيد هذا (١٠١ ــ ١٠٥ هـ) أضيف المزيد من نقاط الضعف إلى ما كان سابقا، فقد بدأ عهده بمحاولة السير على السياسة التي انتهجها عمر بن العزيز، ولكنه بعد فترة وجيزة عدل عن

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥١، ٦٠، ٦١.

(٢) الأربلي: خلاصة الذهبْ المسبوك ص ١٩ ــ ٢٥. الكتبي: فوات الوفيات ج ٣ ص ١٣٤. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٦٧.

(٣) كثير من المصادر تذكر أن عمر بن عبد العزيز قد اغتيل عن طريق السم. انظر : خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٥. الكتبي: فوات الوفيات ج ٣ ص ١٣٤. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٦٧.

ذلك[1]؛ مما أدى إلى فقدان الثقة في الدولة الأموية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أخطر نقاط الضعف في عهد يزيد بن عبد الملك هو يزيد نفسه الذي اشتهر باللهو، وبالتالي الانصراف والابتعاد عن القيام بمهام منصبه الخطير[2].

ومما لا شك فيه أن يزيد بشخصيته هذه قد اختلف اختلافا كبيرا عن شخصيات السابقين من رجال البيت المرواني؛ فهو بلهوه يقدم صورة متناقضة تماما لشخصية سلفيه سليمان بن عبد الملك وعمر بن العزيز، وهو بشخصيته الضعيفة يقدم صورة مناقضة تماما لشخصيات الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه، وبخاصة شخصية أخيه الوليد بن عبد الملك.

وأمر طبيعي أن تنعكس شخصية يزيد على الصورة العامة للدولة، ومن ثم فلا غرابة أن نقول : إن الدولة الأموية في عهد يزيد قد غدت بعيدة كل البعد عما ألفناه عنها في عهود خلفائها السابقين.

ومن العرض السابق يتبين لنا أن الدولة الأموية في سنة ١٠٥ هـ، كانت تقف على مفترق الطرق : فإما أن يتولى أمرها رجل ضعيف الهمة، ولا يحسن قيادها فيسير بها في طريق الانحدار الذي انساقت إليه، وإما أن يقودها رجل يستطيع أن يبتعد بها عن طريق الانهيار ولو مؤقتا، ومن حسن حظ الدولة الأموية أن التطورات تحركت بها في إطار الخيار الثاني، وكان هذا قدر هشام بن عبد الملك.

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨١. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٤٦.

(٢) تجمع غالبية المصادر على القول بأن يزيد بن عبد الملك، قد اشتهر باللهو والمجون. انظر ابن قتيبة: المعارف ص ١٥٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٢—٢٣. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ١٩٦—١٩٧. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص ١٣١. الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٥.



حيـــاة هشـــام المبكـــرة

١ ـــ مولـده ونشأتـه :

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي[١]، وهو عاشر الخلفاء الأمويين، وسابع الخلفاء المروانيين، ورابع أبناء عبد الملك[٢].

ولد بالمدينة سنة ٧٢ هـ[٣] في العام الذي قتل فيه والدُهُ مصعبَ ابنَ الزبير فسماه منصورا؛ تفاؤلا بذلك، إلا أن أمه اسمته باسم أبيها هشام فأقر ذلك، ولم ينكره عليها[٤].

وأم هشام: هي عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وطلقها عبد الملك لحمقها حيث كانت لها تصرفات تدل على الحمق والبله[٥].

والمصادر التي وصلت إلينا لا تحدثنا عن فترة طفولته المبكرة في المدينة[٦] ، ولا عن أسلوب تربيته، وتنشئته، وبعد انتقاله إلى دمشق تربى في أحضان والده أحسن تربية، وترعرع في بيت الحكم والسلطان، ولم

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٩٦.
(٢) يروى : أن عبد الملك رأى حلما في منامه، فسره له سعيد بن المسيب أنه يملك من ولده لصلبه أربعة فكان آخرهم هشاما. انظر الكتبي: فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٨. تاريخ الخلفاء: ص ٢٦٩.
(٣) الزبيري: نسب قريش ص ١٦٣. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٢٣.
(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٥. ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٣٣.
(٥) انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٢٣ــ١٢٤
(٦) ولادة هشام كانت بالمدينة حيث كانت أمه المطلقة تقيم مع أهلها آل مخزوم في المدينة.

تؤثر فيه أبهة الحكم، فنشأ رجلاً عاقلا حليما عفيفا مدبرا سائسا حتى عد من كبار الساسة(١).

والمصادر التي بين أيدينا أيضا لا تحدد تاريخ انتقاله من المدينة إلى دمشق إلا أنه من المرجح أن هشاما قضى فترة مع والده قبل وفاته، وقد توفي والده وهو في دمشق، وكان عمره عند وفاة والده أربع عشرة سنة(٢).

(١) المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١١.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٥١٨.



٢ ـــ دوره في الدولة الأموية قبل ولاية العهد :

لا تمدنا المصادر بمعلومات وافرة عن حياة هشام ودوره السياسي في الدولة الأموية قبل ولايته للعهد، وإن سجل له التاريخ بعض المشاركات الإيجابية في تلك الفترة، حيث قاد في عام ٨٧ هـ، وأثناء خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك، أحد جيوش الدولة الأموية، وغزا به بلاد الروم، وحقق العديد من الانتصارات على الرغم من حداثة سنه(١).

كما أن المصادر تؤكد أن هشاما كان يتطلع إلى تولي الخلافة، وأنه كان من أبرز المعارضين لإسناد الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز(٢)، ونجد في بعض المصادر ما يفيد أن هشامَ بن عبد الملك لم يكن الأمير المرموق قبل أن تسند إليه الخلافة.

وفي هذا الشأن تتحدث المصادر عنه أنه حج مرة بصحبة طائفة من كبار أهل الشام زمن أخيه الوليد، ولم يتمكن من استلام الحجر الأسود لازدحام الناس عليه، ولم يفسحوا لهشام المجال، ولما جاء علي بن الحسين لاستلام الحجر أفسح له الناس، وتمكن من استلام الحجر(٣).

ومرة دعي إلى وليمة أجلس غيره في صدر مجلسها، فأسرها في نفسه، وانتقم من صاحب الوليمة بعد توليته الخلافة(٤).

ولا شك أن القصتين السابقتين، تدلان على أن هشاما لم يكن ذا مكانة سياسية هامة زمن أخويه الوليد، وسليمان، وإلا لأفسح له الناس

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٤٢٩. ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٥٢٨.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٥١ ــ ٥٥٢.
(٣) الأصفهاني: الأغاني ج ١٥ ص ٢٦١.
(٤) القالي: الأمالي ج ١ ص ٥٦.

المجال لاستلام الحجر، ومشت الوفود بموكبه، ولجلس في صدر المجالس مكرما معززا مرهوب السطوة، ومرجوا منه البذل والعطاء. ومثل ذلك ما رواه الطبري[1] : « إن هشاما أُقْطِع أرضا يقال لها دورين، فأرسل في قبضها فإذا هي خراب، فقال لذُوَيْد (كاتب كان بالشام) : ويحك كيف الحيلة ؟ قال : ما تجعل لي ؟ قال : أربعمائة دينار، فكتب دورين وقراها ثم امضاها في الدواوين، فأخذ شيئا كثيرا ».

وهذه الرواية تدل أيضا على أن هشاما لم يكن له أهمية سياسية وسلطة، قبل توليه العهد والخلافة، ولو كان له ذلك لما أقطع أرضا خرابا غير صالحة للزراعة، ولما وقف هذا الموقف الذليل مع كاتب من كتاب الدولة.

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٠٥.

الفصـــل الثانـــي

- هشــام وليـاً للعهـد
- علاقة هشـام بالخليفة يزيد بن عبد الملك
- كيف آلت إليـه الخلافـة
- هشــام والأســرة المروانيــة:

١ ــ هشــام مع أولاده
٢ ــ هشــام مع ولي عهده الوليد بن يزيد
٣ ــ هشــام مع أعضاء الأسرة المروانية

- هشــام وكبـار رجـال دولتـه :

١ ــ الكتــــاب
٢ ــ ولاة الأقاليـم وقـادة الجيش
٣ ــ أمــراء الحـج



هشـــام وليــاً للعهـــد

أشرنا فيما سبق إلى أن هشاما تطلع إلى الخلافة عقب وفاة أخيه سليمان، وكان له من العمر آنذاك حوالي سبع وعشرين سنة، وأنه كان من أبرز المعارضين لتولية عمر بن عبد العزيز الخلافة، ويطلبها لنفسه، إلا أنه حُمِل على البيعة بالقوة، وبعد التهديد بقطع عنقه(١).

وقد مرت فترة عمر بن عبد العزيز دون أن يتحقق لهشام شيء من الاقتراب إلى هذا المنصب، ولكن حدث في عهد يزيد، أن تطورت الأمور بالنسبة لهشام تطورا إيجابياً له أهميته ، فقد أسند إليه أخوه يزيد ولاية العهد ، وقدمه في ذلك على ابنه الوليد(٢)، وجعل الوليد هذا وليا لعهد هشام، وأخذ على هشام العهد ألا يغيره عن ولاية العهد(٣).

أسندت ولاية العهد إلى هشام سنة ١٠٢ هـ(٤) وبذلك يكون هشام قد مكث في منصب ولاية العهد حوالي ثلاث سنوات، لم يسجل له التاريخ فيها إنجازا ذا أهمية، وكان يقيم بعيدا عن دمشق مركز الدولة الأموية، وآثر الرصافة(٥) التي تبعد عن مدينة الرقة أربعة فراسخ(٦).

---

(١) تفصيل القصة في تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٥١ — ٥٥٢.

(٢) ابن الأثير: ، الكامل ج ٥ ص ٩١. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٨٠.

(٣) الزبيري: نسب قريش ص ١٦٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٩١ وربما يكون ذلك في أواخر عام (١٠١ هـ) انظر تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٨٥.

(٥) رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة على طرف البرية، بناها هشام لما وقع الطاعون في الشام. (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٤٧) والرقة تعرف برقة (واسط) وكان بها قصران لهشام بن عبد الملك، وكانا على طريق رصافة هشام، (انظر أيضا ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٦٠).

(٦) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٥. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٤٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥، ص ١٢٤. والفرسخ يساوي ثلاثة أميال (انظر ابن منظور: لسان العرب المحيط ج ٢ ص ١٠٧٣، البستاني. محيط المحيط: ج ٢ ص ١٥٩٠).



علاقة هشام بالخليفة يزيد بن عبد الملك

لم تكن العلاقة بين الاثنين سيئة، على الرغم من أن الخليفة يزيد أظهر في أكثر من مناسبة ندمه لإسناده ولاية العهد لأخيه هشام، وكان يقول كلما نظر إلى ابنه الوليد : « الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك »[1].

ومن فرط خوف يزيد من أن ينكث أخوه العهد لابنه الوليد، أخذ عليه عهدا أن يبقي العهد لابنه[2]، وكان هشام كما أسلفنا يقيم برصافته بعيداً عن دار الخلافة.

وتشير المصادر إلى حدوث خلافات بين الخليفة وولي عهده حول بعض القضايا ولكنها لم تستمر، يقول المسعودي[3] : « وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه ويتمنى موته، ويعيب عليه لهوه، فكتب إليه يزيد : « أما بعد فقد بلغني استثقالك حياتي، واستبطاؤك موتي، ولعمري أنك بعدي لواهي الجناح، أخذم الكف، وما استوجبت منك ما بلغني عنك ».

فأجابه هشام : « أما بعد فإن أمير المؤمنين متى فرغ سمعه لقول أهل الشنآن وأعداء النعم، يوشك أن يقدح ذلك في فساد ذات البين وتقطع الأرحام ، وأمير المؤمنين بفضله، وما جعله الله أهلا له، أولى أن يتغمد ذنوب أهل الذنوب ، فأما أنا فمعاذ الله أن أستثقل حياتك، واستبطىء وفاتك ».

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٩.
(٢) الزبيري: نسب قريش ص ١٦٣.
(٣) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٠٢.

فكتب إليه يزيد : « نحن مغتفرون ما كان منك، ومكذبون ما بلغنا عنك، فاحفظ وصية عبد الملك إيانا، وقوله لنا في ترك التباغي والتخاذل، وما أمر به وحضّ من صلاح ذات البين واجتماع الأهواء فهو خير لك، وأملك بك، وإني لأكتب وأنا أعلم أنك كما قال الأولون :

وإني على أشياء منك تريبني ... قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني ... يمينك فانظر أي كف تبدل
وإن أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل

واستمرت الأمور بين الخليفة ووليّ عهده بين مد وجزر حتى توفي الخليفة يزيد يوم الجمعة ٢٥ شعبان عام ١٠٥ هـ[١].

كيف آلت إليه الخلافة ؟

توفي الخليفة يزيد بن عبد الملك، كما مر بنا في اليوم الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٠٥ هـ[٢]، وجاء البريد لهشام بشارتي الخلافة : (العصا ، والخاتم)، وكان آنذاك مقيما بالرصافة[٣].

ويذكر الطبري أن الخلافة أتته بالزيتونه[٤] بدويرة له هناك[٥]. وهناك جاءه البريد بالعصا والخاتم ــ شارتي الخلافة ــ وسلم عليه بالخلافة[٦].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣١٤ . تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢١ــ٢٢ . ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٢٠

(٢) ويقول المسعودي في مروجه: ج ٣ ص ٢٠٥ : إن وفاة يزيد حدثت يوم الجمعة لخمس بقين من شوال ١٠٥ هـ، وبويع لهشام في اليوم الذي توفي فيه يزيد.

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤.

(٤) الزيتونة : موضع في بادية الشام، كان هشام بن عبد الملك ينزله، فلما عمر الرصافة انتقل إليها فكانت منزله إلى أن مات. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ١٦٣.

(٥) وردت روايات أنه كان يقيم بحمص عندما جاءه الخبر، انظر : تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٨٥ ونحن نرجح إقامته بالرصافة.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٥.

وما لبث هشام أن ركب إلى دمشق، وهناك بويع بالخلافة وذلك في أول رمضان من نفس السنة ١٠٥ هـ وله من العمر أربع وثلاثون سنة[١]. وقيل إن مبايعته بالخلافة تمت في يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان[٢]، أي في اليوم الذي مات فيه أخوه يزيد، وهذا يعني أن البيعة تمت له في الرصافة، ومن المرجح أن البيعة تمت له في دمشق حيث رجالات الدولة وكتابها وأعيانها، وقد فرح الناس باستخلاف هشام لما عرف عنه من عقل وحكمة، ولم يقم في دمشق كما فعل أسلافه من خلفاء بني أمية إنما أقام في الرصافة من أرض قنسرين الواقعة شمال شرق الشام، وتبعد عن الرقة أربعة فراسخ كما مر بنا، وقد سكنها هشام لطيب هوائها وبعدها عن الوباء الذي كثيرا ما حل بدمشق وما حولها، وبنى فيها قصرين سكن فيهما وظل فيها إلى أن توفي[٣].

وقد أفضت الخلافة لهشام في وقت استفحلت فيه الفتن، وكثرت الاضطرابات في الداخل؛ فالخوارج يلتهبون غضبا في أكثر من إقليم، ودعاة بني العباس يعملون في الخفاء لنسف الحكم الأموي، والثورات مشتعلة هنا وهناك، وفوق هذا كله فإن بعض الأمراء والولاة لم يكن همهم سوى تحقيق مطامعهم الذاتية.

فإذا أضفنا إلى ذلك حقيقة أن العلاقات بين الدولة الأموية والدول المجاورة كانت تحكمها الحروب والصراعات، تبين لنا إلى أي مدى كان الوضع متدهورا، وكان الظرف لذلك يتطلب رجلا قوي الشكيمة، ينقذ

(١) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٥. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٥، ابن الأثير. الكامل: ج ٥ ص ١٢٣. العيون والحدائق في أخبار الحقائق: ج ٣ ص ٨٢ (مؤلف مجهول).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٣٣.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٧. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٥. القلقشندي: مآثر الأناقة ج ١ ص ١٥٠. الزركلي: الأعلام ج ٩ ص ٨٥.

السفينة المشرفة على الغرق، ويأخذ بها إلى شاطئ النجاة ، أما وقد تسلم قيادتها الخليفة هشام فلننظر ماذا حقق للدولة؟ وكيف كانت حالة البلاد في عهده ؟ وما هي المنجزات التي تمت أثناء خلافته ؟.

هشـــام والأســرة المروانيــة

١ ـــ مع أولاده

(يقول ابن عبد ربه[١] : « **إن هشام بن عبد الملك خلف ستة عشر ولدا وهم : معاوية[٢]، خلف، مسلمه، محمد، سليمان، سعيد، عبد الله، يزيد، مروان، إبراهيم، يحيى، منذر، عبد الملك، الوليد، قريش، عبد الرحمن** »).

ويذكر اليعقوبي: أن أبناء هشام عشرة فقط[٣] ويقول ابن قتيبة[٤]: « ولد هشام عشرة ذكور ».

وقد اختلفت الروايات في عدد أبناء هشام، وربما يعود ذلك إلى أن بعضهم كان مغمورا، وغير ذي شأن في الدولة، لذلك لم ترد أسماؤهم في بعض الروايات[٥]، ويروي ابن قتيبة[٦]: أن سليمان بن هشام أدرك أبا العباس السفاح فأمنه وأبقاه، وأقعده إلى جنبه ، فقال الشاعر سديف شاعر أبي العباس السفاح، ومولاه :

لا يغـرنك ما ترى من رجـــال   إن تحت الضلـوع داء دويـــا
فضع السيف، وارفع الصوت حتى   لا ترى على ظهرهـــا أمويـــا

فقتله أبو العباس السفاح[٧].

---

(١) العقد الفريد: ج ٤ ص ٤١٥

(٢) معاوية هو أبو عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، والملقب بصقر قريش

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨.

(٤) كتاب المعارف: ص ٣٦٥.

(٥) الكبيسي: عصر هشام ص ٩٠.

(٦) كتاب المعارف: ص ٣٦٥.

(٧) ولا شك أن تصرف هذا الشاعر بإثارة حقد أبي العباس على ابن هشام لهو دليل على كره الموالي للعرب ورغبتهم في الانتقام منهم.

وقد عمل الخليفة هشام على تربية أولاده تربية حسنة، وأحضر لهم الأساتذة والمؤدبين[1]، وكان يقتص من أولاده عندما يعتدون على أحد، ويعاقبهم في حالة ترك الصلاة، أو في حالة ممارسة بعض الأمور غير المحمودة أو الإتيان بتصرفات غير مقبولة[2].

ورغبة من هشام في تدريب أبنائه وإعدادهم للحياة إعدادا جيدا ليتحملوا المسؤولية، كان يسند إليهم بعض المسؤوليات كإمارة الحج، فقد أسند إمارة الحج لكل من أبنائه سليمان ومحمد ومسلمة ويزيد؛ الأول عام ١١٣ هـ، والثاني عام ١١٨ هـ، والثالث عام ١١٩ هـ، والرابع عام ١٢٣ هـ[3].

كما كان هشام يشرك أولاده في الحروب، ويوليهم قيادة بعض الجيوش.

فمعاوية بن هشام قاد الصوائف عشر مرات متصلة[4]، واشترك في قيادة الحروب والغزوات كثير من أولاده، منهم سليمان ومسلمة وسعيد ومحمد وإبراهيم[5].

ولم يسجل التاريخ شيئا يذكر لأبناء هشام وأحفاده بعد سقوط الدولة الأموية سوى حفيده عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (عبد الرحمن

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٤٢ .

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢١٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦١ـــ٢٦٢.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٠ـــ٣٧٧. تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٨٩، ١١٢، ١٣٨، ١٩٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦١ـــ٢٦٢.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤٠، ٥٤، ٦٧، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ١٠٩. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٩٢ـــ٩٣. ابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٥، ١٧١، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٥، ١٩٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٠٩، ١٦٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٦، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٥٩.

الداخل[1]، والذي فر من المشرق بعد قيام الدولة العباسية على انقاض دولة بني أمية، واتجه إلى الأندلس بما يشبه المغامرة، وقد أقام الدولة الأموية هناك.

(١) سمي بالداخل؛ لدخوله الأندلس، ولقب بصقر قريش.

٢ ــ مع ولي عهده الوليد بن يزيد

كانت الأمور تسير بين الخليفة هشام وولي عهده سيرا حسناً ، وكان الوليد مكرما ومعظما ومقربا من هشام كما يقول الطبري، ولم تبرز الجفوة بينهما إلا بعد أن بدأ الوليد ببعض التصرفات التي تدل على سوء الأخلاق، فبدأ هشام بالتغير عليه(١) وحاول خلعه، وتقليد ابنه (مسلمة) ولاية العهد، إلا أنه وإن أجابه بعض القواد إلى ذلك لم تحقق رغبته، حيث رفض الوليد خلع نفسه، كما رفض أن يكون مسلمة بن هشام وليا للعهد من بعده(٢).

والوليد لم يكن من ذوي الأخلاق العالية، ومن ثم فإنه لم يكن مؤهلا لولاية العهد، كما تشير إلى ذلك المصادر، إلا أنه ولي العهد الشرعي وكانت ولاية العهد في الدولة الأموية لا تستند إلى كفاءة الشخص، وقدرته على تحمل المسؤولية، والاضطلاع بالأمور، فقد رأينا بعض الخلفاء يحرصون على تولية أبنائهم ولاية العهد، ويستخدمون لذلك كل الأساليب، بما فيها من ترغيب وترهيب، بغض النظر عن صلاحية هؤلاء الأبناء لهذا المركز الخطير أو عدم صلاحيتهم له، وقد أثرت هذه المشكلة على مستقبل الدولة فيما بعد، فقد كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولي العهد لا يتورع عن تعاطي بعض الأمور المحرمة، وكان هشام ينكر ذلك عليه(٣)، وقد كانت مصلحة الدولة، واستمرار المحافظة على قوتها ومنعتها يستوجبان أن يبادر الخليفة إلى خلعه من ولاية العهد، إن صح ما نسب إليه، وأن يولي من يكون كفئا لولاية أمر المسلمين، وتدبير شؤونهم.

ساءت العلاقة بين الخليفة وولي العهد حتى وصل الأمر بهشام إلى أن يعنف ولي عهده أمام الناس(٤)، ولما اشتد الجفاء بينهما، خرج الوليد

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٩.
(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ٢٠٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦٤.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦٤.
(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٩ــ٢١١.

مع نفر من ذويه وخاصته، ونزل بالأزرق على ماء له بالأردن ، وترك كاتبه عياض بن مسلم عند هشام؛ ليوافيه بما يتجدد من أخبار الدولة وأخبار هشام نفسه، فغضب عليه هشام وضربه وسجنه[1]. وقد قطع هشام ما كان جاريا للوليد من أرزاق، وبعد استقرار الوليد بالأزرق كاتب هشاما لرد ما كان يصرف له، إلا أنه لم يجبه إلى رد ما قطع عنه من المخصصات[2]، وسأله إخراج مؤدبه عبد الصمد بن الأعلى الذي كان يتهمه هشام بأنه هو الذي أفسد أخلاق الوليد فأخرجه[3].

وكتب الوليد لهشام معاتبا على تصرفاته، وطلب منه أن يوفد إليه كاتبه عياض بن مسلم، فلم يسمع لقوله، وظل الوليد مقيما في البرية حتى مات هشام[4]، فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة، قال لأبي الزبير المنذر بن أبي عمر : ما أتت علي ليلة أطول من هذه الليلة عرضت لي هموم، وحدثت نفسي فيها بأمور هذا الرجل ـــ يعني هشاما ـــ الذي أولع بالعبث بي فاركب بنا لنتنفس ، فركبا وسارا ميلين ووقفا على كثيب فشاهدا رجلين مقبلين نحوهما، كان أحدهما مولى لأبي محمد السفياني[5]، فلما قربا نزلا يعدوان حتى قربا من الوليد فسلما عليه بالخلافة فوجم وقال: أمات هشام ؟ فقال أحدهما: نعم، والكتاب معنا من سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل، فقرأ الوليد الكتاب ثم سأل مولى أبي محمد السفياني عن كاتبه عياض، فأخبره أنه لم يزل سجينا حتى مات

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦٥. العيون والحدائق في أخبار الحقائق: ج ٣ (مؤلف مجهول) ص ١١٦ــ١١٧ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢١١. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦٥. كان عمر الوليد حين وفاة والده خمسة عشر عاما.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٦.

(٥) أبو محمد السفياني هو : يزيد بن عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان، انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥٤.

هشام، ولما عرف أن هشاما في حالة النزع أرسل إلى الخزان يقول: احتفظوا بما في أيديكم، فأفاق هشام وطلب شيئا فمنعوه فقال هشام : إنا لله لقد كنا خزانا للوليد[١] .

ومات هشام من فوره، وخرج عياض كاتب الوليد من السجن، فختم أبواب الخزائن وأنزل هشاما من فرشه[٢].

ولما عرف الوليد وفاة هشام أمر بحجز أمواله، وأموال أبنائه ورفاقه إلا مسلمة بن هشام، فإنه كان يكلم والده بالرفق بالوليد، فحفظ له الوليد ذلك وأخلى سبيله، وقد ضيق الوليد الخناق على أصحاب هشام وأعوانه وأنصاره وبعض قادته، وولاته ممن عملوا مع هشام على خلعه من ولاية العهد، وانتقم من الجميع[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢١٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦٦.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢١٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦٦.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢١٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦٧.

٣ ــ مع أعضاء الأسرة المروانيــة

كان الخليفة هشام بن عبد الملك يعتمد على أفراد أسرته، ويولي بعضهم أمورا خطيرة كقيادة الجيوش، وولاية الأقاليم؛ فأخوه مسلمة قاد عدة جيوش(١)، كما ولاه على ولاية أرمينية واذربيجان، وذلك سنة ١١٣ هـ(٢) أما ابن عمه مروان بن محمد(٣)، فقاد هو الآخر عددا من الجيوش الهامة وكانت له انتصارات رائعة في ميادين القتال(٤) كما أسند إليه ولاية أرمينية واذربيجان والجزيرة بعد عزل أخيه مسلمة عنها(٥)، كما ولى أخاه محمدا ولاية مصر(٦) وأسند قيادة إحدى الحملات ضد البيزنطيين إلى أخيه سعيد(٧)، وكان من علو مكانة مسلمة بن عبد الملك وجلال قدره في عهد الخليفة هشام أنه إذا مشى يمشي بموكب(٨).

وكان هشام يفرض الغزو والجهاد على من يأخذ العطاء من بني مروان، ومنهم من يغزو، ومنهم من يُخرِجُ بدلا(٩).

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٥٠ــ٣٥٤ ، ٣٥٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٤ ، ٧١. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٣ــ١٧٤.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٥٨.

(٣) مروان بن محمد تولى الخلافة فيما بعد، وهو آخر خليفة أموي حيث سقطت الدولة الأموية أثناء خلافته.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٦٢ــ ٣٦٤ــ٣٦٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٩، ١٣٩، ١٦٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٠.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٥٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٠، ٩٩، ١٦٠، ١٧٩. ابن الأثير: الكامل: ج ٥ ص ١٧٧ــ١٧٨.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٢٨.

(٧) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٢٥.

(٨) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٢.

(٩) المصدر السابق ج ٧ ص ٢٠٢.

والمصادر التي بين أيدينا لا تمدنا بمعلومات أوسع عن بقية أبناء الأسرة المروانية وأدوارهم في خلافة هشام، ولكن الراجح أن هشاما كان على علاقة طيبة مع معظمهم، وكان يحضر مجالسه عدد من بني مروان، كما أنه زوج بناته لأبناء عمومتهم[1].

(١) الكبيسي: عصر هشام ص ٩٩.



هشـــام وكبـار رجـال دولـته

كان يعاون الخليفة هشام بن عبد الملك في إدارة شؤون الدولة وتدبير أمورها كثير من الرجال الذين كان لهم دور كبير في توجيه سياسة الدولة واتخاذ قراراتها[١].

وكان منهم الكتاب الذين يقومون بعمل الوزراء، ولا يسمون بذلك[٢]، ومنهم ولاة الأقاليم، وقادة الجيش، وأمراء الحج.

١ ــ الكتـــاب

كان كثير من كتاب الخليفة هشام يقومون بعمل الوزراء ولا يتسمون بذلك؛ فمنهم من تولى ديوان الخراج، ومنهم من تولى الرسائل، وآخرون تولوا ديوان الجند، وديوان الصدقة، وديوان الخاصة إلى غير ذلك[٣].

وكان ممن تولى الكتابة لهشام **سعيد بن عمرو بن جبله الأبرش الكلبي** وكان له نفوذ كبير في بلاط الخليفة هشام وتوجيه سياسته؛ يقول الجهشياري[٤] : « وكان يكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة بن الأبرش الكلبي، ويكنى أبا مجاشع، وكان غالباً عليه ».

وهذا الطبري[٥] يسوق رواية مؤداها أن نصر بن سيار والي خراسان، عقد صلحاً مع السند على شروط لم يوافق عليها الخليفة هشام، ولما

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٩٢. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٥٩.
(٢) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٣٧ــ٢٣٨.
(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٥٩ــ٦٧. الكبيسي: عصر هشام ص ٦٦.
(٤) الوزراء والكتاب: ص ٥٩. أيضا انظر تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨.
(٥) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٩٢.

كلمه كاتبه سعيد بن عمر الكلبي عن ذلك وافق على تلك الشروط.

وتقلد **إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب** ديوان الصدقة لهشام، كما ولاه أيضا على ضياعه في الأردن[1]. وكان **جنادة بن أبي خالد** يكتب لهشام على الطرز، واسمه موجود على الثياب الهاشمية[2].

وكان على ديوان الرسائل **سالم بن عبد الرحمن** مولى سعيد بن عبد الملك، وينوب عنه **بشير بن أبي دلجة**[3] ، وكان لسالم قدر عظيم في دولة هشام حتى إنه كان يمشي في موكب هشام ويستوقف الناس ويسألهم عن حاجاتهم ، ويقول الطبري في ذلك[4] : « كان يقدم الرجل الغريب فيسير معه فيقف سالم ويقول : حاجتك ويمنعه أن يسير معه وكان سالم كأنه هو أمّر هشاما ».

وكان من كتاب الخليفة هشام **تاذري بن أسطين** النصراني، وقلده ديوان حمص[5] . ومن ذلك يتضح أن هشاما كان يستعين أحيانا في تسيير شؤون الدولة بأهل الذمة.

وكان على ديوان الخاتم **الربيع بن زياد بن سابور** مولى الحريش.

وكان نقش خاتم هشام : (الحكم للحكيم) ، وأضاف إلى الربيع ديوان الحرس الذي كان يتولاه[6] مولاه نصير .

أما ديوان الخراج فكان يتولاه **أسامة بن زيد** ثم عزله الخليفة هشام وولى عليه **عبيدة بن الحجاب** مولى بني سلول، ثم أسند إليه عملاً آخر

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٦٠ .

(٢) الطرز : البز والهيئة انظر ابن منظور: لسان العرب المحيط ج ٢ ص ٥٨١.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٩، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٦٢. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ١٠٤.

(٤) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٠٢.

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٦٠ .

(٦) تاريخ خليفة بن خياط جـ٢ ص ٣٧٩ ، تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص٣٢٨ ، المسعودي : التنبيه والإشراف ص٢٧٩ .

وكلف بهذا الديوان **سعيد بن عقبة** مولى الحارث بن كعب[1].

وكان على ديوان الخاتم الصغير والخاصة مولاه **اصطخر أبو الزبير**، وكان على الخزائن، وبيوت الأموال **عبد الله بن عمرو بن الحارث**[2].

أما شرطة هشام فكان يتولاها **كعب بن حامد العبسي**، ولمدة ثلاثة عشر عاما، ثم أسند إليه هشام ولاية أرمينية، وأذربيجان.

وولى على شرطته **يزيد بن يعلم بن صخم العبسي**، وكان على حجابة هشام مولاه **غالب بن مسعود**[3].

وفي عهد الخليفة هشام نقلت الكتابة من الفارسية إلى العربية بخراسان، وكان أول من نقلها أحد كتاب هشام في خراسان وهو **إسحاق بن طليق**[4].

٢ ـ ولاة الأقاليم وقادة الجيش

كان ممن يساعد الخليفة هشاما في إدارة شؤون الدولة والمحافظة على أمنها وترابط أجزائها ولاة الأقاليم، والذين يعينون من قبل الخليفة رأسا، وكان لبعضهم صلاحيات كبيرة في تعيين أمراء المناطق التابعة لهم والقضاة، وتجهيز الجيوش[5].

وكان من سلطة الولاة سك العملة، ومن ذلك ما طلبه الخليفة

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٩.

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٧٩ .

(٣) المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٧٩. ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٤ ص ٤٤٥. ويذكر اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ٣٢٨ أن حاجب هشام الحريش مولاه، ولعل واحدا تولى الحجابة بعد الآخر.

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٦٧.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٣٧، ٤٣، ٥١، ٧٠، ٩٩، ١١٣، ١٥٤.

هشام من والي العراق **خالد القسري** من ضرب النقود بواسط، ولما ولي **يوسف بن عمر الثقفي** استمر في سك النقود، وكانت الدراهم الخالدية واليوسفية، من أجود نقود بني أمية، حتى إن أبا جعفر المنصور كان لا يقبل من نقود الأمويين غيرها[1]

ومن الولاة المشهورين الذين لهم تاريخ حافل[2] **خالد بن عبد الله القسري** وأخوه **أسد بن عبد الله القسري، ويوسف بن عمر الثقفي، ونصر بن سيار**[3]، **والجنيد بن عبد الرحمن**[4]، وخال الخليفة؛ **إبراهيم ابن هشام المخزومي**[5]، **وعبيد الله بن الحبحاب الموصلي**[6]، **وبشر ابن صفوان الكلبي**[7]، **وعنبسه بن سحيم الكلبي، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، وعبد الملك بن قطن الفهري، وعقبة بن الحجاج السلولي**[8].

هؤلاء بعض الولاة الذين اعتمد عليهم الخليفة هشام في إدارة شؤون الأقاليم وحماية الحدود ومقاومة الأعداء ، وقد قام كثير من ولاة هشام بقيادة حملات وغزوات هامة، سواء مع الروم، أو مع الترك، أو مع الفرنجة على حدود الأندلس، أو في مواقع أخرى ثبّتت قوة الإسلام

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٥٤ ، ٤٥٥. الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٣٤٢ ، ٣٤٨.ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٥.

(٢) سأكتفي هنا بذكر الأسماء فقط، أما تفصيل دور كل منهم فسوف يكون في فصل لاحق إن شاء الله.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٤. البلاذري: فتوح البلدان ص ٤١٦ــ٤١٧. تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣١٦. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٦.

(٤) تاريخ خليفة: بن خياط ج ٢ ص ٣٧٥. تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣١٦ــ٣١٧.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٩.

(٦) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٥ــ١٩٠.

(٧) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٦.

(٨) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٦، ١٧٤، ١٧٥، ٢٥٠، ٢٥١. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ٢ ص ٢٨. المقري: نفح الطيب ج ٣ ص ١٥، ١٦، ١٨.

والمسلمين، وركزت هيبتهم، ودحرت أعداءهم ، وساعدت في استقرار الدولة الإسلامية(١).

أما قادة الجيوش: فقد كان كثير من أبناء الخليفة هشام يقومون بقيادة الجيوش وخوض المعارك؛ ومنهم **معاوية وسليمان ومسلمة وسعيد ومحمد وإبراهيم**(٢)، وقد قام معاوية بن هشام بقيادة الصوائف عشر سنوات(٣).

كما كان أخو الخليفة هشام **مسلمة بن عبد الملك**، وابن عمه **مروان بن محمد** من أبرز قادة الجيوش، وممن أبلوا بلاء حسنا في سبيل نشر الإسلام ودحر أعدائه والمحافظة على أمن الدولة ورفع كلمتها(٤).

هذا بالإضافة إلى ما كان يقوم به **ولاة الأقاليم** من قيادة للجيوش، وهناك الكثير من الرجال الشجعان الذين اعتمد عليهم هشام في قيادة الجيوش ومقارعة الأعداء نذكر منهم: **عبد الله بن عقبة الفهري، وإسحاق ابن مسلم العقلي، وكلثوم بن عياض القشيري، وعبد الله البطَّال**(٥)، **والوليد بن القعقاع**(٦).

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨ـ٣٢٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤١، ٤٣، ٧٠، ٧١، ٩٩، ١١٣، ١٧٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٩، ١٧٤، ١٨٥، ٢٣٦، ٢٤٠. المقري: ، نفح الطيب ج ٣ ص ١٥، ١٦، ١٨، ١٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٠٩، ١٦٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٩٦،٢٢٨، ٢٤٠، ٢٥٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٩، تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤٠، ٥٤، ٦٧، ٧٠، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ١٠٩، ١٦٠. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ج ٢ ص ٩٢. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٥٥، ١٥٨، ١٧١، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٩٥، ١٩٦.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٧، تاريخ الطبري ج ٧ ص ٥٤، ٧١، ٩٩، ١٣٩، ١٦٠، ابن الأثير ، الكامل ج ٥ ص ١٧٣ ص ١٧٤، ١٤٠.

(٥) اسمه عبد الله أبو الحسين الأنطاكي، انظر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٣.

(٦) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٤، ١٣٩، ١٩١. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٥، ١٥٥، ١٧٣، ٢١٤، ٢٢٨.

٣ ــ أمــراء الحــج[1]

لا شك أن لهذا المنصب أهميته الدينية والسياسية الكبيرة، فأمير الحج يعنى بإدارة أمور الحج، وتدبير شؤونه، ومعالجة المشكلات التي قد تنجم في هذا التجمع الإسلامي الكبير.

ولهذا اقتصرت إمارة الحج على الخليفة هشام أو أحد أبنائه، أو أفراد أسرته، والمقربين منه كخاله **إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي** والي المدينة، ومكه، والطائف[2] ، وخاله الآخر **محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي** الذي أصبح واليا على مكة والطائف بعد أن قصرت ولاية أخيه إبراهيم على المدينة، ثم ضمت إليه المدينة فيما بعد[3].

ومن الأسماء التي ارتبطت بإمارة الحج على عهد هشام[4] :

ــ **إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي** في السنوات: ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣ هـ.

ــ **محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي** في السنوات: ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤ هـ.

ــ **الوليد بن يزيد بن عبد الملك** ولي عهد هشام سنة ١١٦ هـ.

ــ **خالد بن عبد الملك** سنة ١١٧ هـ.

---

(١) أو ما يسمى بالموسم في بعض المصادر، انظر تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ٩٢.

(٤) عن أمراء الحج، انظر تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٦، ٣٧٧. تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٦، ٤٢، ٤٥، ٥٣، ٦٦، ٦٩، ٨٧، ٨٩، ٩٢، ١٠٧. وخليفة بن خياط يسمي إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي بهشام بن إسماعيل المخزومي، والراجح هو إبراهيم بن هشام أخو محمد بن هشام.

– **أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك** سنة ١١٩ هـ.
– **يزيد بن هشام بن عبد الملك** سنة ١٢٣ هـ.

الفصل الثالث

ـ شخصية هشام:

١ ـ صورته، ومظهره
٢ ـ أخلاقه، وسجاياه
٣ ـ عقله، ودهاؤه
٤ ـ تدبيره، وبخله
٥ ـ وفاته

١ ــ صورته ومظهره

كان هشام أبيض، أحول ، سمينا، أكلف، يخضب بالسواد[١].

ويقول المسعودي[٢] : « كان هشام أحول خشنا فظا غليظا ».

ويقول الأربلي[٣] : « كان أحول أبيض يخضب بالسواد منقلب العين ربعة ».

ويقول القلقشندي[٤] : « كان أبيض ربعة جميلا سمينا منقلبا ».

أما ابن تغري بردى فيقول[٥] : « كان هشام جميل الصورة يخضب بالسواد وبعينه حول مع كيس »، وكان هشام يلقب بأحول بني أميه[٦]، وكان يكره أن يوصف بالحول أو يلقب بذلك[٧].

ويقول فلهوزن[٨]: « كان مظهره غير رائع فقد كان أحول شديد انقلاب العين ».

ومن طريف ما يروى عن حول الخليفة هشام واستيائه من ذلك، ما رواه الطبري[٩] من أن خالد بن عبد الله القسري، أمير العراق الذي ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة في أيامه الأخيرة، أرسل إلى هشام بحاد فحدا بين يديه بأرجوزة أبي النجم :

(١) الكتبي: فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٨.
(٢) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢١١.
(٣) الذهب المسبوك: ص ٢٦.
(٤) مآثر الأناقة: ج ١ ص ١٥٠.
(٥) النجوم الزاهرة: ج ١ ص ٢٩٦ .
(٦) المقدسي: البدء والتاريخ ص ٤٩.
(٧) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ٣٨٢ــ٣٨٣. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٧ .
(٨) تاريخ الدولة العربية: ص ٣٣٤.
(٩) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٠٧.

والشمس في الأفق كعين الأحول　　　صفراء قد همت ولما تفعل

فغضب هشام وطرده.

وهذا البيت من قصيدة رجزية للفضل بن قدامة، الملقب بأبي النجم الراجز، وقد انشدها أبو النجم بين يدي الخليفة هشام بن عبد الملك، واستحسنها هشام، وكان يصفق لها حتى وصل إلى :

حتى إذا الشمسُ جلاها المُجتلي　　　بينَ سِمَاطَيْ شَفَقٍ مُرَعْبَلِ

صفراءُ قدْ كادتْ ولمَّا تَفعَل　　　فهي على الأفِقِ كعينِ الأَحْوَلِ

فأمر هشام بوج[1] رقبته، وإخراجه[2].

ونلاحظ أن البيت الأخير اختلف ما بين رواية الطبري ورواية ابن قتيبة بتقديم العجز على الصدر، وتغيير طفيف في أحد شطري البيت، ولكن المعنى واضح في السياقين[3].

---

(١) بوج رقبته : بضرب عنقه. انظر ابن منظور: لسان العرب المحيط ج ٣ ص ٨٧٧، وأنا أستبعد حصول مثل ذلك من هشام.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ٣٨٢ــ٣٨٣.

(٣) ومن طريف ما روي عن الخليفة هشام أنه خرج ذات يوم، فلقي رجلا أعور، فأمر بضربه، وحبسه، فقال الأعور : ما ذنبي ؟ فقال هشام : تشاءمت منك، فقال الأعور : شؤم الأعور على نفسه، وشؤم الأحول على غيره، ألا ترى أني استقبلتك فلم يصبك مني شيء، وأنت استقبلتني فنالني منك السوء، فخجل هشام، ووصله. انظر المالكي: سمط النجوم العوالي ج ٣ ص ٢١١.

وقيل استعرض هشام الجند بحمص، فمر به رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور، فقال هشام: ما حملك على أن تركب فرسا نفوراً ؟ فقال الحمصي: لا والله يا أمير المؤمنين ليس بنفور، ولكنه أبصر حولتك فظن أنك غزوان البيطار، ففر، فقال هشام : تنحَّ، عليك وعلى فرسك لعنة الله. وكان غزوان البيطار رجلا أحول يشبه هشاما في حوله. انظر المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٩. المالكي: سمط النجوم العوالي ج ٣ ص ٢١١.

ونحن نستبعد وقوع ما ورد في الروايتين الأخيرتين، فهشام يوصف بالعقل والحكمة والحلم والحزم ، ومن المستبعد أن يشاغب أعور أو يتشاءم منه، ثم يبادله الأعور التهمة، وصفة الشؤم، كما أنه من غير المعقول أن يكون موقف الحمصي صاحب الفرس النفور مع الخليفة هذا الموقف البعيد عن الأدب واللياقة، والذي، سيجر عليه الكثير من العقوبات، والرواية تشير أن الخليفة أمره بالتنحي، ولعنه ولعن فرسه، وتركه بدون عقاب وهذا أمر بعيد الاحتمال، ولو حصل مثل هذا لنال صاحبه أشد العقوبات.

وكان هشام يرتدي قباء فنك أخضر[1]، ويلبس عمامة ، ومن ذلك ما رواه الجهشياري[2] : « كان هشام يعتم، فقام سعيد[3] ليسوي عمامته فقال هشام : مه، فإنا لا نتخذ الإخوان خولا[4] ».

٢ ـ أخلاقه وسجاياه

كان الخليفة هشام غزير العقل، حليما، عفيفا، صالحا. وقد أورد المسعودي رواية عن عمر بن هاني قال فيها[5] : « خرجت مع عبد الله ابن علي[6] لنبش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح، فانتهينا إلى قبر هشام فاستخرجناه صحيحا ما فقد إلا خورمة أنفه »، وهذا دليل صلاحه وتقواه.

وكان فيه حلم وأناة؛ فقد شتم مرة رجلاً من الأشراف، فقال : أتشتمني وأنت خليفة الله في الأرض، فاستحيا وقال : اقتص مني بدلها ، أو قل مثلها، فقال : إذاً أكون سفيها مثلك، قال : فخذ عوضا، قال : لا أفعل، قال : فاتركها لله، قال : هي لله ثم لك، فقال هشام عند ذلك : والله لا أعود لمثلها[7].

وكان هشام يتابع أولاده، ويهتم بتربيتهم وآدائهم للصلاة جماعة،

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠١. والقباء من اللباس: الذي يلبس وأطرافه مجتمعة، والفنك: جلد يلبس، وهو لفظ معرب وأصله دابة يلبس جلدها فرواً. لسان العرب: ج ١ وج ١٥.

(٢) الوزراء والكتاب: ص ٥٩.

(٣) سعيد هذا: هو كاتب هشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الأبرش الكلبي. انظر الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٥٩.

(٤) خولا: أي خدماً وعبيداً (انظر ابن منظور: لسان العرب المحيط ج ١ ص ٩٢٢ ـ ٩٢٣).

(٥) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٠٧.

(٦) عبد الله بن علي. هو عم أبي العباس السفاح الخليفة العباسي الأول.

(٧) ابن الأثير ، الكامل ج ٥ ص ٢٦٣ــ٢٦٤. ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٩.

ويعاقبهم على تركها ، يقول الطبري[1] : « **تفقد هشام بعض ولده، ولم يحضر الجمعة فقال له : ما منعك من الصلاة ؟ قال : نفقت دابتي، قال : أفعجزت عن المشي فتركت الجمعة ،فمنعه عن الدابة سنة** ».

وكان هشام شديداً فيما يتعلق بالأمور الدينية، ويضرب على يد المخالفين والعابثين بالدين بيد من حديد ، من ذلك ما رواه ابن الأثير[2] « من أن الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك، فأخذه هشام، وأرسله إلى خالد القسري، وهو أميرٌ على العراق، وأمره بقتله، فحبسه خالد ولم يقتله، فبلغ الخبر هشاما، فكتب إلى خالد يلومه، ويعزم عليه أن يقتله، فأخرجه خالد من السجن في وثاقه، فلما صلى العيد يوم الأضحى، قال في آخر خطبته : انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم، فإني أريد أن أضحيَ اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول : ما كلم الله موسى ولا اتخذ إبراهيم خليلا ــ تعالى الله ــ عما يقول الجعد علوا كبيرا، ثم نزل وذبحه ».

وكان هشام يعاقب المنحرفين ويقسو عليهم[3]. كما أنه أمر الأوزاعي الفقيه بمناظرة غيلان الدمشقي لما تكلم بالقدر وخلق القرآن ، ولما عجز غيلان عن الرد على الأوزاعي حكم عليه هشام بالقتل[4].

ويقول ابن طباطبا[5] : « **كان هشام غزير العقل، حليما عفيفا** »، وهذا مما يؤكد صلاحه، وعفة سيرته في حكمه وتصرفه في تدبير شؤون ملكه. ومما ترويه المصادر عن ورعه واعتداله، قصته مع الكاتب ذُويد الذي كان يعمل في ديوان الدولة في الشام، وخدم هشاما لما كان بعيدا

---

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٠٤.
(٢) الكامل: ج ٥ ص ٢٦٣.
(٣) انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٢ــ٢٠٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦١.
(٤) ابن نباته: سرح العيون ص ٢٩١ــ٢٩٢.
(٥) الفخري في الآداب السلطانية: ص ١٣٢.

عن الخلافة والسلطة، وأُقطع أرضا خرابا لا تثمر (دورين)، فاحتال هذا الموظف بإضافة كلمة (قراها) وسجل إقطاع هشام بالدواوين (دورين وقراها)، فلما ولي هشام الخلافة، دخل عليه ذويد فقال هشام : دورين وقراها، والله لا تلي لي ولاية أبدا ، وأخرجه من الشام[1].

وهكذا يبرز الصدق والأمانة، في المحافظة على أموال الدولة ومصالح المسلمين في عدم إسناد الولايات إلا لمن كانت تتوفر فيه شروط العدالة والاستقامة، حيث عرف أن الرجل الذي خان الأمانة وحرف الأوامر لصالح هشام سيكررها مع غيره؛ فهو لا يصلح لتولي عمل من أعمال المسلمين، لذلك طرده هشام على الرغم من خدمته السابقة له في أول حياته.

وقصة اليتيم الذي سجنه قاضي مصر يحيى بن ميمون، ورفع أمره إلى الخليفة هشام ، حيث تأكد لهشام أن القاضي لم ينصفه، فكتب لواليه على مصر الوليد بن رفاعه: « **اصرف يحيى عما تولاه من القضاء مذموما مدحورا ، وتخير لقضاء جندك رجلا عفيفا ورعا تقيا سليما من العيوب ، لا تأخذه في الله لومة لائم** »[2].

وهكذا تبرز عدالة هشام، وإحساسه بآلام شعبه، وحزمه مع ولاته وقضاته ، فها هو ذا قد طرد القاضي لأنه لم ينصف اليتيم، وأكد على الوالي أن يختار قاضيا خاليا من العيوب ، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

ويقول السيوطي[3]: « **كان هشام حازما عاقلا، وكان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ هذا المال من حقه، ولقد أعطى لكل ذي حق حقه** ».

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٥.

(٢) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٣٤١ .

(٣) تاريخ الخلفاء: ص ٢٩٩.

وكان الخليفة هشام حليما حافظا للمعروف، ومن ذلك ما قاله لما بلغه استخفاف خالد بن عبد الله القسري أمير العراق به حيث قال : خرف أبو الهيثم[١]، وأنا حري باحتماله لقديم حرمته، وعظيم حقه.

وكان رحيما يكره الظلم ولا يحب إراقة الدماء، ويتجلى ذلك من موقفه لما قتل زيد بن علي، وابنه يحيى. يقول الكتبي[٢]: « **كان يكره الدماء، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد بن علي وابنه يحيى[٣] ، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد** ». وسوف أورد هنا بعض الروايات التي تدل على صلاح هشام، واعتداله، وتأثره بالمواعظ وإن غلب على بعضها الخيال، إلا أنها في مجملها تعطي الدلالة على ما هدفنا إليه.

أراد الخليفة هشام بن عبد الملك أن يولي إبراهيم بن أبي عبلة خراج مصر فأبى ، فغضب هشام حتى اختلج وجهه، وكان في عينه الحول فنظر إليه نظرا منكرا وقال : لتلينَّ طائعاً ، أو لتلينَّ كارها. فأمسك إبراهيم عن الكلام حتى سكن غضب الخليفة ثم قال : يا أمير المؤمنين أأتكلم ؟ فأذن له بالكلام فقال : إن الله قال في كتابه العزيز : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » فوالله يا أمير المؤمنين ما غضب الله عليهن إذ أبين ولا أكرههن، ما أنا بحقيق أن تغضب عليَّ إذا أبيت وتُكرهني إذا كرهت، فضحك وأعفاه من هذا المنصب[٤].

قال العتبي : « إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذ أقبل

---

(١) أبو الهيثم خالد بن عبد الله القسري.
(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٤٥.
(٣) فوات الوفيات : ج ٤ ص ٢٣٨ . ابن الأثير يذكر في كتابه : الكامل ج ٥ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ أن مقتل يحيى بن زيد حدث عام ١٢٥ هـ في بداية خلافة الوليد بن يزيد .
(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٧١.

إبراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام، حتى قعدا بين يديه، قال الحرسيّ : إن أمير المؤمنين جراني[1] في خصومة بينه وبين إبراهيم . قال القاضي : شاهديك على الجراية. فقال : أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل وليس بيني وبينه إلا هذه الستارة. قال : لا ، لكنه لا يثبت الحق لك إلا ببينة. قال فلم يلبث حتى قعقعت الأبواب وخرج الحرسيّ، وقال هذا أمير المؤمنين، قال : فقام القاضي فأشار له فقعد وبسط له مصلى فقعد عليه هو وإبراهيم، وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ويخفى علينا البعض، قال : فتكلما واحضرت البينة، فقضى القاضي على هشام، فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك، فقال هشام : فقد هممت أن أضربك ضربا ينتشر منه لحمك من عظمك، قال : أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق، قال له : استرها علي يا إبراهيم، قلت : لا ستر الله عليَّ ديني إذاً يوم القيامة، قال : إني معطيك مائة ألف درهم، قال إبراهيم : فسترتها عليه طول حياته ثمنا لما أخذته منه، وأذعتها عنه بعد موته ؛ تزيينا له »[2].

وفي سنة ١٠٦ هـ حج الخليفة هشام بن عبد الملك، ولقي في حجه هذا سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان، وسار إلى جنبه يقول : يا أمير المؤمنين إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين، وينصر خليفته المظلوم، ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن أبا تراب[3]، فإنها مواطن صالحة، وأمير المؤمنين ينبغي له أن يلعنه فيها، فشق قوله على

(١) جراني : وكلني.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٤ ص ٤٤٧ـــ٤٤٨.
(٣) أبو تراب: المقصود به علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

هشام وقال: ما قدمنا لشتم أحد ولا لعنه ؛ قدمنا حجاجا، ثم قطع كلامه[١].

كان هشام قريبا من الضعفاء، مهتما بالإصلاح، ولم يجرؤ أحد معه على ظلامه ، وسلك الجميع معه سبيل الاستقامة، وكان له مكان بالرصافة يجلس فيه بارزا للناس لا يُحجب أحد عنه، ويسمع كلام الجميع وما يدلون به من شكاوى أو ظلامات، ويستمر على هذه الحالة ستين ليلة[٢] يقضيها بردِّ المظالم والأخذ على يد الظالمين من جميع الفئات[٣].

٣ ــ عقلــه ودهــاؤه

لقد وصف الخليفة هشام بالعقل والتدبير، وحسن السياسة حتى قيل: إن السواس من بني أمية ثلاثة: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك، وقد قيل: إن الفضل لثبات دولة بني أمية يعود لهؤلاء فقد اشتهروا بالدهاء والسياسة وقد حكم كل منهم عشرين عاماً تقريبا[٤].

وقد روت المصادر الكثير من دهاء هشام وعقله وحسن سياسته[٥]،

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٠ــ١٣١. الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ ص ١٩٨.

(٢) ربما كان المقصود بقوله ستين ليلة سنويا، أي كل سنة يخصص ستين ليلة للجلوس للناس ولسماع شكاويهم، وإنصاف المظلوم من الظالم.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٨.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١١. زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي ج ٤ ص ١١٨. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٣٣٣.

(٥) انظر تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٣١١. الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٦. الكتبي: فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٨ــ٢٣٩. القلقشندي: مآثر الأناقة ص ١٥. الزركلي: الأعلام ج ٩ ص ٨٥. فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٣١٥ــ٣٣٤.

يقول اليعقوبي[1] : « وكان هشام من أحزم بني أميةَ وأرجلهم » أما المسعودي[2] فيعده من ساسة بني أمية المشهورين، ويقول : « ختمت به أبواب السياسة وحسن التدبير » ،

ويقول الأربلي[3] : « له سياسة في الملك، وتيقظ في أموره يباشرها بنفسه »،

ويقول الكتبي[4] : « كان هشام رجل بني أمية حزما ورأيا، وكان صاحب سياسة حسنة ».

ويقول القلقشندي[5] : « له سياسة حسنة، وتيقظ في أمره مع مباشرته الأمور بنفسه ».

ويقول الزركلي[6]: « كان حسن السياسية، يقظاً في أموره يباشر الأعمال بنفسه.

أما فلهوزن فيقول[7] : « كان هشام بعيد النظر متيقظا طيب السيرة، وأول صفاته أنه كان يعرف كيف ينجح في مشروعاته »؛

كل هذه النصوص وغيرها مما لا حاجة لذكره تدل على حنكة هشام ودهائه وتشهد له بحسن السياسة وضبط الأمور، وكان – إمعاناً في ضبط الأمور، والتأكد من تنفيذ سياسته من قبل الولاة وشمولهم للرعية بالعدل والمساواة – يضع العيون والجواسيس من الثقات للوقوف على

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨.
(٢) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢١١.
(٣) خلاصة الذهب المسبوك: ص ٢٦.
(٤) فوات الوفيات: ج ٤ ص ٢٣٨ــ٢٣٩.
(٥) مآثر الأناقة: ج ١ ص ٢١١.
(٦) الأعلام: ج ٩ ص ٨٥.
(٧) تاريخ الدولة العربية: ص ٣١٥.

أعمال الولاة ومعرفة ما يقوم به المخالفون في جميع أجزاء الدولة[1].

وكان أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس يقتدي بهشام في أكثر أموره وفي سياسته، وتدبير شؤون الدولة[2]. وقال المنصور لما ذكر عنده خلفاء بني أمية : « هشام رجل القوم »[3].

وهذا أمر يعطي للخليفة هشام أهمية كبرى، ووزنا سياسيا عظيما، ما دام داهية بني العباس أبا جعفر المنصور يتبعه في سيرته، ويقتدي به في منهجه وسياسته، ولا شك أن أبا جعفر المنصور صاحب العقل الراجح والدهاء العظيم لم يتبع الخليفة هشاما في سياسته وتدبير شؤون دولته إلا بعد أن فحص سيرته وأسلوبه وسياسته ووجدها تصلح سياسة ومنهجا للدولة العباسية، كما أن إطلاق صفة (رجل القوم عليه) من قبل المنصور تعتبر شهادة عظيمة بكفاءته من رجل عظيم.

٤ ــ تدبيره وبخله

كان الخليفة هشام مدبرا حازما، يحب جمع المال[4]، حتى وصف بالحرص والبخل[5].

ويقول الجاحظ[6] : « كان هشام يقول : ضع الدرهم على الدرهم يكون مالا ».

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٩.
(٢) المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١١.
(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٠٧.
(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. الكتبي: فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٨.
(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٠. الكتبي: فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٨ــ٢٣٩.
(٦) البخلاء: ص ١٥.

ويقول اليعقوبي[١] : « كان هشام من أحزم بني أمية، وأرجلهم وكان بخيلا حسودا ».

ويروي الطبري قصة مؤداها أن أحد موالي هشام طلب أن يزيد بعطائه عشرة دنانير فرفض[٢].

ويقول المسعودي[٣] : « كان هشام يجمع المال، ويعمر الأرض، ويستجيد الخيل والكسي والفرس وعُدَد الخيل ولامتها واصطنع الرجال ».

ويقول ابن طباطبا[٤] : « كان هشام بخيلا شديد البخل إلا أنه كان حليما عفيفا ».

ويقول الكتبي[٥] : « كان يوصف بالحرص والبخل ، وجمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله ».

ويقول خير الدين الزركلي[٦] : « واجتمع في خزائنه (هشام) من المال ما لم يجتمع في خزائن أحد من ملوك بني أمية ».

وربما كان مسك الخليفة هشام للمال وتقيده في الصرف مرده إلى رغبته في المحافظة على أموال المسلمين وتنميتها، وحرص الخليفة هشام في جمع الأموال وصونها وعدم تبذيرها في الصرف في الهبات والجوائز هو لمصلحة الناس، وقد أشار هو لذلك عندما تأمل عقال بن شبه قباءه، وسياق القصة كما يرويها ابن الأثير[٧] : « قال عقال بن شبه : إنني

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨.
(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٠٣.
(٣) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٠٥.
(٤) الفخري في الآداب السلطانية: ص ١٣٢.
(٥) فوات الوفيات: ج ٤ ص ٢٣٨ــ٢٣٩.
(٦) الاعلام: ج ٩ ص ٨٥.
(٧) الكامل: ج ٥ ص ٢٦١. انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠١.

دخلت على هشام بن عبد الملك وعليه قباء فنك أخضر، فوجهني إلى خراسان، وجعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء ففطن، فقال : مالك ؟ قلت : رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء فنك أخضر، فجعلت أتأمل أهذا هو ذاك أم غيره، فقال : هو الله الذي لا إله إلا هو ذاك، مالي قباء غيره ، وأما ما ترون من جمعي هذا المال، وصونه فإنه لكم ».

ويقول الخليفة هشام في أحد المواقف: « **أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل ونكره الإسراف والبخل وما نعطي تبذيرا، ولا نمنح تقتيرا، وما نحن إلا خزَّان الله في بلاده، وأمناؤه على عباده ، فإذا أَذِنَ أعطينا ، وإذا مَنَعَ أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا ولا رددنا سائلا**[١] ».

وكما أسلفنا كان الخليفة هشام شديدا في المحافظة على الأموال وضبطها. وينقل الطبري رواية عن غسان بن عبد الحميد تؤكد ذلك، ومؤدى الرواية : لم يكن أحد من بني مروان أشد نظرا في أمر أصحابه، ودواوينه، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام[٢]. وقد شهد أحد خصوم هشام بصحة وصلاح دواوينه وهو عبد الله بن علي بن العباس، والفضل ما شهدت به الأعداء، وقال: « جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام »[٣].

ومن طريف ما يروى عن بخل الخليفة هشام : أن رجلا أهدى إلى الخليفة طائرين فأعجب بهما، فقال له الرجل : أين جائزتي يا أمير المؤمنين؟، فقال هشام : وما جائزة طائرين ؟، قال : ما شاء أمير المؤمنين،

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٧ ص ١٦٨.
(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٠٣.
(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ٢٠٣. ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٣.

قال : خذ أحدهما فقصد الرجل لأحسنهما وأخذه، فقال له : وتختار أيضا، قال له : نعم والله أختار ، فقال هشام دعه وأمر له بدريهمات(١).

ودخل مرة بستانا له ومعه ندماؤه فطافوا به، وبه كل الثمار ، فجعلوا يأكلون ويقولون : بارك الله لأمير المؤمنين، فقال هشام فكيف يبارك الله فيه وأنتم تأكلونه ، ثم نادى حرسه فقال : اخلعوا شجره، واغرسوا فيه زيتونا حتى لا يأكل منه أحد شيئا(٢).

كتب سليمان بن هشام بن عبد الملك إلى أبيه : إن بغلتي قد عجزت عني، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فعل، فكتب إليه : قد فهم أمير المؤمنين كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك ، وقد ظن أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهدك لعلفها، وأن علفها يضيع ، فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك، ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك(٣).

نظر الخليفة هشام إلى رجل على برذون طخاري(٤)، فقال : من أين لك هذا ؟، قال: حملني عليه الجنيد بن عبد الرحمن، قال : وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة، لقد مات عبد الملك وفي مربطه برذون واحد طخاري، فتنافس فيه ولده حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته(٥).

وقال بعض آل مروان لهشام : أتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان؟، قال: ولم لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف(٦).

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٤. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٠.
(٢) الجاحظ: البخلاء ص ١٥٠. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٠.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٤. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٠ ــ حملانك : أي حملك.
(٤) برذون طخاري: أي عتيق فاره.
(٥) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٥. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١١.
(٦) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٥. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١١، يرى أن الذي قال لهشام هذا الكلام هو أخوه مسلمة بن عبد الملك.

وهذه القصص والروايات يبرز فيها الجانب الخيالي، وبعضها يصعب على الباحث المتقصي الاقتناع به واعتقاد صحته.

وهشام ـــ وإن وصف بالبخل ـــ رجل حسن التدبير أمين على خزائنه، حازم في عمله فارق الدنيا وخزائنه تفيض بالأموال.

ومن هنا نفهم سر إعجاب المنصور به، وقد كان المنصور هو الآخر بخيلا وكان لبخله يعرف بالدوانيقي، وقد سجل التاريخ للمنصور أنه توفي وفي بيت المال فائض كبير.

على أية حال فقد انتهت حياة هشام بمأساة كما يروي ابن الأثير؛ حيث كان عياض كاتب الوليد بن يزيد ولي عهد هشام مسجونا عند هشام لأمور بدرت منه، أشرت إليها في أول البحث حتى حضرت هشاما الوفاة، فأرسل عياض للخزان وقال لهم : احتفظوا بما في أيديكم فأفاق هشام ، فطلب شيئاً فمنعوه ، فقال : إنا لله، كنا خزّانها للوليد.

ومات هشام، وخرج عياض من السجن فختم أبواب الخزائن، وأنزل هشاما عن فرشه، وما وجدوا قمقما يسخن له فيه الماء حتى استعاروه، ولا وجدوا كفنا من الخزائن فكفنه غالب مولاه[1]

وفاتـــــه

توفي الخليفة هشام بن عبد الملك في اليوم السادس من شهر ربيع الثاني[2] سنة ١٢٥ هـ[3] ، وكان موته بمرض الذبحة حسب رواية ابن

(١) الكامل: ج ٥ ص ٢٦٦ــ٢٦٧. انظر أيضا تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨.
(٢) في تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨ ورد أن وفاته لتسع خلون من شهر ربيع الأول من نفس العام.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٠. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦١. الكتبي: فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٨.

الأثير[1]. واختلف في مقدار عمره عند وفاته[2] لكن ما أرجحه أن عمره حين وفاته كان ثلاثا وخمسين سنة حيث أن ميلاده المتفق عليه عند أغلب المؤرخين كان في سنة ٧٢ هـ[3].

وقد اختلف المؤرخون أيضا في تحديد مدة خلافة هشام، واختلافهم يتركز في الأيام والأشهر، أما السنوات فالكل يتفق عليها وهي تسع عشرة سنة[4]، وأنا أرجح أن مدة خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوما، على اعتبار أن خلافة هشام بدأت من يوم وفاة أخيه يزيد بن عبد الملك في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٠٥ هـ، حيث هو ولي عهده، والوريث الشرعي للحكم[5].

---

(١) الكامل: ج ٥ ص ٢٦١.

(٢) قيل ان عمره عند وفاته ٥٢ سنة، وقيل ٥٣ سنة، وقيل ٥٤ سنة، وقيل ٥٥ سنة. انظر تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٠. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦١. ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٩٦.

(٣) الزبيري: نسب قريش ص ١٦٣. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٢٣. الكتبي: فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٨.

(٤) انظر الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٤٦. تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٠. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٦١. القلقشندي: مآثر الأناقة ج ١ ص ١٥١.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢١. ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٣٣.

الفصـــل الرابـــع

الحالة الاقتصادية للدولة في عهد هشام:

- التقسيـم الإداري للدولـة
- سياسـة هشـام الماليـة

أولا : واردات الدولـة :

١ـ من العراق أو ما يعرف بأرض السواد
٢ ـ من خراسـان
٣ ـ من مصـر
٤ ـ من بلاد الشـام
٥ ـ من جهات أخرى

ثانيا : نفقات الدولـة :

١ ـ المشروعـات العامـة
٢ ـ الرواتـب والعطـاء



التقسيـــم الإداري للدولـــة

قبل الدخول في الحديث عن الحالة الاقتصادية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سوف أعطي لمحة موجزة عن التقسيم الإداري للدولة الإسلامية في عهده.

لقد بلغت الدولة الإسلامية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أقصى اتساع لها، وهذه المساحات الشاسعة، والأقاليم المترامية، واللغات المتعددة كانت في حاجة إلى تنظيم وانضباط وسيطرة على أمور الأمن فيها، وتدبير شؤونها؛ لذلك قسمت الدولة الإسلامية إلى ولايات؛ لتركيز السلطة وتسهيل مهمة السيطرة على سير الأمور فيها.

ولا شك أن أنواعاً من التقسيم كانت موجودة قبل عهد هشام، ولكن الحاجة في عهد هشام لتركيز العمل، وضبط الولايات غدت أكثر من ذي قبل؛ لاتساع رقعة الدولة وكثرة أعدائها والمناوئين لها.

أسندت كل ولاية لوال يصرف أمورها ويدير شؤونها، وينوب عن الخليفة في حكمها وإدارتها ، وأحيانا كان يسند أكثر من ولاية لوال واحد، وقد اختلفت الروايات في تحديد عدد الولايات في عهد الخليفة هشام، وقد أورد خليفة بن خياط أن عدد الولايات بلغ أربع عشرة ولاية ذكرها مع ولاتها[1]، أما فيليب حتى فيذكر أن الدولة الإسلامية كانت مقسمة إلى خمس ولايات[2] كما يذكر ذلك أيضا فتحي عثمان [3].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٣ـ٣٧٤.

(٢) تاريخ العرب: ج ٢ ص ٢٩١.

(٣) الحدود الإسلامية البيزنطية: ج ٣ ص ٣٣ـ٣٤، ويقول فيه: كانت الدولة الإسلامية على عهد الأمويين مقسمة إداريا إلى خمس ولايات كبرى هي :

أ ــ الحجاز واليمن ووسط شبه الجزيرة العربية بما في ذلك نجد. =

وما نستنتجه من مصادر التاريخ الإسلامي مثل تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير من خلال تعيين الولاة وعزلهم(١)، أن الولايات الرئيسية في عهد الخليفة هشام كانت ست ولايات هي :

١ ـ العراق، وشرق الدولة الإسلامية بما في ذلك خراسان، وبلاد ما وراء النهر، والسند، وقد يلحق بها شرق الجزيرة العربية في معظم الأحيان.

٢ ـ أرمينية وأذربيجان.

٣ ـ الموصل والجزيرة(٢).

٤ ـ مكة والمدينة، والطائف، وقد يلحق بها اليمن ونجد.

٥ ـ مصر.

٦ ـ أفريقيا والأندلس.

= ب ـ مصر، وتنقسم قسمين أسفل الأرض وأعلى الأرض.

جـ ـ العراق : العراق العربي، والعراق العجمي، وكانا يعتبران ولاية كبيرة يحكمها والي العراق، وحاضرته الكوفة، ويتبعه أيضا خراسان وما وراء النهر، وكان يلي أحدهما عامل من قبل والي العراق، مركزه (مرو)، وكانت البصرة معتبرة ولاية يعين عاملها والي العراق، ويتبع عامل البصرة ولاية البحرين وعمان، وكان يعين عليها عامل من قبله، وكانت السند ولاية تابعة لوالي العراق.

د ـ الجزيرة (شمال العراق) ويتبعها أرمينية واذربيجان، وما يدخل في الدولة الإسلامية من أراضي آسيا الصغرى.

هـ ـ أفريقيا وحاضرتها القيروان، ويتبعها المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى والأندلس.

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٥ـ٢٠٨. الكامل: ج ٥ ص ١٢٤ـ٢٦٠.

(٢) يلاحظ أن الجزيرة أحيانا كانت تلحق بولاية أرمينيا واذربيجان، انظر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٧.



سياسة هشام المالية

كان الخليفة هشام من أكثر الخلفاء عناية بالناحية المالية ، يتفقد الأمور بنفسه، وكان رقيبا دقيقا على عماله في الدخل والصرف، ويحاسب من يخطىء ، أو يتجاوز في صرفه ، أو يبذر أموال الدولة أو يحتجنها حسابا عسيرا لا هوادة فيه، وقد نظم الدواوين، وضبط الحسابات بعناية فائقة، ولذا كانت إدارته دقيقة ومنتظمة[١]، قال غسان بن عبد الحميد قولا نقله الطبري[٢]: « **لم يكن أحد من بني مروان أشد نظرا في أمر أصحابه ودواوينه، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام** ».

فانتظمت ميزانيته، ولم يعد هناك مجال لضياع أي مبلغ مستحق لبيت المال (وزارة المالية حاليا)، وفي الوقت الذي انتظمت فيه موارد بيت المال، كانت النفقات قليلة؛ لأن الخليفة هشاما كان ممسك اليد حسن التدبير، ولم يحصل عجز في ميزانيته[٣].

ويقول المسعودي[٤] : « **كان هشام يجمع الأموال ويعمر الأرض ويستجيد الخيل والكسي والفرس** ».

ويقول الكتبي[٥] : « **كان يوصف بالحرص والبخل، وجمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله** ».

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٣٤. شلبي: التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٩٢.
(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٠٣.
(٣) الجاحظ: البخلاء ص ١٥. تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٨. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٠. الكتبي: فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٨–٢٣٩.
(٤) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢١٠.
(٥) فوات الوفيات: ج ٤ ص ٢٣٨–٢٣٩.

وكانت دواوين الخليفة هشام مثال الدقة والعناية في معاملة الرعية ومحاسبة العمال، وكان الخليفة هشام يختار العاملين عليها من ذوي الأمانة والاستقامة والنزاهة[1].

ويقول عبد الله بن علي بن العباس[2] : « **جمعت دواوين بني مروان، فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام** »، وهذه شهادة عظيمة من أحد خصوم هشام ، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وكتب الخليفة هشام إلى والي العراق خالد بن عبد الله القسري؛ لما أخذ المشرف على ضياع الخليفة هشام في العراق ــ حسان النبطي ــ وضربه بالسياط[3] وقد أوغر صدر الخليفة هشام عليه؛ لفرط الدالة، واحتجان الأموال، وكفر ما أسداه إليه من توليته إياه العراق... « إن أمير المؤمنين آثرك بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم، وهذه البيوت تعلوك وتغمرك، وتسكتك وتتقدمك في المحافل والمجامع عند بدأة الأمور وأبواب الخلفاء » ، واتهمه بإتلاف مال المسلمين والاستعانة بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم، وسلطهم عليهم وقال له: « والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله، وضيعت من أمور المسلمين، وسلطت من ولاة السوء على جميع أهل كور عملك تجمع إليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان، حابسا لأكثره، رافعا لأقله مع مخابث مساويك »[4].

---

(١) أبو النصر: الأيام الأخيرة للدولة الأموية ص ١٥١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٣. ابن الكثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٣ .

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٤٣، ويسمي ابن الأثير المشرف على ضياع هشام في العراق حيان ــ انظر الكامل ج ٥ ص ٢١٩.

(٤) المبرد: الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ٣٩١.

وهذا الكتاب من الخليفة هشام إلى والي العراق خالد القسري الذي لاحظ عليه أخطاء في تصرفه بأموال بيت المال، يدل دلالة واضحة على شدة هشام في المحافظة على بيت المال، ومراقبة ما يرد إليه حتى لا يترك الأمر لمن تسول له نفسه العبث بأموال الدولة والتلاعب بها.

وكان شديد التدقيق على عماله وولاته، دائم المراقبة لهم ومتابعة أعمالهم بالحدود التي تسمح الظروف بها، وسنحاول فيما يلي التعريف بواردات الدولة، ونفقاتها في عهد الخليفة هشام .



أولا : واردات الدولــــة

أهم موارد بيت المال في النظام الإسلامي هي: الزكاة، والجزية، والفيء، والغنيمة بجانب موارد أخرى.

والزكاة أنواع : زكاة الذهب والفضة ، وزكاة السوائم ، وزكاة الزرع والثمار ، وزكاة عروض التجارة، وزكاة المعدن والركاز.

والزكاة مورد عام في الدولة الإسلامية كلها لارتباطه الوثيق بالدين والشريعة الإسلامية(١).

أما الجزية والخراج فالفرق بينهما : أن الجزية ما يدفع عن الرؤوس، والخراج ما يدفع عن الأرض، والجزية تسقط بالإسلام، والخراج يستمر حتى مع الإسلام.

وذكر الماوردي أن الجزية تختلف عن الخراج في ثلاثة أوجه(٢) :

١ ــ الجزية نص والخراج اجتهاد .

٢ ــ أقل الجزية مقدر بالشرع، وأكثرها مقدر بالاجتهاد، والخراج أقله وأكثره مقدر بالاجتهاد .

٣ ــ الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر، وتسقط بحدوث الإسلام، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام.

والغنيمة والفيء يستحصلان من مكاسب الحرب مع الكفار، ويتوقفان بانتهاء الحرب . وسيكون حديثي عن الواردات مجملا لجميع ما يجبى من الأموال دون تمييز بين زكاة، وجزية، وخراج، وفيء وغنيمة.

---

(١) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ج ٣ ص ١١٧.

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٢٦ـــ١٢٧.

١ ـــ من العراق أو ما يعرف بأرض السـواد

يحدد الماوردي : السواد من مدينة الموصل إلى عبادان طولا ، ومن عذيب القادسية إلى حلوان عرضا، وطوله مائة وستون فرسخا[١] وعرضه ثمانون فرسخا، أما العراق فهو في العرض مستوعب لأرض السواد عرضا ويقصر عن طوله في العرف[٢].

وحيث أن السواد قد فتح عنوة ، فإن سكانه كانوا يدفعون الجزية عن رؤوسهم[٣]،والخراج عن أرضهم، ومقدار الجزية دينار على كل رأس، ومُدَّان من القمح، وبعض الزيت والخل، كما يقول القاضي أبو يوسف[٤].

وكان يلي العراق من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري، ودامت ولايته خمسة عشر عاما (١٠٥ــ١٢٠ هـ)، وكان نشيطا، وعهده مستقراً ، وقد وجه اهتمامه للزراعة وعمارة الأرض، وشق الترع، وإقامة القناطر، وحفر نهري الجامع، والمبارك[٥].

وقال الشاعر الفرزدق بمناسبة حفر نهر المبارك[٦] :

أعطى خليفته بقوة خالد ... نهرا يفيض له على الأنهار
إن المبارك كاسمه يسقى به ... حرث السواد وناعم الجبار
وكأن دجلة حين أقبل مدها ... ناب يمد له بحبل قطار

وكان يواجه خالد القسري بعض المتاعب في سبيل تعمير الأرض،

(١) الفرسخ ثلاثة أميال أو اثنا عشر ألف ذراع، انظر ابن منظور: لسان العرب ج ٢ ص ١٠٧٣ . البستاني: محيط المحيط ج ٢ ص ١٥٩٠ .
(٢) الأحكام السلطانية: ص ١٧٣
(٣) هذا بالنسبة لمن لم يسلم منهم.
(٤) الخراج ص ٤١. انظر البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٦٨. الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٧٤.
(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٨٤ــ٢٨٩. الريس: الخراج في الدول الإسلامية ص ٢٣٧ــ٢٣٨.
(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٨٩.

وإقامة القناطر، من ذلك ما أورده البلاذري[1] : « كتب خالد بن عبد الله القسري إلى هشام بن عبد الملك يستأذنه في عمل قنطرة على دجلة، فكتب إليه هشام لو كان هذا ممكنا لسبق إليه الفرس ، فراجعه ، فكتب إليه: إن كنت متيقنا أنها تتم فاعملها. فعملها وأعظم النفقة عليها، ولم يلبث أن قطعها الماء، فأغرمه هشام ما أنفقه عليها »، وهذا يعطي بعدا عن اهتمام هشام بمشروعاته، وسلامة تنفيذها، ومحافظته على أموال الدولة ومجازاة من يهمل أو يتهاون.

ولما نجح خالد في مشروعاته بدأ الغرور يأخذ طريقه إليه ، وكان يقول لابنه زيد: « ما أنت بدون مسلمة بن هشام؛ فإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحد، سكَّرت دجلة ولم يكلف ذلك أحد، ولي سقاية مكة، ولي ولاية العراق »[2].

ولما شعر بقوته، أخذ يلتفت إلى مصالحه الخاصة أكثر من اهتمامه بواجباته تجاه الدولة والخليفة، مما أوغر قلب الخليفة هشام عليه[3].

وقد بلغت غلة أراضي خالد القسري بالعراق عشرين مليون درهم[4]، وكان خالد يبعث بأموال الخراج[5] إلى هشام أقل مما كان يبعثه سلفه عمر بن هبيرة[6]، وقد جبي من العراق في ولاية (ابن هبيرة) مائة مليون درهم سوى طعام الجند وأرزاق المقاتلة.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٨٩

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٤٣.

(٣) المبرد: الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ٣٨٨ـــ٣٩١.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥١ـــ١٥٢.

(٥) المقصود بالخراج هذا هو جميع واردات العراق لبيت المال.

(٦) المبرد: الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ٣٩١.

ويقول الماوردي[1]: « كان ابن هبيرة يجبيه مائة ألف ألف (مائة مليون درهم) سوى طعام الجند، وأرزاق المقاتلة، وكان يوسف بن عمر[2] يحصل منه في كل سنة من ستين ألف ألف إلى سبعين ألف ألف (من ستين مليون درهم إلى سبعين مليون درهم) وفي نفقة البريد أربعة الاف ألف درهم (أربعة ملايين درهم) وفي الطوارق ألف ألف درهم (مليون درهم)، وفي بيوت الأحداث والعوائق[3] عشرة الاف ألف درهم (عشرة ملايين درهم) »، ويكون مجموع ما كان يجبى من العراق في عهد يوسف بن عمر ما بين واحد وتسعين مليون درهم ومائة وواحد مليون درهم .

ونلاحظ من النص السابق أن الماوردي لم يتطرق إلى مقدار الأموال التي جبيت أثناء ولاية خالد القسري (١٠٥ ـــ ١٢٠ هـ) بينما حدد ذلك في ولايتي سلفه ابن هبيرة (١٠٢ ـــ ١٠٥ هـ) وخلفه يوسف بن عمر (١٢٠ ـــ ١٢٦ هـ)، ولا نستطيع التكهن بأسباب ذلك ، ولكن المبرد[4] يشير إلى أن ما كان يبعثه خالد من أموال الخراج إلى هشام أقل مما كان يبعثه سلفه ابن هبيرة، أي أقل من مائة مليون درهم[5] ويمكن أن نعزو انخفاض مستوى ما جبي من الأموال، وأدخل بيت المال أثناء ولاية خالد القسري، إلى أن خالدا أقام كثيرا من المشروعات، فحفر الآبار، وأقام القناطر، واستصلح الأراضي، وهذه تحتاج إلى نفقات كبيرة، وتكلف الشيء الكثير من المال، وهذا يكون خصما مما يجبى من الخراج أو الجزية أو الموارد الأخرى[6].

---

(١) الأحكام السلطانية: ص ١٧٥ـــ١٧٦.

(٢) يوسف بن عمر والي العراق بعد خالد القسري.

(٣) العوائق: العائق الشابة أول ما أدركت (انظر الزمخشري : أساس البلاغة ص ٤٠٨).

(٤) الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ٣٩١.

(٥) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٧٥.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٨٩. المبرد: الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ٣٨٨ - ٣٩١. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥٢.

هذا بالإضافة إلى أن أملاك خالد كانت معفاة من الخراج[1] وكان يبلغ واردها عشرين مليون درهم[2].

ويقول المبرد[3] : « كان خالد يتسلم من الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان[4] حابسا لأكثره، ورافعا لأقله » أي يرسل القليل منه لبيت المال، ويبقى على الكثير منه لحسابه.

ويشير الطبري إلى أن المجموع الكلي لما انكسر من أموال الخراج خلال ولاية خالد للعراق بلغ مائة مليون درهم[5].

وبعد أن ساءت العلاقة بين الرجلين ، قرر الخليفة عزل خالد وتغريمه وحبسه. وكان آخر حادث أن رجلا يقال له فروخ، ويكنى أبا المثنى، كان قد التزم ضياع هشام بنهر الرمان فثقل على خالد أمره، فقال لحسان النبطي : اخرج إلى أمير المؤمنين، وزد على فروخ في الضياع، فزاد عليه مليون درهم، وحاز الضياع لهشام، فصار حسان أثقل على خالد من فروخ، فجعل يضربه ، فبثق حسان البثوق على الضياع، وخرج إلى هشام واتهم خالدا بذلك، وأوعز إلى أحد الخدم أن يبلغ هشاما مقدار غلة خالد ، فلما بلغه بها استغرب هشام ذلك وقال : وكيف لم تخبرني بهذا، وقرر عزله[6].

وهكذا نرى تشدد الخليفة هشام في محاسبة ولاته، وتدقيقه معهم

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٧ ص ٥٧٩.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥٢.
(٣) الكامل في اللغة والأدب: ج ٢ ص ٣٩١.
(٤) النيروز والمهرجان : النيروز أول يوم من السنة الشمسية ومعناه يوم جديد وهو أحد أعياد الفرس، والمهرجان أحد أعياد الفرس أيضا، وهو كلمتان مهر / وجان، تركبت حتى أصبحت كالكلمة الواحدة مهرجان ومعناها محبة الروح، انظر البستاني: محيط المحيط ج ٢ ص ٢٠٥٠.
(٥) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٤٩.
(٦) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٤٢، ١٤٣. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٦١. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٣٩.

في النواحي المالية، وكيف استغرب الخليفة هشام لما عرف مقدار غلة أملاك خالد، ولام الخادم لأنه لم يخبره عن ذلك، ومن ثم قرر عزل خالد، كما أن الخطاب الذي أرسله الخليفة هشام إلى خالد، وأورده المبرد[1] يتضمن عدداً من التهم الموجهة لخالد ومن أبرزها التهم المالية ومن ذلك قوله[2] « مع ما أتلفت من مال الله في المبارك[3] فإنك ادعيت أنك أنفقت عليه اثني عشر ألف ألف درهم (اثنى عشر مليون درهم) والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله، وضيعت من أمور المسلمين ».

وهكذا عزل الخليفة هشام خالدا، وولى بدلا منه يوسف بن عمر الثقفي، وحبس خالد، وطولب بالمبالغ التي احتجنها، وقيل: إن مجموع ما استخرجه يوسف بن عمر منه ومن عماله تسعون مليون درهم[4]، وبقي يوسف بن عمر على ولاية العراق[5] حتى عهد الخليفة الوليد بن يزيد، وقد أشرنا في الصفحات السابقة إلى مقدار ما كان يرسله يوسف إلى الخليفة هشام من الأموال[6]، وكان يوسف بن عمر يرسل الهدايا العينية للخليفة هشام؛ ومن ذلك ياقوتة حمراء أرسلها يوسف إلى الخليفة هشام، يقول حاملها إلى الخليفة : (كاتب يوسف قحذم) إن طرفيها يخرجان من كفي، ومعها حَبَّةُ لؤلؤة أعظم ما يكون الحَب[7].

---

(١) الكامل في اللغة والأدب: ج ٢ ص ٣٨٨ــ٣٩١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٩٠ ــ ٣٩١.

(٣) المبارك: نهر حفره خالد سبقت الإشارة إليه.

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٦٣ــ٦٤.

(٥) من المعروف أن ولاية العراق يتبعها خراسان وبلاد ما وراء النهر.

(٦) يرسل كل سنة من ستين إلى سبعين مليون درهم، ويحتسب بعطاء من قبله من أهل الشام ستة عشر مليون درهم، وفي نفقة البريد أربعة ملايين درهم، وفي الطوارق مليون درهم، وفي بيوت الأحداث والعوائق عشرة ملايين درهم. انظر الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٧٥ــ١٧٦.

(٧) انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٠٧.

وكان جمع الأموال في العراق مسؤولية ولاته، كما أنهم مسؤولون أيضا عن الصرف في حاجات البلاد ونفقاتها، ومن ذلك أعطيات الجند، ونفقات البريد، ورواتب من لديهم من الموظفين إلى غير ذلك.

وكانت ولاية العراق تقدم مبالغ كبيرة لبيت المال (وزارة المالية في الوقت الحاضر) سنويا مما يجلعها في طليعة ولايات الدولة، ومن أسباب ذلك خصوبة الأرض، ووفرة المياه.

وبالنسبة لواردات الجزيرة الفراتية[1] والموصل فلم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا بمعلومات عن خراجها أثناء خلافة هشام، وكما ذكرنا في أول الفصل أن الجزيرة كانت تتبع ولاية أرمينية واذربيجان في بعض فترات خلافة هشام[2]، أما الموصل فإنها كانت على ما يبدو ولاية مستقلة ترتبط رأسا بالخليفة[3] كما أوضحنا.

ويذكر الجهشياري[4]: « إن أخرجة الجزيرة الفراتية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد بلغت أربعة وثلاثين مليون درهم، وخراج الموصل أربعة وعشرين مليون درهم عدا العسل الأبيض ». وليس من المعقول أن تكون الواردات في العهد الأموي (عهد هشام) أقل منها في العصر العباسي الأول، وخاصة أن رقعة الدولة الإسلامية في العصر الأموي كانت أوسع منها في العصر العباسي، كما أن كثرة الداخلين في الإسلام يقلل من وارد الجزية، وهذا في الدولة العباسية أكثر منه في الدولة الأموية؛ نظرا لتقادم

---

(١) الجزيرة الفراتية هي المحصورة بين دجلة والفرات، ويقول الإصطخري : إنها تمتد على الفرات من شمال ملطية بمسيرة يومين شمالا إلى الأنبار جنوبا، وعلى دجلة وأرمينية شمالا إلى تكريت جنوبا. انظر المسالك والممالك: ص ٧١ــ٧٢.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٧.

(٣) الأزدي: تاريخ الموصل ص ٢٢. الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٤. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٢ــ١٣٣. ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٦.

(٤) الوزراء والكتاب: ص ٢٨٥.

بداية انتشار الإسلام، وتفهم الناس لأحكامه، وأهدافه، واستيعابهم لهديه ومعانيه فلابد أن الداخلين في الإسلام في العصر العباسي كانوا أكثر منهم في العصر الأموي، وهذا يؤثر على الوارد من الجزية، وبالتالي على مستوى الواردات لبيت المال.

٢ ـــ من خراســـان

من أهم ما حدث في عهد الخليفة هشام تجدد وضع الجزية عمن أسلم ، ذلك أن هشاما عين واليا على خراسان سنة ١٠٩ هـ هو أشرس بن عبد الله السلمي وكان رجلا فاضلا خيرا، وكانوا يسمونه الكامل، لفضله عندهم[١]، وأرسل أشرس سنة ١١٠ هـ إلى أهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية[٢].

يقول الطبري[٣] : « ذكر أن أشرس قال في عمله بخراسان : أبغوني رجلا له ورع وفضل أوجهه إلى من وراء النهر فيدعوهم إلى الإسلام، فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة، فقال : لست بالماهر في الفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التميمي، فقال أبو الصيداء: أخرج على شريطة أن من أسلم لم تؤخذ منه الجزية؛ فإنما خراج خراسان على رؤوس الرجال، قال أشرس : نعم، قال أبو الصيداء لأصحابه : فإني أخرج، فإن لم يف العمال أعنتموني عليهم، قالوا : نعم، فشخص إلى سمرقند، وعليها الحسن بن أبي العمرَّطه الكندي على حربها وخراجها؛ فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند، ومن حولهم إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس[٤] ، فكتب غوزك[٥] إلى أشرس أن

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٢. الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٩١. زيادة: الدولة الأموية ص ٩٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٤. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٤٠ــ٢٤١.

(٣) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٥٤ــ٥٥.

(٤) سارع الناس في الدخول في الإسلام.

(٥) الحاكم المحلي.

الخراج قد انكسر، فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرَّطه : « إن في الخراج قوة للمسلمين، وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة، إنما دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزية، فانظر من اختتن، وأقام الفرائض، وحسن إسلامه، وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه خراجه ».

ومن النص السابق نلاحظ عدم وضوح المقصود بكلمة (خراج)، فالمعروف أن الخراج يعني ما يدفع عن الأرض، والجزية تعني ما يدفع على الرؤوس[1].

وفيما يبدو أن الفرد بخراسان آنذاك كان يدفع مبلغا واحدا عن رأسه (الجزية)، وعن عمله (الخراج)[2]، سواء كان فلاحا أو غير ذلك، لهذا قال أبو الصيداء في نص الطبري السابق : إنما خراج خراسان على رؤوس الرجال، وفيما يبدو أن كلمة (خراج) هنا تدخل تحتها الجزية وغيرها.

ومهما يكن من أمر، فقد استجاب الناس لدعوة أبي الصيداء، ودخلوا في الإسلام، وأسقطت عنهم الجزية.

ونلاحظ من كتاب أشرس إلى ابن أبي العمرَّطه أنه اقتنع برأي (غوزك)، قال : إن الخراج قوة للمسلمين، وإن من أسلم من أهل السغد هدفهم التخلص من الجزية، وأمره أن ينظر من حسن إسلامه بشروط حددها في الكتاب أن يرفع عنه خراجه، والمقصود في كلمة خراجه هنا فيما يبدو لنا الجزية.

ثم عزل أشرس ابن أبي العمرَّطه عن الخراج دون الحرب، وولّى بدلا منه في ذلك هاني بن هاني، ويساعده في ذلك الأشيحذ، فمنعهم أبو

---

(١) أبو يوسف: الخراج ص ٢٨. البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٦٨.

(٢) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٤٥٥ــ٤٥٦. الكبيسي: عصر هشام ص ٣٠٨.

الصيداء من أخذ الجزية ممن أسلم[1]، ويبدو أن هاني ومساعده شرعا في أخذ الجزية ممن أسلم، ومنعهم أبو الصيداء من ذلك، كما واجهتهما مقاومة عنيفة من الناس، مع أن نص الطبري لا يذكر ذلك صراحة.

ويقول الطبري : « وكتب هاني إلى أشرس أن الناس قد أسلموا، وبنوا المساجد فجاء دهاقين بخارى إلى أشرس فقالوا : ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا[2]،فكتب أشرس إلى هاني والى العمال : خذوا الخراج ممن كنتم تأخذون منه، فأعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا، واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف، ونزلوا على عدة فراسخ من سمرقند، وخرج إليهم أبو الصيداء على رأس جمع من المسلمين لينصروهم»[3].

ويتضح من نص الطبري انزعاج دهاقين بخارى من كثرة من أسلم ، واستعمالهم كلمة عربا بدلا من مسلمين، وتساؤلهم ممن يؤخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا، ويبدو أن هناك أسبابا أخرى وراء انزعاج (غوزك) والدهاقين من كثرة الداخلين في الإسلام، فبالاضافة إلى نقص الواردات رغبتهم بالانفصال ومحافظتهم على مراكزهم التي ستتأثر بلا شك بانتشار الإسلام.

فعزل أشرس ابن أبي العمرّطه من الحرب أيضا، واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي، ويساعده عميرة بن سعد الشيباني ، فلما قدم استدعى أبا الصيداء وثابت قطنه، فحبسهما ورجع أصحاب أبي الصيداء، وضعف أمرهم[4]، وألح هاني والعمال في جباية الخراج، واستخفوا بعظماء العجم والدهاقين، وسلط المجشر عميرة بن سعد على الدهاقين فأقيموا،

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٥. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٤١.

(٢) قصدوا بعرب مسلمين.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٥.

(٤) المصدر السابق: ج ٧ ص ٥٥ــ٥٦.

وخرقت ثيابهم، وألقيت مناطقهم في أعناقهم وأخذوا الجزية ممن أسلم فكفرت السغد وبخارى[1] واستجاشوا[2] الترك وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى نشوب حروب عنيفة بين المسلمين في خراسان وبين الترك وأهل بخارى والسغد[3] وسنتحدث عن ذلك في فصل لاحق.

وفي سنة ١٢٠ عين الخليفة هشام على خراسان نصر بن سيار، وكان ذا كفاءة وهمة عالية، وقد وصف بأنه عفيف مجرب[4]، وقد تابع حروبه فيما وراء النهر، وسجل انتصارات جيدة[5]، ومن أبرز أعمال نصر إعلانه لسياسة جديدة حدد أبعادها في خطبته التاريخية المشهورة[6]، ومن أهدافها أن توضع الجزية عمن أسلم، وأن تؤخذ من المشرك، لهذا رفعت الجزية عن ثلاثين ألف مسلم، ووضعت على ثمانين ألف رجل من المشركين لم تكن تؤخذ منهم، ثم نظم نصر أمر الخراج فصنفه، ووضعه مواضعه، وهكذا أحسن الولاية والجباية فعمرت خراسان في عهده عمارةً لم تعمرها قبله[7].

وفي سنة ١٢٣ هـ صالح[8] نصر أهل السغد على شروط سخية؛ إذ أرسل إليهم يدعوهم إلى الرجوع إلى بلادهم وأعطاهم ما أرادوا، وبذلك أنهى الحرب وتآلف القوم وعاد السلام إلى تلك البلاد، وأجاز الخليفة هشام هذا الصلح.

---

(١) المصدر السابق: ج ٧ ص ٥٦. الريس: الخراج في الدولة الإسلاميةص ٢٤١ــ٢٤٢.

(٢) استجاشوا يقال : جيش فلان جمع الجيوش واستجاشه: أي طلب منه جيشا (انظر الجوهري: تاريخ اللغة وصحاح العربية ج ٣ ص ٩٩٩.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٧١ــ٨٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٧.

(٥) المصدر السابق: ج ٥ ص ٢٣٦ــ٢٤١.

(٦) انظر نص الخطبة في تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٧٣ــ١٧٤.

(٧) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥٨. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٤٢ــ٢٤٣.

(٨) انظر تفصيل الصلح في تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٩٢.

يقول الطبري [1] : « كانت مرو يؤخذ منها مائة ألف سوى الخراج أيام بني أمية » في النص السابق لم يحدد الطبري قيمة هذا المبلغ، أهو درهم أم دينار، ومن المرجح أن المبلغ بالدينار، والدينار يساوي اثني عشر درهما تقريبا، ويكون المبلغ بالدرهم مليونا ومائتي ألف تقريبا، وهذا أقرب إلى رواية صاحب تاريخ الخلفاء والتي سأوردها بعد قليل، وتتضمن أن واردات خراسان كانت عشرين مليون درهم، ومرو هي حاضرة خراسان وأكبر مدنها، وليس من المستبعد أن يكون خراجها مائة ألف دينار.

ويورد أحد المؤرخين لدولة بني أمية رواية عن واردات خراسان في عهد الخليفة هشام، ويذكر أن أشرس بن عبد الله السلمي لما وصل خراسان واليا سنة ١١٠ هـ سأل مرزبان مرو كم خراج خراسان ؟ قال : عشرون ألف ألف درهم (عشرون مليون درهم) فيها ألفا ألف درهم (مليونا درهم) لنفقات الوالي ومؤونته، وثمانية عشر ألف ألف درهم (ثمانية عشر مليون درهم) ما يكتب به إلى أمير المؤمنين، فقال أشرس : اجعل الألفي ألف درهم (مليوني درهم) أيضا لأمير المؤمنين، فقال: إن هذا ليس بوظيفة علينا، وإنما هو شيء تطيب به أنفسنا للولاة، فإن صيرته لأمير المؤمنين وعففت عنه جاءنا بعدك من يأخذ بالعشرين ألف ألف (عشرين مليون درهم) وظيفة، ويطالبنا بالألف ألف درهم (مليون درهم)[2] لمؤونته، فإما أن تأخذها، وإما أن تكف فلا تذكر عنها، فأبى وكتب بذلك إلى هشام فأمر بأن يؤخذ منهم[3].

ومن المستحسن أن نشير إلى أن الواردات لم تكن مقتصرة على المقادير المسجلة في الدواوين فكان الأفراد يدفعون هدايا النيروز

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٧٣ــ١٧٤.

(٢) ولعل هناك خطأ في النقل والمقصود ألفا ألف درهم (أي مليوني درهم).

(٣) تاريخ الخلفاء (مجهول المؤلف): ص ٤٢٦.

والمهرجان وغيرها، ويذكر الطبري أن عامل هرات وخراسان إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي، ودهقان هرات قدما على أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان فقدما بهدية قدرت بمليون درهم، وكان فيما قدما به تمثالان لقصرين أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وأباريق من ذهب وفضة، وصحان من ذهب وفضة[1].

٣ ــ من مصـــــر

أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك في بداية خلافته عبيد الله بن الحبحاب السلولي واليا على خراج مصر، وأوصاه بالجد في العمارة[2]، وجعله محل ثقته؛ لدرجة أنه عزل واليين في مصر هما الحر بن يوسف ، وحفص بن الوليد، لمغاضبتهما لابن الحبحاب الذي شكاهما إلى هشام فعزلهما[3]، وأوكل الخليفة هشام اختيار من يخلفهما على العمل إلى صاحب خراجة بمصر ابن الحبحاب، فاختار عبد الملك بن رفاعة[4]، ولا شك أن هذا يعطي دلالة على مدى ثقة الخليفة بابن الحبحاب.

وكان ابن الحبحاب قد كتب للخليفة هشام أثناء ولاية الحر بن يوسف أن أرض مصر تحتمل الزيادة، فزاد على كل دينار قيراطاً (أي نسبة ١/٢٠) وكان ذلك من أسباب انتقاض الأقباط وثورتهم، وكان مركزهم في قرى الحوف الشرقي[5]، وسوف أتحدث عن هذه الثورة في فصل الثورات والحركات.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٩.

(٢) المقريزي: الخطط ج ١ ص ٨٩ــ٩٩. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٣٤.

(٣) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٥.

(٤) المصدر السابق ص ٧٥.

(٥) المصدر السابق ص ٧٣ــ٧٤. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٧٩. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٣٥.

وقد رغبت الدولة في تقدير الخراج على أساس دقيق، فقام عبد الله ابن الحبحاب بمسح أرض مصر مما يركبه ماء النيل، وقدر الوظائف من جديد على وحدات المساحة[1]، ويذكر المقريزي أنها وجدت مساحة الأرض مما يركبه النيل عامرها وغامرها مائة ألف ألف فدان (مائة مليون فدان)[2].

ولا شك أن هذا الرقم مبالغ فيه، ويصعب على الباحث التسليم به، وقد أورد المقريزي نفسه[3] رواية في موضع آخر من خططه، أن ابن الحبحاب لما مسح أرض مصر عامرها وغامرها مما يركبه ماء النيل، وجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان (ثلاثين مليون فدان)، وهذا الرقم أقرب إلى المعقول.

وقام الوليد بن رفاعة بإحصاء عدد سكان مصر، وبذل في ذلك جهدا، وخرج بإحصائية؛ خلاصتها : أن عدد القَرى بمصر أكثر من عشرة آلاف قرية، وأن أصغر قرية يسكنها ما لا يقل عن خمسمائة رجل ممن تجب عليهم الزكاة[4]، وهذه الأرقام أيضا موضع شك ومبالغ فيها، فلو افترضنا وبمعدل وسطي أن كل رجل من الخمسمائة يلحق به أربعة أفراد من النساء والأطفال، لوصل عدد سكان مصر آنذاك حوالي خمسة وعشرون مليون نسمة، وهذا بعيد عن الواقع ومبالغ فيه.

ويقول المقريزي[5] : « إن ابن الحبحاب جباها أربعة الاف ألف دينار »[6] (أربعة ملايين دينار)، ويبدو أن ذلك يمثل المبلغ الإجمالي

---

(١) المقريزي: الخطط ج ١ ص ٩٩. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٣٥.

(٢) المقريزي: الخطط ج ١ ص ٧٥.

(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٩٩ .

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٥٦. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٧٤.

(٥) الخطط ج ١ ص ٩٩.

(٦) الدينار يساوي اثنى عشر درهما تقريبا.

الذي جبي في عهد هشام من خراج أرض مصر، وجزية أقباطها، بعد أن أضاف ابن الحبحاب قيراطا على كل دينار يؤخذ كخراج من أرضها[1].

وعلى رواية ابن خرداذبة، أن ابن الحبحاب جباها مليوناً وسبعمائة وثلاثة وعشرين ألفا وثمانمائة وتسعة وثلاثين دينارا[2].

ويوضح المقريزي[3] أن المبلغ الذي ذكره ابن خرداذبة، هو ما يرسل لبيت المال في الشام بعد صرف النفقات وأعطيات ولاية مصر، وهذا هو الصحيح فيما يبدو، أي ما يرد لبيت المال في الشام من ولاية مصر، بحدود مليونين وسبعمائة وثلاثة وعشرين ألفا وثمانمائة وتسعة وثلاثين دينارا.

٤ ــ من بــلاد الشـــام

يحدد الأصطخري[4] بلاد الشام آنذاك بالأردن وفلسطين، وحمص وقنسرين والعواصم، وليس لدينا من المصادر ما يحدد واردات الشام لبيت المال من خراج وجزية وسواهما في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، وقد أورد البلاذري[5] مقدار خراج مدن الشام في عهد عبد الملك بن مروان، في سنة ٨١ هـ، وليس هناك ما يدعو إلى احتمال انخفاض مستوى الواردات في عهد هشام؛ لأن الشام كانت مقر الدولة وكانت مستقرة، ولم يحدث فيها تغييرات اقتصادية أو سياسية قد تسبب انخفاضا في مستوى واردات بلاد الشام في ذلك العهد، وخراج الشام كما نص عليه البلاذري هو :

---

(١) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ج ١ ص ٧٣. الكبيسي: عصر هشام ص ٣٣٢.
(٢) مسالك الممالك: ص ٨٣.
(٣) المقريزي: الخطط ج ١ ص ٩٩.
(٤) مسالك الممالك: ص ٤٣.
(٥) فتوح البلدان: ص ١٩٧.

دمشــق	٤٠٠٠٠٠ دينار
حمص مع قنسرين والعواصم	٨٠٠٠٠٠ دينار وقيل ٧٠٠٠٠٠ دينار
الأردن	١٨٠٠٠٠ دينار
فلسطيــن	٣٥٠٠٠٠ دينار

وبذلك يكون مجموع خراج بلاد الشام مليوناً وسبعمائة وثلاثين ألف دينار أو مليوناً وستمائة وثلاثين ألف دينار.

أما قبرص فكانت تدفع ثمانية آلاف دينار[1].

وعلى هذا يكون مجموع خراج قبرص وبلاد الشام ، مليونا وسبعمائة وثمانية وثلاثين ألف دينار ، وعلى الرواية الأخرى ، على اعتبار أن خراج حمص وقنسرين والعواصم سبعمائة ألف دينار ، يكون المجموع مليونا وستمائة وثمانية وثلاثين ألف دينار .

٥ ــ من جهــات أخــرى

المصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا بمعلومات عن واردات بعض الولايات والأقاليم مثل **أفريقيا والأندلس وأرمينية وأذربيجان واليمن والحجاز ونجد وسواها.**

ويبدو أن واردات بعض هذه الأقاليم كانت قليلة في عهد الخليفة هشام قياسا على ما كان يجبى من أقاليم أخرى، مثل العراق، أو مصر، أو الشام؛ لذلك لم يهتم بها المؤرخون. وأحيانا كان ولاة بعض هذه الأقاليم يرسلون هدايا عينية كبيرة للخليفة هشام، وقد تباع هذه الهدايا وتدخل أثمانها بيت مال المسلمين[2].

---

(١) المصدر السابق: ص ١٥٩.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ٢١٧. الكبيسي: عصر هشام ص ٣٣٥.



ثانيا : نفقات الدولة

كانت الدولة تصرف من وارداتها على أعطيات الجند، ونفقة الجيوش وتجهيزها ورواتب موظفيها، ونفقات الخلافة ، والإنفاق على إقامة المشروعات مثل بناء المدن، والمساجد، وإقامة السدود، وحفر الترع والأنهار... إلى غير ذلك.

١ ـ المشروعات العامة

كان الصرف على المشروعات العامة، أحد وجوه الإنفاق في الدولة الإسلامية[1]، وكان بناء المدن يأتي في مقدمة المشروعات، ومن ذلك إعادة بناء مدينة الرصافة بقنسرين غرب الرقة، فقد بنى فيها الخليفة هشام قصرين، وأقام بها لطيب هوائها وبعدها عن الوباء[2]، ويغلب على الظن أن كثيرين حذو حذو الخليفة في ذلك ، ومن ثم أخذت الرصافة شكلاً جديداً .

وبنى والي السغد – أثناء خلافة هشام – عمرو بن القاسم، مدينة المنصورة [3] ونزلها[4].

وجدد أسد بن عبد الله القسري والي خراسان، بناء مدينة بلخ ونقل

(١) الكبيسي: عصر هشام ص ٣٣٦.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٤٧. القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة ص ١٥٠. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠.

(٣) مدينة المنصورة: بأرض السغد وهي قصبتها، مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير . انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٥ ص ٢١١ .

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٤.

إليها الدواوين، والجند[1]، وأسند الإشراف على بنائها إلى برمك جد البرامكة[2].

وبنى والي مصر، الحر بن يوسف، قيصرية هشام سنة ١٠٧ هـ بعد أن استأذن هشام بذلك[3].

وبنى هشام بعض المنشآت بملطية، وإن كان لا يتضح لنا من نص البلاذري[4] ماذا بنى وهو يقول : « وغزا هشام نفسه ثم نزل ملطية، وعسكر عليها حتى بنيت ».

وبنى عددا من الحصون والمسالح في بلاد الشام على الحدود البيزنطية[5] واهتم ببناء المساجد وتعميرها، ومن ذلك مسجد أمر ببنائه بفلسطين بمنطقة اللد، وأخذ رخام أعمدته من نصارى تلك المنطقة.

وبنى في عهده عبيد الله بن الحبحاب، والي أفريقيا، مسجد تونس، وهو ما يعرف الآن بجامع الزيتونه كما بنى دار الصناعة بتونس، وقيل أنه جدد بناءها فقط[6].

وقد أولى هشام عنايته للقوة البحرية؛ لذلك أمر عبيد الله بن الحبحاب بتجديد قاعدة بناء السفن الحربية في تونس وتوسيعها[7]، كما نقل قاعدة بناء السفن الحربية في الشام من عكا إلى صور، وبنى فيها فندقا[8].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤١٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤١، ١١١.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤١.
(٣) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٤.
(٤) فتوح البلدان: ص ١٩٠.
(٥) المصدر السابق: ص ١٧١.
(٦) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥١.
(٧) المصدر السابق: ص ٥١.
(٨) البلاذري: فتوح البلدان ص ١٢٤ـ١٢٥.

ومن الأمور التي اهتم بها هشام ووالي العراق من قبله خالد بن عبد الله القسري حفر الترع والأنهار ، وإقامة السدود، واستصلاح الأراضي، وإقامة القناطر، وقد كلفت هذه المشاريع الدولة الكثير من الأموال[1] ، فأحد الأنهار (المبارك) مثلا الذي حفره خالد القسري بلغت تكاليفه حسب رواية المبرد اثني عشر مليون درهم[2].

٢ ــ الرواتب والعطاء

بلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساع لها في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، فكان من الضروري تكوين جيش كثير العدد، وقوي العدة حتى يحافظ على أمن واستقرار هذه الدولة الشاسعة، ويحميها من أعدائها، ويجابه الثورات والحركات الداخلية التي واجهها هشام بن عبد الملك وما أكثرها، وسنرى ذلك في فصل الحركات والثورات، وأفراد هذا الجيش لابد لهم من أعطيات ورواتب ، كما أن تسليحه وتجهيزه بالعتاد والعدة أمر ضروري ويحتاج إلى مال وفير، والصرف على ذلك يتم من بيت المال.

وكانت الدولة تصرف لجندها مرتبات سنوية كل بداية عام هجري[3]، وكان أغلب العطاء يمنح للعرب في الولايات المختلفة باعتبارهم عماد الجيش الأموي، وكان بعض الموالي يأخذون العطاء، وقد زاد هشام في عطائهم في بعض بلدان الشام خمسة دنانير، وأصبح عطاء الموالي من أهل بعلبك وأنطاكية في زمنه ثلاثين دينارا[4].

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٨٨ــ٢٨٩. المبرد: الكامل في اللغة والأدب ص ٣٨٨ــ٣٩١. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٢٥.

(٢) الكامل في اللغة والأدب: ص ٣٨٨ــ٣٩١.

(٣) تاريخ الخلفاء، (مجهول المؤلف): ص ٣٨١.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٨١. الكبيسي: عصر هشام ص ٣٤١.

وكان عطاء هشام مائتي دينار ودينار، حسب رواية الطبري، ويقول : « إنه يفضل بدينار »[1] أي يزيد على عطاء المروانيين دينارا واحدا، وكان من يأخذ العطاء عليه الغزو. ويقول الطبري[2] : « لم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو، فمنهم من يغزو، ومنهم من يُخْرِجُ بدلا ».

ومن رواية للطبري يمكن الاستنتاج أن عطاء الجند بخراسان كان على نمطين: أحدهما ستمائة درهم، والآخر ثلاثمائة درهم، ومؤدى الرواية أن ملك الترك، بعد أن يئس من استسلام إحدى القلاع التابعة للجيش الإسلامي في خراسان، أرسل لحاميتها رسولا قال لهم : « إن خاقان أرسلني إليكم، وهو يقول لكم : إني أجعل من كان عطاؤه ستمائة ألفاً، ومن كان عطاؤه ثلاثمائة ستمائه، وهو مجمع بعد هذا الإحسان إليكم »[3].

أشرنا في بداية هذا الفصل إلى تدبير هشام وشحه، وضبط دواوينه، وكان مدبراً قليل الصرف إلا في وجهه الحقيقي، وكان قليل الهبات والأعطيات للشعراء وسواهم ، كما أنه كان شديداً في تعامله المالي، وتحديد مرتبات العاملين معه، وقد طلب منه أحد مواليه زيادة عطائه عشرة دنانير فرفض وقال : « ما يخيل إلى أحدكم أن عشرة دنانير في العطاء إلا بقدر الجوز، لا لعمري لا أفعل »[4].

وقد مات الخليفة هشام، وخزائنه ملأى بالأموال، وكان هناك مرتبات تصرف من بيت المال بالإضافة إلى ما ذكرنا، للكتاب والحجاب

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٠٢.
(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ٢٠٢.
(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ٦١.
(٤) المصدر السابق: ج ٧ ص ٢٠٣.

والقضاة وولاة الأقاليم وأمرائها وباقي موظفي الدولة وخدمها، إلا أن المصادر التي بين أيدينا لا تذكر شيئا عن ذلك ومقداره، كما أن هذه المصادر لا تذكر شيئا محددا عن نفقات البلاط الأموي في عهد الخليفة هشام.



الفصـــل الخامـــس

الأحوال الداخلية للدولـة الإسلاميـة في عهد هشام:

١ ـ الحالة في العراق، وشرق الدولة الإسلامية

٢ ـ الحالة في أرمينية، وأذربيجان، والجزيرة

٣ ـ الحالة في شمال الشام (على الحدود الإسلامية الرومية)

٤ ـ الحالة في أفريقيا والأندلس

٥ ـ الحالة في مصر، وبلاد الشام

٦ ـ الحالة في الحجاز، ونجد، واليمن



الأحوال الداخلية للدولة الإسلامية في عهد هشام

كما هو معروف بلغت الدولة الإسلامية في عهد الخليفة هشام أقصى اتساع لها ، وهذه المساحات ضمت ملايين البشر من مختلف الأجناس ومتعددي المذاهب والاتجاهات؛ فمنهم من دخل في الطاعة مرغماً ، ومنهم من اعتنق الإسلام خوفاً أو طمعاً ، وهذا سيجعل الدولة تواجه الكثير من الحركات والاضطرابات، وبالفعل لم تكن الأمور مستقرة كما ينبغي في كثير من الولايات، فقد تعددت الحركات والثورات، كما كان رجال الدعوة العباسية يسعون بجهود مكثفة لنشر دعوتهم وكسب الأنصار إلى جانبهم، حتى استفحل أمر الدعوة وأزاحت الدولة الأموية فيما بعد.

وفوق كل ذلك، كانت الحروب مستمرة مع الدول المجاورة على كثير من الجبهات، وسنتحدث فيما يلي عن الأحوال الداخلية في ولايات الدولة الإسلامية في عهد الخليفة هشام متناولين أيضا نشاط الدولة الحربي مع الدول المجاورة.

١ ـ الحالة في العراق وشرق الدولة الإسلامية

كان حكم العراق هو أهم زاوية في السياسة الأموية، وكان خلفاء بني أمية يركزون عليه اهتمامهم كل التركيز؛ والعراق يشمل العراق الحالي، ويتبعه حكم شرقي الدولة الإسلامية وخراسان وحتى أقصى بلاد ما وراء النهر(١)، والسند في معظم الأحيان، كما كان يتبعه في الغالب حكم شرق

---

(١) بلاد ما وراء النهر: المقصود بالنهر نهر جيحون، وبلاد ما وراء النهر تعني بلاد الترك.

شبه الجزيرة العربية، والتي كانت مرتبطة بإمارة البصرة التابعة لولاية العراق[1].

كان أمير العراق عندما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة عمر بن هبيرة الفزاري، وكان للخليفة هشام رأي في أهل اليمن أو في حفظ التوازن بين القيسية واليمنية، لذلك عزل عمر بن هبيرة عن ولاية العراق الذي قيل عنه أنه أثار حفيظة اليمنيين على الأمويين بسياسته القيسية المتطرفة، فكان على الخليفة هشام أن يصلح الأمر، وينقذ العراق من العصبية القبلية، وأن يجمع زمرها المختلفة، ذلك باختيار رجل لا عصبية له، وأن يكون ذا حزم ودهاء وحكمة حتى يقضي على الفتن، ويذلل الصعاب، وبذلك تتم السلطة على العراق، وكان ذلك باختيار رجل من قبيلة (بجيلة) هو خالد بن عبد الله القسري، وهي قبيلة صغيرة لا عصبية لها، وقيل إن بجيلة تنتسب إلى قحطان[2].

وقيل : إن من أسباب عزل عمر بن هبيرة احتجانه للأموال؛ يقول الجهشياري[3] : « ركب هشام يوما فعورض بالخيل، فنظر إلى قطعة من خيل حسنة فقال: لمن هذه ؟ فقالوا : لابن هبيرة، فاستشاط غضبا، وقال: واعجباه ! اختان[4] ما اختان ثم قدم ! فوالله ما رضيت عنه بعد ».

أما ما يورده بعض المؤرخين من أن سبب عزل الخليفة هشام لابن هبيرة، وتولية خالد القسري، تعصبه لقبيلة دون أخرى، فهذا أمر مستبعد، والسبب فيما يبدو لنا أنه بالإضافة إلى ما ذكر عن ابن هبيرة من تعصبه

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٣٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣١. مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٧٠ـ٧١. العُش: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ص ٢٧٣. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ج ٣ ص ٣٣ـ٣٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٦ـ٢٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٢٤. علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي ص ٣٢٢. العش: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ص ٢٧٤.

(٣) الوزراء والكتاب: ص ٥٩ـ٦٠.

(٤) اختان أي خان.

لقبيلته، واحتجان الأموال، كان المشرق العربي بعامة والعراق بخاصة يتطلب سياسة جديدة تحفظ التوازن بين القبائل المختلفة، وتقلل من فرص الاحتكاك بينها، والحد من هيمنة القيسية على المنطقة.

ومهما يكن من أمر، فقد أسندت ولاية العراق وشرق الدولة الإسلامية إلى خالد بن عبد الله القسري في أوائل عهد هشام[١]، واتخذ خالد مدينة واسط مقراً لولايته[٢]، وقد استمرت ولاية خالد على العراق وما يليه من المشرق قرابة خمسة عشر عاما.

وكان خالد قوي الشخصية، سديد الرأي، يذكر الباحث بسلفه الحجاج بن يوسف ، فقد وضع حداً لمثيري الفتنة والقلاقل من القيسية وغيرهم.

ومن أعظم خدماته التي قدمها للعراق والعراقيين اهتمامه بالزراعة، وتعمير الأرض، وشق الطرق، وحفر الأنهار مثل نهر خالد وبارمانا، والمبارك، والجامع. وإقامة القناطر، وتجفيف مستنقعات دجلة حول واسط ، فأحيا بذلك أراضي واسعة، وجعلها صالحة للزراعة[٣]، فكأنه أراد بذلك أن يتم بأعماله الإصلاحية ما بدأه الحجاج بن يوسف.

وكان من نتيجة عمارة الأرض وإحيائها، وانتعاش الزراعة ، أن ازدهرت الحياة الاقتصادية في العراق، وعادت على خالد بدخل عظيم، وقيل إن غلات ضياع خالد وابنه بلغت عشرين مليون درهم[٤].

---

(١) يروي بعض المؤرخين أن ذلك حدث في سنة ١٠٥ هـ، ويرى آخرون أنه حدث في السنة التالية، انظر تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٤٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٦. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٤٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٨٩. المبرد: الكامل في اللغة والأدب ج ١ ص ٣٨٨ــ٣٩١. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥١ــ١٥٢. فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٣٢٠.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥٢. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٠.

وقد قام خالد بما وكل إليه خير قيام، فلمَّ الشعث، وأوقف الخصام بين اليمنيين والقيسيين، والتف حوله اليمانيون على اعتبار قبيلة (بجيلة) تعود في نسبها إلى قحطان، واعتبروه منقذاً لهم.

ويروي الطبري قصة مؤداها أن الجنود المرابطين قرب دمشق ومعظمهم من اليمانية عمهم فرح غامر، وأخذ يقبل بعضهم بعضا، وذلك ابتهاجا وفرحا لما علموا أن الخليفة هشاما أسند ولاية العراق إلى خالد بن عبد الله القسري(١).

ويقال: إن خالدا انساق في تيار اليمانيين قليلا، فأزال عن بعض القيسيين الأعمال التي كان الوالي السابق عمر بن هبيرة قد خصهَّم بها(٢) ومهما يقال عن خالد، فإنه استطاع أن يحكم القبضة على العراق، وأن يقضي على الفتنة، فساد الهدوء في العراق مدة ولايته، وهي مدة طويلة تقارب الخمسة عشر عاما(٣).

وقد وجهت بعض التهم إلى خالد بتعاطفه مع النصارى، حيث بنى لهم عددا من الكنائس والبيع، في الوقت الذي هدم فيه بعض المساجد، وذلك بالإضافة إلى عدد من التهم أوردها الطبري في تاريخه(٤)، وترددت أبيات من الشعر في ذلك، مثل قول الفرزدق(٥):

ألا قطع الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت أمه ... تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب لأمه ... ويهدم من كفر منار المساجد

---

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٧.
(٢) زيادة: الدولة الأموية ص ٢٧.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٤. فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٣٢٥.
(٤) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٣١.
(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٧٩. وانظر أيضا الأصفهاني: الأغاني ج ٢١ ص ٣٣٨.

وهذه الروايات من الصعب أن يسلم بها الباحث، وقد جانبها الصواب في نظري، ذلك لأن الخليفة هشاما لم يكن يرضى بوال على واحدة من أكبر الولايات، وأخطرها بهذا المستوى من الدين والأخلاق، وخالد معروف بالصلاح، وعمل الخير[1].

وكما ذكرنا، كانت خراسان مرتبطة بولاية العراق معظم فترة حكم الخليفة هشام، وقد ولى خالد على خراسان أخاه أسد بن عبد الله القسري[2] بعد أن عزل أميرها السابق، مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة[3].

انصرف أسد إلى قتال الترك، وكان معظم نشاطه في هذا الميدان[4]، وقام أسد بالإضافة إلى الأعمال الحربية بأعمال عمرانية وإصلاحية، ومن ذلك تجديد بناء مدينة بلخ، وكان يشرف على بنائها برمك جد البرامكة المشهورين في التاريخ، ومن ثم نقل الجند الذين كانوا بالبروقان[5] إليها وأقطعهم مساكن في بلخ بقدر مساكنهم في المدينة التي جاؤا منها، وأقطع سكنا لكل من لم يكن له مسكن، كما نقل الدواوين إليها[6]، وكان أسد يريد أن ينزلهم على الأخماس[7] ، إلا أنه خشي إثارة العصبية بينهم بعد أن حذر من ذلك[8].

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٧ ص ٥٧٨.
(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٢.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤١٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥—١٦، ٣٧.
(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٥٠—٣٥١.
(٥) تبعد البروقان عن بلخ فرسخين. انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤١.
(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤١٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤١.
(٧) الأخماس يقصد بها هنا : الأحياء أو المناطق أو الأقسام، أي ينزل كل جماعة في حي خاص بهم، ويبدو أنهم كانوا يتكونون من خمس جماعات أساسية.
(٨) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤١.

ومما يؤخذ على أسد تعصبه لقومه قحطان[1] على مضر، ومما أشعل نار العصبية، وأفسد الناس ضرب أسد لنصر بن سيار ونفر من أصحابه من وجوه مضر؛ وفي هذا يقول بن الأثير[2]: « إن أسدا تعصب حتى أفسد الناس، وضرب نصر بن سيار ونفرا معه بالسياط؛ منهم عبد الرحمن بن نعيم وسورة بن الحر، والبختري بن أبي درهم، وعامر بن مالك الحماني، وحلقهم، وسيرهم إلى أخيه خالد، وكتب إليه إنهم أرادوا الوثوب بي ، فلما قدموا على خالد لام أسدا وعنفه وقال : ألا بعث إلي برؤوسهم »، ويقول الفرزدق[3] :

أخالد لولا الله لم نعط طاعة ... ولولا بنو مروان لم يوثقوا نصرا
إذاً للقيتم عند شد وثاقه ... بني الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

والباحث يستبعد أن يكون التعصب هو الدافع الأساسي لأسد في ضرب هؤلاء الرجال، وهم من عيون القوم ـ إن صح أنه ضربهم، وحلق رؤوسهم ـ كما أن أخاه خالدا لا يتوقع منه أن يقف هذا الموقف، ويتساءل لماذا لم يبعث برؤوسهم، إلا إذا كانوا أجرموا جرما كبيرا.

ويقال إن أسدا خطب أحد الأيام، وقال : قبح الله هذه الوجوه، أهل الشقاق والنفاق ، والشغب والفساد ، اللهم فرق بيني وبينهم ، وأخرجني إلى مهاجري ووطني، ولما بلغ الخليفة هشاما ما فعله وما كان منه، كتب إلى والي العراق خالد بعزل أخيه أسد عن خراسان، ثم ولى الخليفة هشام

---

(١) حيث يقال: إن قبيلته بجيلة تنتهي بنسبها إلى قحطان.

(٢) الكامل: ج ٥ ص ١٤٢. انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤٧. أيضا انظر تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٨٦.

(٣) الفرزدق فيما يبدوا أنه كان على خلاف مع خالد، حيث سبق أن نظم قصيدة في هجاء خالد ويتهمه في دينه، أوردنا أبياتا منها في أول هذا الموضوع مع أنه مدحه في موضع آخر، وربما قبل أن يدب الخلاف بينهما.

على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي سنة ١٠٩ هـ، وأمره أن يكاتب خالداً[١].

وكان أشرس فاضلا، ورضي به الخراسانيون وأعجبوا بسياسته وإدارته، وكانوا يسمونه الكامل لفضله كما ذكرنا سابقاً عند الحديث عن واردات خراسان، وفي أول ولايته أرسل إلى أهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام والإيمان بالله على أن توضع عنهم الجزية؛ فتسابق الناس إلى الدخول في الإسلام، فقلت موارد بيت المال بوضع الجزية عمن أسلم[٢].

فكتب غوزك، الحاكم المحلي إلى أشرس، أن الخراج قد انكسر، فكتب أشرس إلى عامل سمرقند: أن ينظر من أسلم وحسن إسلامه بإقامة الفرائض: فليرفع عنه الخراج، أما من أسلم، رغبة في التخلص من دفع الجزية دون صدق في العقيدة، فهؤلاء لابد من أخذ الجزية، لأن في ذلك قوة للمسلمين[٣].

فعصى أهل السغد وبخارى وكفروا واستجاشوا الترك، وسار أشرس على رأس جيش إليهم، ودارت بينه وبينهم معارك عديدة، وكان الترك يظاهرونهم، كما جرى قتال عنيف بينه وبين الترك بقيادة ملكهم، وكانت نتائج المعارك سجالا بين الجانبين[٤].

وفي سنة ١١١ هـ عزل الخليفة هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان؛ ويقول الطبري[٥]: « إن سبب عزله شكاية تقدم بها شداد بن

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤٧ــ٤٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٣ــ١٤٧.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٣ــ١٤٧.
(٣) لقد أشرنا إلى ذلك بالتفصيل عند الحديث عن واردات خراسان في الفصل الرابع.
(٤) انظر تفصيل هذه الحروب ونتائجها في تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٦ــ٦٦. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٩ــ١٥٠. الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٩١ــ١٩٢.
(٥) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٦٧. انظر تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٨٨.

خالد الباهلي إلى هشام، ولا نعتقد أن مثل ذلك يكون سببا في عزل أمير شهد له بالفضل والصلاح، ومن المرجح أن يكون لسياسته المالية ونتائج حروبه مع الترك أثر في ذلك.

ولى الخليفة هشام، الجنيد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث المري على خراسان في نفس العام الذي عزل فيه أشرس، وكان الجنيد قبل توليته خراسان أميرا على السند، وقد عينه أميرا عليها والي العراق خالد بن عبد الله القسري؛ لأن إمارة السند كانت تتبع ولاية العراق في ذلك الوقت، وقد كان له مواقف حربية شجاعة مع زعماء الهند، والأعداء المتاخمين لإمارته، وعظم أمره ببلاد السند[1].

قدم الجنيد خراسان، وفرق عماله في الأمصار، وكان معظمهم من المضريين[2] ، وفي سنة ١١٢ هـ خرج الجنيد غازيا إلى طخارستان، فنزل على نهر بلخ، ووجه عُمارة بن حُرَيْم على رأس جيش قوامه ثمانية عشر ألف جندي إلى طخارستان، وجهز عشرة آلاف ووجههم إلى وجهة أخرى بقيادة إبراهيم بن بسام الليثي، فكتب إليه أمير سمرقند سَوْرة بن الحر، يخبره أن ملك الترك قد جاش[3] وقد خرج إليه سْورَة إلا أنه لم يطق أن يمنع حائط سمرقند، ويطلب الغوث والمدد منه فأمر الجنيد الناس بعبور الجنيد وبين سمرقند أربعة فراسخ دخل الشِّعب فصبحه ملك الترك بجمع
الجنيد وبين سمرقند أربعة فراسخ دخل الشعب صحبة ملك الترك بجمع
عظيم وزحف إليه أهل السند وفرغانة لمناصرته ضد الجنيد وجيشه، وهناك ظهرت عزائم القواد المسلمين الثابتة وإيمانهم الصادق، وأبلى الجيش الإسلامي بلاء حسنا مع كثرة عدد عدوهم وعدته وقلة عددهم، ولما اشتد

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣١٦ـــ٣١٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٥.
(٢) ابن الأثير، الكامل: ج ٥ ص ١٥٦ـــ١٥٧. زيادة: الدولة الأموية ص ٩٣.
(٣) جاش: أقبل. (انظر المنجد ص ٧٧)

القتال وضغط العدو على المسلمين استشار الجنيد ذوي الرأي من قومه، فاتفقوا على استدعاء سورة بن الحر أمير سمرقند وأهل سمرقند لنجدتهم، فكتب الجنيد إلى سورة يأمره بالقدوم، فامتنع عن الخروج في البداية مبديا عدم قدرته على ذلك لمعرفته بخطورة الطريق الموصل إليه، إلا أنه وبناء على تهديد الجنيد رحل إليه باثني عشر ألف مقاتل، ولما كان بينه وبين الجنيد فرسخ واحد لقيه الترك، فقاتلهم قتالا شديدا وكاد النصر يتم للجيش الإسلامي، إلا أن الترك تفوقوا، لعوامل ظهرت أثناء القتال، وقتلوا من المسلمين عددا كبيرا من بينهم قائدهم سورة ولم ينج من الجيش الإسلامي إلا العدد القليل[1].

خرج الجنيد وقومه إلى سمرقند، ولكن الترك عاودوا هجومهم مرة أخرى ، إلا أن الموقعة الأولى كانت قد أنهكتهم وأضعفت قوتهم فهزمهم المسلمون، ومضى الجنيد فنزل سمرقند وحمل عيال من كان مع سورة إلى مرو، وأقام بالسغد أربعة أشهر ، ثم بلغه أن ملك الترك قصد بخارى فسار بالجيوش من سمرقند لمقاتلة الترك، ولقيه الجيش التركي بقيادة ملكه، ودارت معركة ضارية بين الجيشين انتهت بانتصار الجيش الإسلامي، وواصل الجنيد سيره حتى وصل بخارى، وهذه المعركة تعرف في التاريخ الإسلامي بيوم الشِّعب[2].

والمسلمون يعتبرون يوم الشِّعب من مفاخرهم؛ لصمودهم أمام العدو، ومقاومتهم له على الرغم من تفوقه عددا وعدة، ومع الأخطاء التي ارتكبها الجنيد في تدبيره[3].

---

(١) لمزيد من المعلومات، انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٧١ ـ ٨٤. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٦٥ ـ ١٦٧. الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ١٧٠.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٧١ــ٨٤. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٦٢ــ١٧٠. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩١.

وفي سنة ١١٦ هـ عزل الخليفة هشام الجنيد، وعين على خراسان عاصم بن عبد الله الهلالي[١]. وقد ذكر الطبري : أن سبب غضب الخليفة هشام على الجنيد وعزله هو زواجه من الفاضلة بنت يزيد بن المهلب، وأمر خليفته على خراسان عاصم بن عبد الله إن أدركه، وبه رمق أن يزهق روحه، إلا أن الجنيد مات قبل قدوم عاصم إلى خراسان[٢].

ويمكن أن نستنتج أسبابا أقوى من هذا السبب دعت الخليفة إلى عزل الجنيد، من ذلك موقفه مع سورة أمير سمرقند، لما أرغمه على الخروج إليه مع جيشه، مع علمه بخطورة ذلك؛ لأن الطريق الموصل إليه محفوف بالخطر، وفي طريقه إلى الجنيد قابله الترك ودارت بينهما المعركة التي تحدثنا عنها، وقتل من المسلمين جمع كبير منهم سوْرَة[٣]، كما أن مواقفه الحربية ليست محمودة؛ إذ لم يكن بالقائد العسكري المحنك الذي يستطيع أن يدير المعارك ويضبط الأمور في هذه المنطقة الشاسعة والمجاورة لأقوى الأعداء وهم الترك، كل هذه الأسباب تقدم المبرر لإقصائه عن هذه الولاية والبحث عن وال جديد؛ لعله ينجح في إدارتها وقيادة جيوشها.

على أية حال فقد باشر عاصم عمله في خراسان، وبدأ كعادة الولاة الجدد بأخذ عمال الجنيد وحبسهم وتعذيبهم، ومنهم عُمارة بن حُرَيْم[٤].

ويبدو أن عاصما لم يربط بوالي العراق، حيث أنْ تعيينه قد تم من قبل الخليفة هشام، ولم يأمره بمكاتبة والي العراق في أموره، كما أن عاصما كتب إلى الخليفة هشام لما رأى حال خراسان، يطلب منه أن

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٣. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩١.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٥-١٦٦.
(٣) انظر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٦٥-١٦٦.
(٤) المصدر السابق: ص ١٨٢.

يضم خراسان لوالي العراق ويقول : أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن خراسان لا تصلح إلا لتضم إلى العراق، وتكون موادها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب؛ لتباعد أمير المؤمنين، وتباطىء غياثة عنها[1].

وقد عزل الخليفة هشام عاصما عن خراسان سنة ١١٧ هـ، ومدة ولايته عليها قرابة السنة وسبعة أشهر[2]، ويقال إن من أسباب عزله الرسالة التي أشرنا إليها والموجهة منه للخليفة حول ربط خراسان بالعراق، والمبررات التي أوردها برسالته[3] ، وربما يكون ضعف عاصم، وعدم قدرته على السيطرة على خراسان الثائرة سبباً أقوىٰ في تنحيته ، وإسناد إمارتها لأخ والي العراق خالد القسري، وأمير خراسان السابق أسد القسري، حيث لما علم الخليفة هشام بثورة الحارث بن سريج، وتفاقم الأمور كتب إلى خالد القسري قائلا له : ابعث أخاك يصلح ما أفسد عاصم[4].

في عهد عاصم استفحل أمر الحارث بن سريج، ولبس السواد، ودعا إلى كتاب الله، وسنة نبيه والبيعة للرضا من آل البيت وتبعه خلق كثير[5].

أسند خالد بن عبد الله القسري بتوجيه من الخليفة هشام ــ كما ذكرنا ــ ولاية خراسان إلى أخيه أسد، وهذه ولايته الثانية عليها، وأصبحت ضمن ولاية خالد تابعة للعراق. كما كانت قبل ولاية عاصم، ولما قدم أسد إلى خراسان، بدأ بسجن عاصم ومحاسبته كعادة من سبقوه من الولاة، وطلب منه مبالغ كبيرة، وأطلق عمال الجنيد الذين سبق أن اعتقلهم

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٩.
(٢) المصدر السابق: ص ١٠٤.
(٣) المصدر السابق: ص ٩٩.
(٤) المصدر السابق: ص ١٠٥.
(٥) سوف أتحدث عن ثورة الحارث في فصل الثورات والحركات إن شاء الله.

عاصم[1]، واتخذ مدينة بلخ مقراً لولايته، ونقل إليها الدواوين سنة ١١٨ هـ، وكان قد جدد بناءها أثناء ولايته الأولى وأشرف على بنائها برمك جد البرامكة كما أشرنا[2].

كانت البلاد غير مستقرة كما ذكرنا حيث توجد حروب مع الترك، وثورة الحارث بن سريج، ونشاط دعاة بني العباس[3].

كل هذه الأمور كانت في حاجة إلى مواجهة جادة، وموقف حازم وشجاع من الأمير الجديد، وقد فعل ذلك حيث حارب الثائر الحارث بن سريج، وحد من نشاط دعاة بني العباس، واستعمل الشدة معهم فقتل بعضهم، وحبس بعضا آخر[4]، وحارب الترك في مواقع كثيرة ومعارك عظيمة ، وقد جرت إحداها سنة ١١٩ هـ بالقرب من مدينة الجوزجان، وكان يقود الترك ملكهم، وانهزموا فيها وقتل منهم الكثير وغنم المسلمون كل ما في معسكرهم من عدة وعتاد وأرزاق، وقتل ملكهم، فانشعل الترك بأنفسهم بعد مقتل قائدهم وزعيمهم، وأخذ يغير بعضهم على بعض، وبعد المعركة ساق أسد خبر النصر إلى الخليفة هشام، وأخبره بقتل زعيم الترك، فحمد الله وسجد له شاكرا[5].

وفي سنة ١١٩ هـ أيضا غزا أسد الختل، واستولى على قلعة زغرزك، وسار منها إلى خداش، وفرق العسكر في أودية الختل فغنموا غنائم وفيرة وسبوا الكثير، وقد هرب أهله إلى الصين[6].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٠٥.
(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ٤١، ٩٤، ٩٨، ١١١.
(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٦٠. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١١٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٣، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٧.
(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٩، ١٩٠.
(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٦٢. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٠ــ٢٠٧. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ١٩٣ــ١٩٦.
(٦) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١١٣.

توفي أسد سنة ١٢٠ هـ بمدينة بلخ، وكان من خيرة أمراء خراسان، وأبعدهم نظرا وأشدهم شكيمة، واستطاع أن يكسر شوكة الترك، ويحد من خطورة الدعوة العباسية ، كما أخمد ثورة الحارث بن سريج وأزال خطره(١) إلى حد كبير، وفي نفس السنة (١٢٠ هـ)، عزل الخليفة خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق(٢)، وولي بدلا منه يوسف بن عمر الثقفي الذي اتخذ من الكوفة مقرا لحكمه، ثم انتقل منها إلى واسط، وأخيرا استقر بالحيرة، وقبض على خالد وحبسه، وقبض أيضا على عماله وحاسبه على أمواله(٣)، وكان الوالي الجديد يوسف متواضعا ضابطا لحشمه وأهله، لين الكلام كثير التضرع والدعاء، ومع ذلك كان شديد البطش مسرفا في التنكيل وله في الحمق نوادر(٤).

وبالنسبة لخراسان بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، استخلف عليها جعفر البهراني، واستمر على خراسان أربعة أشهر، ثم أسند الخليفة هشام ولاية خراسان إلى نصر بن سيار بن رافع سنة ١٢٠ هـ، وأمره أن يكاتب والي العراق يوسف بن عمر(٥).

وقد وفق الخليفة في اختيار نصر في هذا الظرف؛ حيث كانت الأحوال في خراسان مضطربة، فالتصادم القبلي قد بلغ أوجه، والدعوة العباسية نشطة، ونصر الرجل السياسي المجرب، هو المناسب لهذا العمل في هذه الظروف بالذات.

---

(١) الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٩٤.
(٢) لقد أوضحت أسباب عزله عندما تحدثت عن واردات العراق في الفصل الرابع.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢١ـ٢٢٤. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٦ـ٩٧.
(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٥.
(٥) انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٤١ـ١٥٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٦ـ٢٢٧. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٧ـ٩٨.

ويقول عنه الطبري[1] ـ رواية لعبد الكريم بن سليط بن عطيه ـ : « هو أرجل القوم، وأحزمهم، وأعلمهم بالسياسة ».

ويروي الدينوري[2] نقلا عن عبد الكريم بن سليط في وصف نصر ـ رواية تختلف عن رواية الطبري ـ يقول عنه : « العفيف المجرب الباسل المحنك ».

وقد قارع نصر الأحداث، وجابه الصراع القبلي في خراسان، وواجه دعاة بني العباس بشجاعة وحزم، كما غزا غزوات موفقة، كان النصر فيها للمسلمين[3]، وعمل صلحا مع السغد على شروط وافق عليها الخليفة هشام، وكان من جرائه أن انتهت الحروب وتآلفت القلوب[4].

ومن أعماله البارزة أيضا إعلانه لسياسة جديدة حدد أبعادها في خطبته[5] التاريخية المشهورة[6]، ومن أهدافها أن توضع الجزية عمن أسلم، وأن تؤخذ من المشرك، لهذا رفعت الجزية عن ثلاثين ألف مسلم، ووضعت على ثمانين ألف مشرك لم تكن تؤخذ منهم، ثم نظر نصر أمر الخراج فصنفه، ووضعه مواضعه، وهكذا أحسن ولاية البلاد، ونظم جبايتها، فعمرت خراسان في عهده عمارة لم تعمر قبلها[7].

وبفضل حكمة نصر بن سيار، ساد خراسان في أيام ولايته الأولى أثناء خلافة هشام هدوء نسبي، وقد توفي الخليفة هشام، وهو على ولاية

---

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٥٦.
(٢) الأخبار الطوال: ص ٣٤١.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٣٦ـ٢٣٩.
(٤) المصدر السابق: ص ٢٥٠.
(٥) أشرت لذلك في الفصل الرابع عند الحديث عن واردات خراسان، ورأيت من المناسب ولترابط الموضوع أن أشير لذلك هنا.
(٦) انظر الخطبة في تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٧٣ـ١٧٤.
(٧) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥٨.

خراسان، واستمر فيها حتى سقوط الدولة الأموية، وشهد مأساة سقوطها، كما أن حياته انتهت بمأساة ـــ رحمه الله ـ ويقول الطبري[1] : « أحسن الولاية والجباية ».

وقال عنه سوار بن الأشعر :

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة ... من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسفا أخبار ما لقيت ... اختار نصرا لها نصر بن يسار

أما عن ولاية يوسف بن عمر على العراق وشرق الدولة الإسلامية، فإنها استمرت إلى ما بعد وفاة الخليفة هشام، وكان نصر بن سيار مرتبطا بيوسف بن عمر ويكاتبه ـــ كما أسلفنا ـــ وكان يوسف شديدا في سياسته المالية، كما تشدد كثيرا في محاسبة سلفه خالد بن عبد الله القسري وعماله[2].

أما بالنسبة للجزيرة والموصل فإن الجزيرة[3] فيما يبدو كانت تابعة لولاية أرمينية وأذربيجان في معظم فترات حكم الخليفة هشام، ونلاحظ ذلك في نص أورده ابن الأثير[4] إذ يقول : « في هذه السنة (١١٤ هـ) استعمل هشام بن عبد الملك **مروان بن محمد** وهو ابن عمه على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ».

وفي هذه الحالة كان لها ما لولاية أذربيجان وأرمينية، وعليها ما عليها، وسنرى ذلك في الحديث عن هذه الولاية.

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٥٨.

(٢) ومن الأحداث التي حصلت في عهده: ثورة زيد بن علي بن الحسين، وسوف اتحدث عن ذلك في فصل الثورات والحركات.

(٣) الجزيرة هي الأرض المحصورة بين دجلة والفرات وتشتمل على ديار ربيعة ومضر. ويقول الإصطخري : إنها تمتد على الفرات من شمال ملطية بمسيرة يومين شمالا إلى الأنبار جنوبا، وعلى دجلة من أرمينية شمالا إلى تكريت جنوبا. انظر المسالك والممالك: ص ٥٢.

(٤) الكامل: ج ٥ ص ١٧٧.

أما الموصل[1] فيبدو أنها كانت ولاية مستقلة أثناء خلافة هشام، ولا نعلم لذلك سببا، وكان يليها لهشام سنة ١٠٥ هـ ابن عمه **مروان بن محمد**[2]، ثم ولاها **الحر بن يوسف بن يحيى** سنة ١٠٨ هـ الذي كان قبل ذلك واليا على مصر كما سنرى[3].

ومن أعمال الحر بن يوسف في الموصل بناء المنقوشة، ويقول ابن تغرى بردي[4] : « هو الذي بنى المنقوشة دارا يسكنها، وإنما سميت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالساج والرخام والفصوص الملونة وما شاكلها ».

وكان من أبرز ما عمله: حفر النهر الذي كان بالموصل وسببه دافع إنساني ، استأذن من الخليفة هشام في أمر حفره فأذن له ، وعن ذلك يقول ابن الأثير[5] : « سبب ذلك أن الحر رأى امرأة تحمل جرة ماء، وهي تحملها قليلا ثم تستريح قليلا لبعد الماء ، فكتب إلى هشام بذلك ، فأمره بحفر النهر إلى البلد فحفره ، فكان أكثر شرب أهل البلد منه، وعليه كان الشارع المعروف بشارع النهر، وبقي العمل فيه عدة سنين ».

استمرت ولاية الحر على الموصل حتى وفاته سنة ١١٣ هـ[6]، ويقول ابن تغرى بردي[7] : « إنه كان أرجل أمراء بني أمية شجاعة وكرما وسؤددا ».

---

(١) الموصل : ربما كانت تشمل شمال الموصل وشمال شرقيها حاليا إلى تكريت جنوبا. انظر الأزدي: تاريخ الموصل ص ٣٢ــ٣٣.

(٢) الأزدي: تاريخ الموصل ص ٢٢.

(٣) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٤. ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٩.

(٤) النجوم الزاهرة: ج ١ ص ٢٥٩.

(٥) الكامل: ج ٥ ص ١٣٢ــ١٣٣.

(٦) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٣٣.

(٧) النجوم الزاهرة: ج ١ ص ٢٥٩.

وولّى الخليفة هشام بعده **الوليد بن تليد العبسي**، وأمره أن يجد في إنجاز وإتمام حفر النهر الذي بدأه الحر[1]، وهذا يعطي دلالة على حب الخليفة هشام لعمل الخير وتوفير الراحة والرخاء لشعبه، وقد أتم الوليد حفر النهر سنة ١٢١ هـ واستمر الوليد على ولاية الموصل إلى سنة ١٢٢ هـ.

وعين الخليفة هشام بدلا منه **أبا قحافة المزني**، وبقي حتى وفاة الخليفة هشام[2]، وكانت الأحوال في الموصل مستقرة في معظم فترات حكم هشام.

٢ ـ الحالة في أرمينية وأذربيجان والجزيرة

كانت أرمينية وأذربيجان ولاية واحدة، وأحيانا تضم إليها الجزيرة، كما حصل عندما عين الخليفة ابن عمه **مروان بن محمد** واليا على أرمينية وأذربيجان والجزيرة[3]، وكان على هذه الولاية في بداية حكم الخليفة هشام **الجراح بن عبد الله الحكمي** وأمره الخليفة هشام عليها[4]، وكانت له غزوات إلى اللّان[5] حققت انتصارات جيدة، وكسب فيها غنائم كثيرة[6].

وفي سنة ١٠٧ هـ عزل الخليفة هشام الجراح وولى مكانه شقيقه **مسلمة بن عبد الملك** فأرسل مسلمة نائبا عنه هو **الحارث بن عمر**

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٦.
(٢) الأزدي: تاريخ الموصل ص ٥٢ـ٥٣.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٧.
(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٧.
(٥) اللّان: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاور للخزر، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ٨.
(٦) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٢٥ـ١٣٤.
ج ٥ ص ٨.

الطائي فغزا الترك غزوات موفقة، وافتتح من بلاد الترك رستاقا[1] وقرى كثيرة وكان له تأثير حسن فيها[2].

وفي سنة ١١٠ هـ سار مسلمة بنفسه إلى الترك نحو باب اللّان، حتى لقي ملكهم في جموعه فاقتتلوا اقتتالا عنيفا دام قرابة شهر، انهزم بعده ملك الترك بجموعه، ونصر الله المسلمين[3].

وفي سنة ١١١ هـ عزل الخليفة هشام شقيقه مسلمه، **ورد الجراح الحكمي**، أميرها السابق، وهذه الولاية الثانية له[4] فدخل الجراح بلاد الخزر[5] من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف سالما.

جمعت الخزر جموعها ولمت شملها وزحفت لقتال الجراح، وكان يظاهرهم الترك من ناحية اللّان، فلقيهم الجراح فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان، واقتتلوا وكثر عدد الخزر، وضغطوا على الجراح وصحبه، وقتل الجراح وقتل معظم من كانوا معه بمرج أردبيل[6]، وذلك سنة ١١٢ هـ[7].

وبعد أن انتصر الخزر وقضوا على الجراح وجيشه، أغراهم النصر، وطمعوا في الاستيلاء على ما حولهم من البلدان، فتغلغلوا داخل البلاد حتى وصلوا بالقرب من الموصل، ولما علم الخليفة هشام بخبرهم أرسل إليهم

---

(١) الرستاق: يعني الإقليم أو المنطقة.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٧. البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٠٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٠٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٤. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٥٥.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٦٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٥٨.

(٥) الخزر جيل من الناس كما يقال عن ضيق العين وصغره وقيل عن حَوَلٍ إحدى العينين وهي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدَّربند قريب من سد ذي القرنين. انظر الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية ج ٢ ص ٦٤٤. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ج ٣ ص ٥٩٥، ياقوت الحموي / معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٧.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٧٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ص ١٥٨ــ١٥٩. الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٩٦.

(٧) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٥٩.

سعيد الحرشي، وألحقه بقوة من الجند تعزز ما معه ، ولما وصل إلى مدينة أرزن لقيته فلول الجراح، وأخذهم معه، فلما وصل مدينة خلاط، افتتحها عنوة، وقسم غنائمها علىٰ أصحابه، ثم واصل زحفه يفتح الحصون والقلاع التي يمر بها في طريقه حتى وصل برذعه، ونزل فيها، وكان ابن ملك الترك يومئذ بأذريبيجان يغير على البلدان هناك واحدة بعد الأخرى، وينهب ويسبي ويقتل، وكان يحاصر مدينة ورثان عند قدوم الحرشي، ولما علم بقدومه سارع في الرحيل عنها فوصل الحرشي إليها فلم يجد فيها أحدا، فارتحل عنها حتى وصل إلى أردبيل ، وعند وصوله إلى هذه المدينة علم أن الخزر على مقربة منه، ومعهم أسراء وسبي من المسلمين يقدر عددهم بخمسة آلاف، فسار إليهم ليلا، ووزع جنوده في أربع جهات فهجموا عليهم مع الفجر ، فما أشرقت الشمس حتى جاءوا على آخرهم، وخلص الحرشي المسلمين من الأسر والسبي، ومن بينهم أولاد الجراح فأكرمهم وأحسن إليهم[1].

جمعت الخزر جموعها واستردت قوتها واستعدت للقتال مرة أخرى، فلقيهم الحرشي بالقرب من يرزند وتقاتلا قتالا شديدا وانهزم فيه الخزر هزيمة منكرة، وقد أذل الحرشي الخزر واستعاد منهم ما كانوا عليه بعد مقتل الجراح[2].

رغب الحرشي أن يبلغ الخليفة هشاما بهذه الانتصارات ويطمئنه على حال المسلمين بتلك البلاد، واستقرار الأوضاع، فكتب له عن ذلك، وبعد وصول الخبر إلى الخليفة بعث يطلب الحرشي فتوجه إليه[3] وأعفاه

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٦٠ــ١٦١.
(٢) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٥٩ــ١٦٢.
(٣) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٦٢.

من ولايته، ولا نعرف سببا لذلك حيث لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى ذلك من قريب أو بعيد.

وبدلا من الحرشي ولى الخليفة هشام على أمر أرمينية وأذربيجان أخاه **مسلمه بن عبد الملك** للمرة الثانية وذلك سنة ١١٣ هـ[١].

سار مسلمة إلى الترك بعد أن رتب قواته وجهز جيشه، وكان سيره في شتاء شديد البرد، الأمر الذي أعاق تقدمه وجيشه نوعاً ما لعدم تعودهم على طقس تلك البلاد ، وقد جاز البلاد بصعوبة متتبعا أثرهم، وفي طريقه كان يفتح الحصون والمدن، ودان له من وراء جبال بلخى وقتل ابن ملك الترك، وقتل وأسر من الأتراك الكثير، وكسب مسلمه السبايا والغنائم[٢].

وفي سنة ١١٤ هـ قدم مروان بن محمد على الخليفة هشام فشكا إليه مسلمه بن عبد الملك، وأنه لم يعمل شيئا مما يجب عليه مع العدو، وطلب منه أن يسند إليه ولاية أرمينية وأذربيجان، وأن يمده بمائة وعشرين ألف جندي، وتعهد أن يقضي بهم على الخزر، والترك قضاء تاما ، فأجابه الخليفة هشام إلى طلبه، وعزل **مسلمه**، **وولى مروان** على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وأمده بمائة وعشرين ألف مقاتل[٣].

ويقول ابن الأثير[٤] : « فودعه وسار إلى أرمينية واليا عليها، وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة، فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون ألفا ».

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٦٢. ومسلمة سبق أن تولى هذه الولاية وعزل منها.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٦٢ــ١٦٣.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٧. البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٠٧. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٧.

(٤) الكامل: ج ٥ ص ١٧٨.

دخل مروان بلاد الخزر وتغلغل فيها حتى بلغ آخرها، وقد فر أمامه ملك الخزر ذليلا، ودخل بلاد ملك السرير(١) فأوقع بأهلها، وفتح الحصون والقلاع، وقهر العدو، ودان له الملك، ولما رأى أهل تلك البلاد قوة جيش المسلمين، وشدة فتكه وسرعة اجتياحه لتلك البلاد، رغبوا في مصالحة قائد الجيش الإسلامي؛ تأمينا على أنفسهم، وحقنا لدمائهم(٢)

صولح مروان على شروط ذكرها ابن الأثير(٣) وقد أملاها عليهم مروان من مركز القوة، وعاد عنهم . وهذه الشروط تتلخص في :

١ ــ ألف رأس تقدم لمروان.
٢ ــ خمسمائة غلام تقدم لمروان.
٣ ــ خمسمائة جارية تقدم لمروان.
٤ ــ مائة ألف مدى(٤) تقدم لمروان.

وكان مروان لا يتوانى في إظهار قوته وعظمة جيشه لأهل البلاد، حتى يبعث الخوف والرهبة في نفوسهم، وحتى لا تسوِّل لهم نفوسهم محاربة المسلمين أو الاعتداء عليهم، وقد أثر ذلك في نفوس الترك وخافوه، وخضعت له جميع البلاد الواقعة على الشاطىء الغربي لبحر الخزر، وعقد زعماؤها صلحا معه تأمينا لحياتهم(٥).

واستمر مروان على ولاية الجزيرة، وأذربيجان وأرمينية حتى بعد وفاة هشام سنة ١٢٥ هـ.

(١) ملك السرير: مملكة واسعة بين اللّان وباب الأبواب، وليس إليها إلا مسلكان : مسلك إلى بلاد الخزر، ومسلك إلى بلاد أرمينية، وهي ثمانية عشر ألف قرية في جبال. (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٨ــ٢١٩.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٠٧ــ٢٠٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٧ــ١٧٨.
(٣) الكامل: ج ٥ ص ١٧٨ــ١٧٩. انظر أيضا البلاذري: فتوح البلدان ص ٢١٠.
(٤) المدى : مكيال في الشام ومصر يسع تسعة عشر صاعا، ويبدو أن فيها مبالغة. انظر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٨.
(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٨ــ١٧٩. الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج ٣ ص ١٧٦ــ١٧٧.

٣ ـ الحالة في شمـال الشـام على الحدود الإسلامية الرومية

كانت الحروب مستمرة بين المسلمين والروم على الحدود الإسلامية الرومية؛ لذلك اهتم الخلفاء بتحصين الثغور، وحمايتها، وشحنها بالقوات والجند لرد أي اعتداء، وكانت حماية الثغور وتحصينها محل اهتمام الخليفة هشام، وقد نقل صناعة السفن من عكا إلى صور، وبنى ربض المصيصة، ومجموعة من الحصون مثل المثقب وقطر غاش ومورة وبوقا، واستخدم في بناء هذه الحصون أهل أنطاكية[١].

يشير البلاذري[٢] إلى أن الخليفة هشاماً أقام هذه التحصينات لما عرض الروم لرسول له في درب اللكام عند العقبة البيضاء، فبنى حصن مورة، ورتب فيه أربعين رجلا وجماعة من الجراجمة[٣]، وأقام ببغراس مسلحة في خمسين رجلا، وابتنى لهم حصنا، وبنى حصن لوقا من عمل أنطاكية، وكان يسند أمر الثغور إلى القواد الأفذاذ، وكانت الصوائف لا تكاد تنقطع، ويقول فتحي عثمان[٤] : « قام هشام بغزوات كبيرة في كل صيف، وكان يوجه غزوتين أو ثلاث في وقت واحد لتلتقي في نقطة واحدة ».

ومن القواد الكبار الذين اشتهروا في قيادة الصوائف والحروب مع الروم: مروان بن محمد الذي تولى أخيرا أمر أرمينية والجزيرة وأذربيجان، ومن ثم الخلافة فيما بعد، **ومسلمة بن عبد الملك** الذي كان

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ١٢٤ــ١٢٥، ١٧١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧١.

(٣) الجراجمة: نسبة إلى بلدتهم الجرجومة، ويطلق عليهم المسلمون اسم المردة؛ لكثرة عصيانهم، وقد كانوا عصاة لكل سلطة حاكمة في الشام منذ أيام الدولة الرومانية الكبرى. انظر فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٣٦٢.

(٤) الحدود الإسلامية البيزنطية: ج ٢ ص ١٠١.

أميرا على أرمينية وأذربيجان، **وسليمان، ومعاوية، وسعيد أبناء هشام بن عبد الملك، وسعيد بن عبد الملك، والوليد بن القعقاع**[1]، وقد افتتحوا في غزواتهم حصونا كثيرة كحصن طيبة، واستولوا على القلاع والمدن التي منها : سندرة، وقونية، ومطامير، وفرشنة، وقيسارية[2]، وقد فتحت قيسارية على يد القائد مسلمة بن عبد الملك سنة ١٠٨ هـ وهي من أشهر مدن الروم[3].

ويقول السيوطي[4] : « في سنة سبع من أيامه فتحت قيصرية الروم[5]، وفي سنة ثمان فتحت حنجرة على يد البطّال المشهور[6]، وفي سنة اثنتي عشرة فتحت خرشنة في ناحية ملطية ».

وقد ظهرت بطولات في حروب الروم كانت مضرب الأمثال، **وهناك بطلان في حروب الروم أصبحا من رجال الأساطير، وهما عبد الله البطال، وعبد الله بن بخت**، وقد فعل كل منهم الأعاجيب، ومن ذلك ما يقال من أن البطال دخل بلاد الروم في بعض غزواته هو وأصحابه، فدخل قرية لهم ليلا، وامرأة تقول لطفل لها يبكي: تسكت وإلا سلمتك للبطال، ثم رفعته بيدها، وقالت خذه يا بطال فتناوله من يدها[7].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٩، ٤٠، ٤٣، ٤٦، ٧٠، ٩٠، ٩٩، ١٣٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٠، ١٥٨، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٥، ١٩٦، ٢١٤، ٢٤٠، ٢٥٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٩. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤٣، ٤٦، ٧٥، ١٣٩، ١٦٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٠، ١٤٥، ١٧١، ١٧٩، ٢٢٨، الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٧٩. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ج ٣ ص ٨٤.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٠.

(٤) تاريخ الخلفاء: ص ٢٧٠.

(٥) قيصرية : ربما المقصود بها قيسارية.

(٦) البطال : هو عبد الله أبو الحسن الأنطاكي. انظر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٨.

(٧) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٨.

وقد خلدت الأساطير والقصص هذا البطل ، ويقول فتحي عثمان[1] :

« واشتهر في أدب الحروب الإسلامية ضد الروم في العصر الأموي عبد الله البطال ، وكان كبير حراس مسلمة بن عبد الملك في حصار القسطنطينية أيام سليمان بن عبد الملك ، وقد ألهب خيال الإخباريين » ، ويقول أيضا[2] : « قد صار هذا البطل الإسلامي فيما بعد النموذج الحي للبطل القوي الأسطوري ، سيد بطال غازي ، الذي لا يزال قبره قائما في قرية جنوبي أسكي شهر (دور بليوم في العصور الوسطى) بآسيا الصغرى ، وقد أجله أبناء الإقليم من النصارى الروم وقدسوه ومثلوه في كنائسهم ، وتظهر في ثنايا الرواية التركية المتأخرة عن السيد البطال إشارات واضحة إلى الأحداث التاريخية في القرن التاسع الميلادي ؛ مما يكشف عن أصلها فهي تشير إلى بابك وقتئذ . وقد وصل ماريوس كنار في قصة الفروسية العربية المسماة بذات الهمة إلى مادة وفيرة ، اختلطت فيها وقائع التاريخ بخيال الأساطير ، وانتهت إلى آثار ، تماثل المعروف عن السيد البطال ، وهكذا كانت جهود كنار في التنقيب عن أدب الملاحم والفروسية العربية ذات قيمة كبيرة ، وقد أثبت أن هذا الأدب كان انعكاساً أدبياً للحروب العربية الرومية » .

أما الحملات البحرية ضد الروم في عهد الخليفة هشام فكانت مستمرة، وكان من أبرز قادتها عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وعبد الله بن عقبه الفهري، والأسود بن بلال المحاربي، وعبد الله بن أبي مريم[3]، وكانت تحقق انتصارات جيدة في تلك الميادين.

وفي سنة ١١٣ هـ قتل عبد الوهاب بن بخت، وهو مع عبد الله البطال في أرض الروم غازيا، فانهزم الناس عن البطال وانكشفوا، وكان عبد الوهاب يكر على فرسه، ويقول: «ما رأيت أجبن من هذا الفرس وسفك الله

---

(١) الحدود الإسلامية البيزنطية: ج ٣ ص ٢٨٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٣ ص ٢٨٣ــ٢٨٤.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤٦. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٤٥، ١٥٥. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ج ٢ ص ١٠٥ــ١٠٧.

دمي إن لم أسفك دمك » ثم ألقى ببيضته على رأسه وصاح أنا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ؟ ثم تقدم نحو العدو فمر برجل يقول : واعطشاه !! فقال له : تقدم الري أمامك فداهم القوم، وقاتل ببسالة، فقتل، وقتل فرسه[1].

وفي سنة ١١٤ هـ غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى، وسليمان ابن هشام الصائفة اليمنى، وقد أصاب معاوية بن هشام رَبضَ أقرن، والتقى عبد الله البطال بقسطنطين في جمع من الروم فهزمهم، وأسر قسطنطين.

والغزوات مستمرة ــ كما أشرت ــ ولا داعي للتفصيل عنها، ومن يرغب في معرفة تفاصيل هذه الغزوات والحروب بين المسلمين والروم فبإمكانه الرجوع إلى الطبري، وابن الأثير[2].

وفي سنة ١٢٢ هـ وقيل سنة ١٢٣ هـ قتل البطل عبد الله البطال، ومعه جماعة من المسلمين[3] ، وكان كما ذكرت كثير الغزو لبلاد الروم وله عند الروم ذكر عظيم، وكانوا يخافونه خوفا شديدا[4]، وكان له تاريخ مجيد من البطولات في عهد الخليفة هشام[5]، واستمرت الحالة حالة حرب مع الروم، والغزوات مستمرة إلى ما بعد خلافة هشام.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٨٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٣.

(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٢٩ــ١٩٩. الكامل: ج ٥ ص ١٢٥ــ٢٥٩.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٩١. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل ج ٥ ص ٢٤٨.

(٥) وقبل عهد الخليفة هشام سيره عبد الملك بن مروان مع ابنه مسلمة إلى بلاد الروم، وأمره على رؤساء أهل الجزيرة والشام، وأمر مسلمة أن يجعله على مقدمة جيشه، ووصفه بالثقة والإقدام والشجاعة، فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس، فكان يقيم بالمنطقة الكائنة بين مسلمة والروم.

ويقول ابن الأثير : « وسيره عبد الملك (يعني عبد الله البطال) مع ابنه مسلمة إلى بلاد الروم، وأمره على رؤساء أهل الجزيرة والشام، وأمر ابنه أن يجعله على مقدمته وطلائعه، وقال : إنه ثقة شجاع مقدام، فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس، فكان بينه وبين الروم » الكامل: ج ٥ ص ٢٤٨.

٤ ـــ الحالة في أفريقيا والأندلس

كانت ولاية الأندلس مرتبطة بولاية أفريقيا في معظم أيام الخليفة هشام بن عبد الملك، وكثيرا ما كان ولاتها يعينون من قبل والي أفريقيا[١].

وكانت الحالة في أفريقيا والأندلس مضطربة وغير مستقرة في بعض فترات عهد الخليفة هشام ، وقد ساعد على ذلك قيام ثورات متعددة، وخروج بعض المتمردين على الدولة[٢]، وقيام الخوارج بنشر مذهبهم الثوري في المغرب فتعددت الفتن والقلاقل[٣] ، وقد وجد الخوارج في البربر المنبت الخصب والقبول التام لتعاليمهم ، حيث تتناسب وتتفق مع ميول البربر واستعدادهم.

وكان البربر قد أسلموا، وحسن إسلامهم، وأسهموا في الجهاد مع المسلمين، إلا أن معاملة بعض العمال لهم مثل عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي الذي أساء معاملة البربر، وأيضا تحريض الخوارج لهم دفعهم

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٤٩ــ٥٦، ج ٢ ص ٢٧ــ٣٣. تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١١٨ــ١٢٠. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ١ ص ٢٣٥ــ٢٣٦، ج ٣ ص ١٦ــ١٩، ويورد ابن عذاري رواية مؤداها أن ولاية أفريقيا والأندلس أحيانا تضم إلى ولاية مصر، كما حصل في ولاية ابن الحبحاب، ويقول : « فكان له من العريش إلى طنجة إلى السوس الأقصى إلى الأندلس، وما بين ذلك» انظر ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩، وأنا أستبعد ذلك، وعبد الله بن الحبحاب كان على خراج مصر، ولم يكن واليا عليها، وذلك قبل أن ينقل واليا على أفريقيا والأندلس، انظر الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٣ــ٨٣.

(٢) ابن عذاري: البيان ج ١ ص ٥٢ــ٥٤، ج ٢ ص ٣٠ــ٣١. تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١١٩ــ١٢٠، ١٨٩ــ١٩٠. المقري: نفح الطيب ج ٣ ص ٢٠. عنان: دولة الإسلام في الأندلس ص ١١٥ــ١١٩.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٠ــ٣٧١. ابن عذارى: البيان المغرب ج ١ ص ٥٢ــ٥٩. عنان: دولة الإسلام في الأندلس ص ١١٥ــ١١٩.

إلى الثورة ضد الأمويين، فأضرموا نار الثورة في إفريقيا، وعم الاضطراب وشملت الفوضى أنحاء البلاد[١].

وفي الأندلس كانت الاضطرابات والفوضى أيضا، وتوقفت الفتوحات منذ نهاية إمارة عبد العزيز بن موسى بن نصير تقريبا[٢]، وقد انشغل ولاة الأندلس بالشؤون الداخلية والمنازعات بشأنها، وقد زعزعت الانقسامات ـ بشدة ـ الأوضاع في إسبانيا الإسلامية.

وكان على ولاية أفريقيا والأندلس بشر بن صفوان حينما تولى هشام الخلافة سنة ١٠٥ هـ فأقره عليها[٣] ، وقد غزا بشر صقلية بنفسه، فحقق انتصارا، وجمع غنائم كثيرة[٤] ، وتوفي سنة ١٠٩ هـ، وكانت مدة ولايته سبع سنوات[٥]، وبعد وفاته بقي نائبه **نعاس بن قرط الكلبي**[٦] على القيروان حتى وصل وال من الخليفة وهو **عبيدة بن عبد الرحمن السلمي**، وذلك في ربيع الأول سنة ١١٠ هـ[٧] وقد أخذ عبيدة عمال بشر وأصحابه وعذبهم وأغرمهم، وكان منهم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي[٨]، وكان شريفا في قومه مع فصاحة وبراعة، وكان له مركز مرموق في ولاية بشر، سلخ منه في ولاية عبيدة ونكل به؛ وقال أبياتا منها :

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١ــ١٩٤. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٢ــ٥٤. تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١٨٩ــ١٩٠. علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام ص ٣٢٣ــ٣٢٤. عنان: دولة الإسلام في الأندلس.

(٢) قد انتهت إمارة عبد العزيز بن موسى بن نصير في رجب سنة ٩٧ هـ، انظر ابن خلدون: ج ٣ ص ١١٨. الحجي: التاريخ الأندلسي ص ٢٠٧.

(٣) وكان بشر يتولى أفريقيا والأندلس من أيام يزيد بن الوليد، وحاضرة ولايته القيروان.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٦. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٤٩.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٤٩.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٥٢.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب ج ١ ص ٥٠. تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١٨٨.

(٨) ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٠، وأبو الخطار هذا أسندت إليه ولاية الأندلس في أواخر خلافة هشام بن عبد الملك كما سنرى.

أفـأتُمْ بنـي مروان قيساً دماءنــا وفي الله إن لم تنصفوا حَكَمٌ عدل
كأنكم لم تشهـدوا مرج راهـط ولم تعلموا من كان ثمَّ له الفضل
تعاميتُـــمُ عنـــا بعيـــن جليـــةٍ وأنتم كذا ما قد علمنا لنا فعل

وبعث بهذه الأبيات إلى الخليفة، فأمر هشام بعزل عبيدة من أفريقيا والأندلس واستخلف **عقبة بن قدامة**، وذلك في شوال سنة ١١٤ هـ، وكانت ولاية عبيدة أربع سنوات وستة أشهر[١].

ثم ولى الخليفة هشام **عبيد الله بن الحبحاب**[٢] على أفريقيا والأندلس[٣] فقدم أفريقيا في شهر ربيع الثاني سنة ١١٦ هـ، وقد بنى المسجد الجامع[٤]، ودار الصناعة بتونس، **وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري غازيا إلى السوس الأقصى**، فبلغ أرض السودان، وحقق انتصارات جيدة ومكاسب كبيرة، وعاد وغزا صقلية وظفر أيضا[٥].

وفي ولايته اضطربت الأمور، وثار البربر في المغرب، وتكاثر عددهم، وقويت شوكتهم[٦]، ويقول ابن عذاري[٧] : « وتداعت برابر المغرب بأسره، فثارت البربر بالمغرب الأقصى، فكانت أول ثورة فيه، وفي أفريقيا في الإسلام[٨] ».

تفاقمت الأمور في عهد ابن الحبحاب في أفريقيا والأندلس،

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج١ ص ٥١.
(٢) وكان متوليا خراج مصر من قبل.
(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٢٩، ج ٢ ص ٥١.
(٤) المسجد الجامع هو ما يعرف الآن بجامع الزيتونة بتونس.
(٥) ابن الأثير، الكامل: ج ٥ ص ١٨٥. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥١. تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١٨٨ـــ١٨٩.
(٦) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١ــ١٩٤. ابن عذارى: البيان المغرب ج ١ ص ٥٢.
(٧) ابن عذارى: البيان المغرب ج ١ ص ٥٢.
(٨) وسوف أتحدث عن هذه الثورة في فصل الحركات والثورات.

واختلت الأحوال، فاجتمع الناس عليه وعزلوه، وبلغ ذلك الخليفة هشاما وقال: « والله لاغضبن لهم غضبة عربية، ولأبعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي[1] » وأرسل لابن الحبحاب يأمره بالحضور، فسار إليه في جمادى سنة ١٢٣ هـ[2]، وكانت مدة ولايته سبع سنوات، وأرسل الخليفة بدلا منه **كلثوم بن عياض** واليا على أفريقيا، وعقد له على اثني عشر ألف مقاتل من أهل الشام، وكتب إلى والي كل بلد أن يخرج معه بمن معه، فسارت عمال مصر وطرابلس وبرقة معه حتى قدم أفريقيا في رمضان سنة ١٢٣ هـ[3]، وكان على مقدمة جيشه ابن عمه بلج بن بشر القشيري، وقد وصل إلى القيروان، ولقي أهلها بالجفاء والتكبر عليهم، وقد أساء معاملتهم، وأراد أن ينزل العسكر في منازلهم، وكادت تكون منازلة بين الطرفين ـــ مع وجوب اتحادهم أمام عدو مشترك هم الخوارج، وثوار البربر ـــ لولا تدخل العقلاء، واعتذار كلثوم لهم[4].

ثم قتل كلثوم في قتاله مع البربر بعد ولاية استمرت قرابة سنة، وكانت الأحوال مضطربة في أفريقيا والأندلس[5]، فبعث الخليفة هشام **بحنظلة بن صفوان الكلبي** واليا على أفريقيا والأندلس، فوصلها في شهر ربيع الاخر سنة ١٢٤ هـ[6]، ولم يمكث حنظلة إلا يسيرا حتى زحف إليه عكاشة الصفري الخارجي في جمع عظيم من البربر، وزحف كذلك إلى حنظلة مظاهرا ومعاونا لعكاشة عبد الواحد بن يزيد الهواري في عدد

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ج ١ ص ٥٤.
(٢) جمادى لم يحدد أهو جمادى الأولى أو جمادى الاخرة.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٢ـــ١٩٣. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٤. تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ٢٩.
(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٢ـــ١٩٣. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٤ـــ٥٥.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٥ـــ٥٨.
(٦) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٣. ابن عذارى: البيان المغرب ج ١ ص ٥٨. وكان حنظلة أميرا على مصر قبل ذلك.

كبير[1]، ودارت معارك طاحنة بين جيش حنظلة، وجيوش الثوار، كان النصر فيها في النهاية لجيش حنظلة، وقتل من البربر والخوارج خلق عظيم، ويقول ابن الأثير[2] : « لم يقتل بالمغرب أكثر من هذه القتلة، فإن حنظلة أمر بإحصاء القتلى فعجز الناس عن ذلك حتى عدوهم بالقصب، فكانت عدة القتلى مائة ألف وثمانين ألف (مائة وثمانين ألف قتيل)، ثم أسر عكاشة مع طائفة أخرى بمكان آخر، وحمل إلى حنظلة فقتله، وكتب حنظلة إلى هشام بن عبد الملك بالفتح ».

ويقول ابن تغري بردي[3] : « فيها (أي سنة ١٢٥ هـ) كانت فتن كبيرة بالمغرب بين الأمير حنظلة بن صفوان المعزول عن إمرة مصر، والمتولي أفريقيا، وبين عكاشة الخارجي، فكانت بينهم وقعة لم يسمع بمثلها، وانهزم عكاشة، وقتل من البربر ما لا يحصى، ثم التقى حنظلة ثانية مع عبد الواحد[4] على فرسخ من القيروان، وجمع عبد الواحد ثلاثمائة ألف مقاتل فبذل حنظلة الأموال، وضج الناس والنساء والأطفال بالدعاء، وبقي حنظلة يسير بين الصفوف بنفسه، ويحرض على القتال، وهزم الله عبد الواحد وجيوشه، ثم قتل ، وقتل من البربر مقتلة عظيمة لم يسمع بمثلها، فكانت هذه ملحمة مشهودة، ثم أسر عكاشة، وأتى به إلى حنظلة فقتله، وقتل جماعة كثيرة من أصحابه، وقيل: أحصي من قتل في هذه الوقعة فبلغ مائة ألف وثمانين ألفا (مائة وثمانين ألفا)، وهذه الملحمة أعظم

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٣ــ١٩٤. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥٨. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٩٥ــ٢٩٦.

(٢) الكامل: ج ٥ ص ١٩٤.

(٣) النجوم الزاهرة: ج ١ ص ٢٩٥ .

(٥) هو عبد الواحد بن يزيد الهواري.

ملحمة وقعت في الإسلام بالمغرب »[1]، وكتب حنظلة بذلك إلى الخليفة هشام فسر سرورا عظيما[2].

أما الأندلس فهي تابعة لوالي أفريقيا، وكان عليها عندما تولى الخلافة هشام بن عبد الملك **عنبسة بن سحيم الكلبي**، وكان يتولى أمرها من قبل يزيد بن أبي مسلم والي أفريقيا، ثم أقره بشر بن صفوان والي أفريقيا بعد يزيد[3] وقد استمر عنبسة على ولاية الأندلس قرابة أربع سنوات وثمانية أشهر، وكان له نشاط حربي مع الفرنجة وحقق من خلاله الانتصارات، واستقامت الأمور في عهده بعض الشيء، وتوفي سنة ١٠٧ هـ[4].

وبعد وفاة عنبسة أقام أهل الأندلس عليهم رجلا من العرب اسمه **عذرة بن عبد الله الفهري** حتى وصل بعد شهرين **يحيى بن سلمة الكلبي** واليا على الأندلس من قبل الخليفة هشام، وذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٠٧ هـ[5].

وتعاقب على ولاية الأندلس في الفترة التالية عدد من الولاة كانت مدة كل منهم قصيرة، وبالتالي لم يتركوا بصمات ذات قيمة في تاريخ الأندلس[6] بعد ذلك وفي صفر من سنة ١١٢ هـ، اسندت ولاية الأندلس

---

(١) الأرقام التي وردت في نص ابن الأثير بالنسبة للقتلى أو نص ابن تغري بردي بالنسبة لعدد جيش عبد الواحد الهواري، والقتلى كلها أرقام يبدو لي أن فيها مبالغة والله أعلم.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٤. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٨ــ٥٩.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩ــ٣٣. تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١١٩ــ١٢٠. المقري: نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٦ــ٢٣٧، ج ٣ ص ١٧. سيدو: تاريخ العرب العام ص ١٨٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٦. ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٧. المقري: نفح الطيب ج ٣ ص ١٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٦. ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٧، المقري: نفح الطيب ج ٣ ص ١٦.

(٦) ولاة الأندلس في هذه الفترة: حذيفة بن الأحوص الأشجعي ومدة ولايته ستة أشهر، وعين بعده عثمان بن أبي نسعة الخثعمي وكانت ولايته خمسة أشهر، ثم ولي الهيثم بن عبيد الكناني ومدة ولايته عشرة أشهر، ثم تولى أمر الأندلس محمد بن عبيد الله الأشجعي وكانت ولايته شهرين، انظر ابن عذاري: البيان المغرب =

إلى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، وكانت هذه ولايته الثانية[1].

فاستمر حتى استشهد في حروبه مع الفرنجة في المعركة المشهورة، والمعروفة ببلاط الشهداء، وذلك في شهر رمضان سنة ١١٤ هـ[2]، وكان رجلا صالحا[3] تسلم زمام الأمر في الاندلس، وقد تفاقمت الأحداث فيها حيث شق الزعيم البربري مونورزا عصا الطاعة للعرب، واستقل بثغر الشمال، وحالف أودو الفرنجي دوق أقطانية، وتزوج ابنته[4].

وقد نازل المجاهد عبد الرحمن الغافقي الزعيم البربري مونورزا وقهره، ثم اتجه إلى أودو، وهزمه بين نهر الجارون ونهر الدوردوني، ثم لاحقه في جهة إقليم اللوار[5].

ويقول ابن الأثير[6] : « فغزا إفرنجة، وأوغل في أرضهم وغنم غنائم كثيرة، وكان فيما أصاب رِجْلٌ من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرد فكسرها وقسمها في الناس، فبلغ ذلك عبيدة، والي أفريقيا، فغضب غضبا شديدا وكتب إليه يتهدده فأجابه عبد الرحمن ـ وكان رجلا صالحا كما ذكرنا ـ أما بعد : فإن السموات والأرض لو كانتا رتقا لجعل الله للمتقين منهما مخرجا ».

واصل الغافقي جهاده، وتقدمه لحرب الفرنجة، وتغلغل في فرنسا

ج ٢ ص ٢٧ـــ٢٨، تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١١٨ـــ١١٩، المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ج ٣ ص ١٨. الحجي: التاريخ الأندلسي ص ١٩١.

(١) ولايته الأولى على الأندلس قبل خلافة هشام.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٤. ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٨. المقري: نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٤.

(٤) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٣٢٩ـــ٣٣٠. الحجي: التاريخ الأندلسي ص ١٩٢.

(٥) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٣٢٩ـــ٣٣٠.

(٦) الكامل: ج ٥ ص ١٧٤.

للفتح ونشر الإسلام، ويقول الدكتور الحجي[1] : « بلغ المد الإسلامي نقطة بعيدة في أضخم حملة وراء البرت مدة الولاة أيام الوالي المجاهد عبد الرحمن الغافقي »، وأثناء جهاد الغافقي، التقى بجمع كبير من الفرنجة بقيادة شارل مارتيل، الذي كان أودو قد استنجد به ضد المسلمين، وذلك في مكان بين مدينتي تور وبواتييه[2]، وجرت بينهما معركة تاريخية مشهورة عرفت بمعركة بلاط الشهداء؛ لكثرة من استشهد فيها من المسلمين، وفي مقدمتهم قائدهم المجاهد الأمير عبد الرحمن الغافقي وذلك في شهر رمضان سنة ١١٤ هـ[3] وقد دار في هذه المعركة قتال شديد دام ثمانية أيام تقريبا، أظهر فيه المسلمون فنون الشجاعة والبسالة والتضحية، إلا أن تفوق الجيش الفرنجي عددا وعدة جعل كفتهم هي الراجحة، كما أن استشهاد قائد الجيش الإسلامي وأمير البلاد حمل فلول الجيش الإسلامي على الانسحاب في جنح الظلام[4].

وسميت هذه المعركة كما ذكرنا ببلاط الشهداء؛ لكثرة من استشهد فيها من المسلمين[5] وقد بالغ بعض المؤرخين في تعداد من استشهد من المسلمين في هذه المعركة، وقيل إنه وصل إلى ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألف قتيل[6]، وهذا الرقم مبالغ فيه، ولا يمكن تصديقه

---

(١) التاريخ الأندلسي: ص ١٩٣.

(٢) بين تور وبواتييه تسعون كيلو مترا.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٤ـــ١٧٥. المقري: نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٦. شكيب ارسلان: تاريخ غزوات العرب في فرنسا: الحجي: التاريخ الأندلسي ص ١٩٣ـــ١٩٤.

(٤) علي ابراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام ص ٣٢٣. انظر الحجي: التاريخ الأندلسي ص ١٩٣ـــ٢٠٣، وفيه تفصيل عن هذه المعركة ونتائجها.

(٥) والمقصود بلفظ البلاط في مصطلح مسلمي الأندلس قصر أو حصن، وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Platum وعلى هذا فبلاط الشهداء قد يكون قصر الشهداء مما يفهم منه أن مكان الموقعة كان إلى جوار قصر أو حصن كبير، انظر حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٢٧١.

(٦) فيشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى ص ١٥٩.

لعدم معقوليته؛ فلا يمكن أن يكون في مقدور المسلمين إذ ذاك جمع جيوش بهذا العدد، وبالتالي تجهيزهم بالسلاح والعتاد في ذلك الوقت؛ لانشغالهم في الحروب بجهات متعددة، ولاضطرام الفتن الداخلية في بعض الجهات كثورات البربر في المغرب، وخلع بعض الولاة في الأندلس لطاعة الخلافة كما حصل من عثمان بن أبي عنبسة.

ومن المتفق عليه أن معركة بلاط الشهداء من المعارك الهامة في التاريخ، وكان القتال الذي دار فيها أعظم قتال حصل بين المسلمين والفرنجة، بل وبنتيجة هذه المعركة فقد المسلمون الأمل إلى حد كبير في التوغل داخل فرنسا، والسيطرة عليها، ونشر الإسلام في تلك الجهات، وإن كانت بلاط الشهداء لم تكن آخر نشاط لجهاد المسلمين وراء البرت، بل استمر جهادهم في ميادينه هناك، وفتحوا عددا من المدن مثل أريونه وجليقية وبنبلونة(١).

ظلت المناوشات بين المسلمين والنصارى مستمرة، ولم تنقطع غزوات المسلمين وجهادهم إلى حدود فرنسا بأمل الفتح، ونشر الإسلام حتى تردى أمر المسلمين وضعفت حالهم، وكانت الولايات التي لم تخضع للمسلمين خضوعا تاما تناوش باستمرار الحكومة المركزية بالأندلس، وتغزو عصاباتها التخوم والأرياف، وتنزل بالسكان أضرارا في أغلب هجماتها، مما اضطر ولاة الأندلس إلى مطاردة هذه العصابات وقتالها.

ولما علم والي أفريقيا عبيدة بن عبد الرحمن السلمي بهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء، واستشهاد قائدهم سارع ببعث وال جديد للأندلس هو **عبد الملك بن قطن الفهري**، وبعثه على رأس قوة

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩. الحجي: التاريخ الأندلسي ص ٢٠٣.

لدعم جيش المسلمين في الأندلس، ووصل الأندلس على الأرجح في شهر شوال سنة ١١٤ هـ، وكانت مدة ولايته سنتين وقيل أربع سنوات[1].

أما الخليفة هشام فقد تأثر كثيرا حينما بلغته أخبار هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء، واستشهاد قائدهم وأميرهم الغافقي، ولذلك أمر والي أفريقيا بأن يغزو فرنسا ويأخذها بالقوة من كل صوب، وكان لوالي الأندلس عبد الملك بن قطن نشاط جهادي وراء البرت، وغزا أرض البشكنش، فأوقع بهم[2]، وولي على الأندلس بعد عبد الملك **عقبة ابن الحجاج السلولي** من قبل والي أفريقيا والأندلس عبيد الله بن الحبحاب وذلك في شهر شوال سنة ١١٦ هـ[3].

ويقول ابن خلدون[4] : « إن تاريخ قدومه للأندلس سنة ١١٧ هـ وأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهدا مظفرا، حتى بلغ سكنى المسلمين أرمونه، وصارت مساكنهم على نهر ودونة ».

وكان له نشاط جهادي محمود، ويقول ابن عذاري[5] : « وكان يجاهد المشركين في كل عام ويفتتح المدائن، وهو الذي فتح مدينة أربونة، وافتتح جليقية وبنبلونة وأسكنها المسلمين وعمت فتوحه جليقية كلها غير الصخرة، فقد لجأ إليها ملك جليقية، وكان بها في ثلاثمائة رجل، فما زال

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٧٤-١٧٥. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ٢ ص ٢٨. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٣ ص ١٥-١٦، ١٨-١٩، وأنا أرجح أن تكون مدة ولايته سنتين لأن خلفه على الأندلس حسب رواية مصادرنا نفسها (الكامل لابن الأثير، والبيان المغرب لابن عذاري ونفح الطيب للمقري) بدأت ولايته على الأندلس سنة ١١٦ هـ.

(٢) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٣ ص ١٩.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس. والمغرب: ج ٢ ص ٢٩. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٣ ص ١٩.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١١٩.

(٥) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ج ٢ ص ٢٩.

المسلمون يضيقون عليها حتى صاروا ثلاثين رجلا، وحتى فنيت أزودتهم، ولم يتقوتوا إلا بعسل يجدونه في خروق الصخر، وأعيا المسلمين أمرهم فتركوهم وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها وأعظم طريقة وأعدلها ».

وذكر ابن عذاري عنه أنه صاحب بأس ونجدة ونكاية للعدو وشدة ، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام، ويقبح له عبادة الأصنام، وأسلم على يديه بهذا الفعل ألف رجل، وكانت مدة ولايته خمسة أعوام وشهرين.

ولعل عقبة خاتمة الولاة الذين قاموا بجهاد خلف البرت، وقد جرت بعد ذلك في الأندلس خلافات وأحداث شغلت المسلمين عن متابعة الجهاد، وقد اشترك أحد ولاة الأندلس السابقين عبد الملك بن قطن في خلاف حصل في الأندلس، وكانت خصومة قتل فيها عبد الملك، وقد انغمس فيها كثير من الجند ومنهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي صاحب أربونة؛ الذي انشق بجنده، وانتهى الأمر بقتله.

تولى الأمر في الأندلس بعد عقبة بن الحجاج السلوى **عبد الملك ابن قطن الفهري** مرة ثانية، ويقال أن عبد الملك خلع عقبة وتولى الأمر، وقيل أن أهل الأندلس خلعوه وأسندوا أمرهم لعبد الملك[1]، ومكث في ولايته الثانية سنة وشهرا، ثم أطاح به **بلج بن بشر القشيري** وقتله في ذي الحجة سنة ١٢٣ هـ، واستمر على ولاية الأندلس سنة وقتل في معركة دارت بينه وبين بعض المناوئين له من أبناء عبد الملك بن قطن وأتباعهم، واشتدت العصبية وثارت الفتن[2].

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١١٩.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٣٢. المصدر السابق: ص ١١٩.

وجاء بعد بلج واليا على الأندلس **ثعلبة بن سلامة العاملي** وتولى الأمر سنة ١٢٣ هـ، وبقي على ولاية الأندلس عشرة أشهر[١].

ثم قدم **أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي** واليا على الأندلس من قبل والي أفريقيا حنظلة بن صفوان وذلك سنة ١٢٥ هـ، وقد دانت له الأندلس، واستقام أمرها، وكان شجاعا كريما ذا رأي وحزم[٢].

ويقول ابن خلدون[٣] : « كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط عند ولايته في التعصب لقومه من اليمانية، وتحامل على المضرية، وأسخط قيسا »، ولم يكن له نشاط جهادي يذكر، وقد توفي الخليفة هشام وأبو الخطار على ولاية الأندلس، وقد مرت هذه الأحداث في الأندلس، والدولة الأموية في المشرق تجتاز نهايتها التي كانت سنة ١٣٢ هـ.

وقد توفي الخليفة هشام وأمير أفريقيا والأندلس هو : **حنظلة بن صفوان الكلبي**.

٥ ــ الحالة في مصر وبلاد الشام

كانت الحالة في مصر هادئة نسبيا في عهد الخليفة هشام، ولم تحدث ثورات فيها إلا ما كان من ثورة الأقباط؛ حيث أساء بعض الولاة في معاملتهم، وزيد عليهم الخراج، فقد كتب صاحب الخراج عبيد الله بن الحبحاب[٤] إلى الخليفة هشام بأن أرض مصر تحتمل الزيادة في الخراج، فزاد على كل دينار قيراطا أي نسبة ١/٢٠ فثار الأقباط لهذا الإجراء وذلك

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٣٢.
(٢) تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ١١٩.
(٣) المصدر السابق: ج ٤ ص ١٢٠.
(٤) ابن الحبحاب هو الذي أصبح واليا لأفريقيا والأندلس فيما بعد.

سنة ١٠٧ هـ أثناء ولاية الحر بن يوسف، كما تمرد الأقباط في الصعيد سنة ١٢١ هـ(١) وحاربوا عمالهم(٢).

وكان على مصر في بداية خلافة هشام سنة ١٠٥ هـ **أخوه محمد**، إلا أنه تركها بعد شهور من ولايته، وربما يكون هذا خوفا من الوباء الذي حل بمصر في أيامه(٣)، ثم ولى الخليفة هشام على مصر **الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم**، فوصل إليها في شهر ذي الحجة سنة ١٠٥ هـ(٤) وبنى قيسارية هشام بعد استئذانه، وفي عهده ثار الأقباط(٥) وبقي في ولاية مصر ثلاث سنوات، ثم أعفي من منصبه في ذي القعدة سنة ١٠٨ هـ(٦).

وأسند الخليفة ولاية مصر إلى **حفص بن الوليد**، ولم يمكث إلا أسبوعين وصرفه الخليفة عنها، وكان سبب عزله وعزل سلفه الحر بن يوسف شكاية بعث بها صاحب الخراج، عبيد الله بن الحبحاب، إلى الخليفة هشام(٧).

وكان هشام يثق بالحبحاب حتى إنه ترك له اختيار والي مصر الجديد فاختار **عبد الملك بن رفاعة** وقدم إلى مصر ــ وكان مريضاً ــ وذلك في شهر محرم سنة ١٠٩ هـ ومات واستخلف أخاه الوليد بن رفاعة على مصر،

(١) سوف أتحدث عن هاتين الحركتين في فصل الحركات والثورات.
(٢) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٣ــ٧٤. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٧٩، ٣٠٢. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٩. العُش: الدولة الأموية والأيام التي سبقتها ص ٢٨٢.
(٣) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٢. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٣٠٢.
(٤) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٣. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٣٠٢.
(٥) الكندي: كتاب الولاة. وكتاب القضاة: ص ٧٤.
(٦) المصدر السابق: ص ٧٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٥٩.
(٧) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٤ــ٧٥.
(٨) المصدر السابق: ص ٧٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٥.
(٩) كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص ٧٦.

فأقره الخليفة عليها[٨]؛ وفي ولايته نقلت بيوت من قيس إلى مصر، ويقول الكندي[٩]: «وفي ولاية الوليد نقلت قيس إلى مصر في تسع ومائة، ولم يكن لها منهم أحد قبل ذلك إلا من كان من فَهْم وعَدْوان، فوفد ابن الحبحاب على هشام، فسأله أن ينقل إليها أبياتاً فأذن له هشام في إلحاق ثلاثة آلاف منهم، وتحويل ديوانهم إلى مصر على ألا ينزلهم الفسطاط، ففرض لهم ابن الحبحاب وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقي[١] وفرقهم فيه».

وكان الوليد متسامحا مع النصارى، ويعاملهم معاملة حسنة مكنتهم من إقامة كنائسهم وتشييدها، وقد خرج عليه لذلك وهيب اليحصبي شاريا، وأراد قتله إلا أنه قتل[٢].

وقد توفي الوليد في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٧ هـ ومدة ولايته تسع سنوات وخمسة أشهر[٣]، واستخلف الوليد قبيل وفاته **عبد الرحمن ابن خالد بن مسافر** صاحب شرطته، وأقره الخليفة هشام على ولاية مصر[٤].

وكان عبد الرحمن رقيقا ليناً، وفي عهده نزلت الروم بنواحي مصر، وأسروا منها خلقا كثيرا[٥]، وقد يكون ذلك سببا في عزله المبكر في سنة ١١٨ هـ بعد سبعة أشهر وخمسة أيام من ولايته[٦].

وولى الخليفة هشام على مصر **حنظلة بن صفوان**، وكانت هذه

---

(١) الحوف: بمصر حوفان: الشرقي والغربي وهما متصلان؛ أول الشرقي من جهة الشام وآخر الغربي قرب دمياط، ويشتملان على بلدان وقرى كثيرة، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٣٢٢.

(٢) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٧ـــ٧٨.

(٣) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٥ـــ٢٦٦، ويذكر الكندي أن مدة ولايته سبع سنوات وخمسة أشهر، والصحيح أنها تسع سنوات وخمسة أشهر لأنه تولى ولاية مصر في شهر محرم سنة ١٠٩ هـ ومات وهو عليها في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٧ هـ.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٧٧.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٧٧.

(٦) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٨٠ـــ٨١. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٧٩.

ولايته الثانية على مصر، وقدم إليها في شهر محرم سنة ١١٩ هـ، وفي عهده قام الأقباط بالصعيد بحركة أخمدت[1]، واستمر حنظلة على ولاية مصر حتى شهر ربيع الاخر سنة ١٢٤ هـ، وكانت مدة ولايته الثانية خمس سنوات وثلاثة أشهر، وكان يراعي مصالح الناس ويتعامل معهم بالحزم والعدل[2]، وسبب عزله عن ولاية مصر إسناد ولاية أفريقيا والأندلس إليه، وقد استخلف **حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمي** على مصر بأمر الخليفة هشام، وقد زاد حفص أرزاق المسلمين أو على الأصح أعادها إلى ما كانت عليه قبل إنقاصها من قبل من سبقوه من الولاة اثني عشر إردبا[3]، وقد استمر حفص على ولاية مصر إلى ما بعد وفاة الخليفة هشام[4].

أما بلاد الشام فكانت آمنة مطمئنة في عهد الخليفة هشام، ولم تحدث فيها فتن أو قلاقل، وتلك هي الخاصية المميزة للحكم الأموي ، فالشام سارت مع حكمهم وتلاءمت معه، والشام ليست ولاية مستقلة يعين لها ولاة لهم نفوذ كبقية الولاة يتولون الولايات الأخرى مثل مصر؛ وذلك لكونها قاعدة الحكم الأموي، والولاة فيها بمثابة رجال الشرطة لا يستقلون بالأمور والحروب.

٦ ــ الحالة في الحجاز ونجد واليمن

كانت الأحوال هادئة في هذه المناطق أثناء خلافة هشام ولم تحدث أمور خطيرة فيما عدا خروج عباد الرعيني في اليمن سنة ١٠٧ هـ،

---

(١) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٨١. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٣٠٣.
(٢) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٨٢.
(٣) المقريزي: الخطط ج ١ ص ٣٠٣.
(٤) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ١ ص ٤١. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ج ٣ ص ٣٤.

وقد قتله هو وجميع أصحابه والي اليمن آنذاك يوسف بن عمر الثقفي[1] : ويقول الطبري[2] : « فمن ذلك ما كان من خروج عباد الرعيني باليمن محكما فقتله يوسف بن عمر، وقتل معه جميع أصحابه كلهم، وكانوا ثلاثمائة ».

أما نجد، فالمصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا بشيء واف عنها وكانت الأحوال فيها هادئة إلا ما كان من انتقاض أهل اليمامة، وقد دارت بينهم وبين والي اليمن يوسف بن عمر حروب أعادتهم إلى الطاعة[3]، وكان يليها من قبل الخليفة هشام **المهاجر بن عبد الله** من بني بكر بن كلاب، ولما مات المهاجر ولاها ابنه[4]. ويذكر ابن خلدون أن أمير اليمامة عامل يوسف بن عمر (والي اليمن)[5]، ويعني ذلك أن **إمارة اليمامة كانت تابعة لليمن**، وأنا لا أعتقد ذلك؛ لأن الشام أقرب لها من اليمن وأسهل طرقا، كما أن ربطها بإمارة الحجاز (المدينة ــ مكة ــ الطائف) أقرب للواقع.

وكان يلي الحجاز (مكة ــ المدينة ــ الطائف) في بداية عهد الخليفة هشام عبد الواحد النظري[6]، وفي سنة ١٠٦ هـ عزله الخليفة هشام، وولى مكانه خاله (خال هشام) **إبراهيم بن هشام المخزومي**، ووصل المدينة في شهر جمادى الآخرة من نفس العام[7]، وكان إبراهيم يتولى إمارة الحج في معظم سنوات إمارته[8]، وكان معتزا بنفسه يدَّعي

---

(١) يوسف بن عمر صار واليا على العراق فيما بعد.
(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٤٠.
(٣) تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ١١٠.
(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٦.
(٥) تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ١١٠.
(٦) الكبيسي: عصر هشام ص ١٥٠.
(٧) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٩. ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٣٤.
(٨) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٤٢، ٤٥، ٥٣، ٦٦، ٦٩، ٨٧.

معرفة أمور في الشريعة هو في الحقيقة جاهل بها، ويقول الطبري[1] : « قال الواقدي : خطب الناس إبراهيم بن هشام بمنى في هذه السنة (١٠٩ هـ) الغد من يوم النحر بعد الظهر فقال : سلوني فأنا ابن الوحيد، لا تسألون أحداً أعلم مني، فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأُضحية أواجبة هي أم لا؟ فما درى أي شيء يقول له فنزل ».

استمر إبراهيم على ولايته إلى سنة ١١٤ هـ وعزله الخليفة هشام، وولى على المدينة **خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم**، وولى على مكة والطائف خاله الآخر محمد بن هشام المخزومي[2] وتولى **محمد بن هشام** إمارة الحج عدة سنوات، أما **خالد بن عبد الملك فتولاها سنة ١١٤ هـ** وسنة ١١٧ هـ[3]، وكان يقوم عليها في أغلب الأحيان أمير المدينة ومكة.

وقد أصاب الناس قحط أيام إمارة خالد على المدينة، وكان يقال لها سنيات خالد ، فجلا الناس من بادية الحجاز فلحقوا بالشام[4]، واستمرت ولاية خالد على المدينة إلى سنة ١١٨ هـ[5] حيث عزله الخليفة هشام، وعين على المدينة خاله **محمد بن هشام المخزومي** أمير مكة والطائف[6]، ويبدو أن الخليفة جمع إمارة مكة والطائف والمدينة بيد خاله محمد بن هشام المخزومي، حيث يروي الطبري في أحداث

---

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩٠.

(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩١، ١٠٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨١، ١٩٥، ١٩٩، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٤٩.

(٤) الزبيري: أنساب الأشراف ج ٧ ص ٢٤٦.

(٥) ويروي خليفة بن خياط في تاريخه: ج ٢ ص ٣٧٣ : أن محمد بن هشام المخزومي قدم إلى المدينة سنة ١١٩ هـ.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٣. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١١١.

سنة ١٢١ هـ أن عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف هو محمد بن هشام[١] واستمرت ولاية محمد إلى وفاة الخليفة هشام.

أما اليمن فكان عليها من قبل الخليفة هشام يوسف بن عمر الثقفي، أسند الخليفة ولايتها إليه في شهر رمضان سنة ١٠٦ هـ، ولم يزل واليا عليها حتى أسندت إليه ولاية العراق بعد عزل أميرها خالد بن عبد الله القسري، وذلك سنة ١٢٠ هـ[٢].

ولما سار إلى العراق استخلف على اليمن **ابنه الصلت** ثم ولاها **أخاه القاسم بن عمر**، فلم يزل واليا عليها حتى مات الخليفة هشام[٣].

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٧٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٧٣. تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٤٩.

(٣) تاريخ خليفة: بن خياط ج ٢ ص ٣٧٣.

الفصل السادس

الحركات والثورات

١ ـ حركات الخوارج
٢ ـ حركات البربر في الشمال الأفريقي
٣ ـ ثورة زيد بن علي
٤ ـ ثورة الحارث بن سريج
٥ ـ حركات أخرى
٦ ـ الدعوة العباسية



الحركـات والثـورات

واجهت الدولة الأموية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كثيرا من الحركات والثورات، ويعود ذلك فيما يبدو إلى سعة رقعة الدولة، وانشغال كثير من الولاة في حروب خارجية مع الدول المجاورة في كثير من الجهات، كما لاحظنا في الفصل الخامس، كما أن بعض العناصر الداخلة في الإسلام ولمّا يتمكن من قلوبهم، ظلوا يتحسرون على ماضيهم ويتربصون بالدولة الدوائر، ويترقبون الفرص للقيام بانتفاضتهم، وإذا أضفنا إلى ذلك شدة بعض ولاة الأقاليم في تعاملهم مع شعوب أقاليمهم، تبين لنا توقع مثل هذه الحركات والثورات، والتي من أهمها في عهد هشام الحركات والثورات التالية :

١ ــ حركـات الخـوارج

انطلقت أول شرارة للخوارج عندما خرجوا على الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لما اختلفوا معه في قضية التحكيم في معركة صفين، وهو التحكيم الذي طلبه معاوية بن أبي سفيان، وقومه عندما رفعوا المصاحف، لما شعروا بتفوق جيش الخليفة علي بن أبي طالب[١] ودارت بين الخوارج وقوات علي ـ رضي الله عنه ـ معارك معروفة في التاريخ الإسلامي[٢].

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٣١٦ــ٣٢٧. حسن إبراهيم حسن: زعماء الإسلام ص ٦٦ــ٦٧.

(٢) من يرغب في الاطلاع على تفاصيل هذه المعارك فليرجع إلى تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٨ــ١٤٣. ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٣١٦ــ٣٨٩.

وكان الخليفة علي نفسه أحد ضحاياهم حيث قتله الخارجي عبد الرحمن بن مُلجم المُرادي[1]، وبعد قيام الدولة الأموية قويت شوكة الخوارج وقاوموا مؤسس هذه الدولة معاوية بن أبي سفيان بعنف، لاعتقادهم أنه لم يصل السلطة بإجماع المسلمين، وكانت مراكز قواهم غالبا ما تركزت في الكوفة والبصرة، وقاومهم معاوية بكل شدة[2].

واستمرت مقاومة الخوارج للسلطة الأموية ومناوءتها ، إضافة إلى مقاومتهم المستمرة لعبد الله بن الزبير، وأخيه مصعب في المنطقة التي كانت خاضعة لنفوذهما، قبل أن يقضي عليهما عبد الملك بن مروان، ولما تولى عبد الملك الخلافة الأموية، اختار لإمارة العراق مهد الخوارج رجلا صلبا حازما يحسم الأمور بصرامة، هو الحجاج بن يوسف[3]، واستفتح عهده بخطبته المشهورة التي حدد فيها أبعاد سياسته، وتتجلى فيها صرامته الحادة[4]، وقد تعامل الحجاج مع الخوارج بشدة وتعقبهم في كل مكان، وأسند قيادة الجيوش المحاربة لهم، إلى قائد عربي بارز، له باع في الحروب معهم قبل ذلك هو المهلب بن أبي صفرة، وأمر أهل العراق باللحاق بالمهلب، وأقسم عليهم إن وجد أحدا من عسكر المهلب لم يلحق به بعد ثلاثة أيام ليقطعن عنقه وينهب داره[5].

استمرت الأمور بين مد وجزر بين الخوراج والدولة الأموية، حتى جاء عهد هشام بن عبد الملك الذي هو موضوع بحثنا، ولم يكن الخوارج في مستوى عنفهم السابق بالذات عند بداية الدولة في عهدي

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤٣ــ١٤٧. ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٣٨٧ــ٣٨٩.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٦٥ــ١٦٦. ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٤٠٩ ــ ٤١٠.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٢٠٢. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ١١٥. ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٣٧٤.
(٤) الخطبة موجودة في كتاب الكامل لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٧٥ــ٣٧٧.
(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٣٧٦.

معاوية، وعبد الملك، ولم تكن حركاتهم ذات طابع خطير.

وقد واجه الخليفة هشام عدة ثورات من الخوارج في اليمن، وخراسان، والعراق، كما ظاهروا البربر في شمال أفريقيا، كما سنرى عند الحديث عن حركات البربر.

ففي سنة ١٠٧ هـ خرج **عباد الرعيني** باليمن ومعه ثلاثمائة رجل من أصحابه فقتله أمير اليمن آنذاك يوسف بن عمر الثقفي، وقتل جميع أصحابه[١]. وبعد الرعيني حاول خارجي آخر هو **زحاف الحميري** الخروج على والي اليمن يوسف بن عمر إلا أن يوسف قضى عليه[٢].

وفي خراسان قام الخوارج بحركتين كانت أولاهما بقيادة **صبيح الخارجي** بمنطقة هرات[٣]، وكان صبيح هذا من سبي الأزارقة ، اشتراه سوار بن الأشقر المازني وهو غلام، ولما بلغ أشده أعتقه، وكان يرى رأي الخوارج[٤]، وخرج بأربعمائة من أصحابه، وطارده عامل هرات ضرار بن الهلقام[٥] وقضى على أصحابه وفر صبيح إلا أنه أسر فيما بعد وقضي عليه[٦].

والحركة الثانية بقيادة **خالد الخارجي**، وكانت بنواحي بوشنج[٧] وهرات، وتبعه جمع كبير من الخوارج، وهاجم مرو الروذ[٨]، وقد تصدى عامل هرات ضرار بن اللهقام للخوارج بجيش كبير، لكنه أسر مع عدد

---

(١) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٤٠. انظر أيضا ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٤٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٨ ص ٢٦٣.

(٣) هرات مدينة هامة في خراسان (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ٣٩٦ـــ٣٩٧).

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٨ ص ٢٦٣ . العيون والحدائق في أخبار الحقائق: مجهول المؤلف ج ٣ ص ١٠٨ .

(٥) هرات تابعة لإمارة خراسان وأمير خراسان آنذاك الجنيد بن عبد الرحمن.

(٦) العيون والحدائق: مجهول المؤلف ج ٣ ص ١٠٨.

(٧) بوشنج: بلدة بنواحي هرات (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٤)

(٨) مرو الروذ: مدينة قرب مرو قصبة خراسان (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ٥٠٨ـــ٥٠٩).

كثير من أصحابه، وما لبث أن قتله الخوارج، أما زعيم الخوارج فمات متأثرا بجراحه وبعد موته تفرق أصحابه(١).

وفي العراق قام الخوارج بعدة حركات من أهمها حركة **بهلول بن بشر الموصلي الشيباني والملقب بكثارة**، وكانت بداية حركته في سنة ١١٩ هـ، ومكانها إحدى قرى الموصل(٢).

ويقال إن سبب خروج بهلول أنه أراد الحج وبينما هو في الطريق إلى مكة مر بقرية في السواد، وأراد أن يشتري خلاً، فأرسل رجلا له بدرهم ليشتري به الخل فأتاه بخمر بدلا من الخل. فأمره بهلول برده وأخذ الدرهم فرفض صاحب الخمر، فجاء بهلول بنفسه إلى عامل القرية وأخبره بما حصل لرسوله مع صاحب الخمر، ولكن العامل أجابه إجابة غير مرضية أثارت حفيظته(٣)، وعزم على الثورة والخروج بعد عودته من الحج(٤)، ومضى في طريقه إلى مكة لقضاء حجه، ووجد بمكة أناسا على شاكلته ولهم نفس رغبته في الخروج والثورة، فاتفقوا على العمل متضامنين في سبيل الخروج، واجتمعوا بعد عودتهم بإحدى قرى الموصل، وكانوا يقدرون بأربعين رجلا وأسندوا إمرتهم إلى بهلول، وصاروا يعملون بسرية وصمت، وتظاهروا في مسيرهم أنهم أتوا من الخليفة هشام بن عبد الملك

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٨ ورقة ٢٦٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٩.

(٣) هذا ما رواه الطبري وابن الأثير وكثير من المؤرخين، وأنا أستبعد صحة الرواية وكيف يباع الخمر بهذ الصورة ولا يقام الحد على بائعه ومتعاطيه بدولة إسلامية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم موقف أمير القرية من بهلول وبائع الخمر حسب الرواية من الصعب تصديقه، وكيف تقره السلطة على ذلك، ثم ما هي مصلحة البائع في أن يعطي خمرا بدلاً من الخل، ويصر على عدم استبداله، كل هذه الأمور تجعل القناعة في الرواية غير متوفرة، ومن ثم من غير الممكن تصديقها، وقد تكون نقمة بهلول وصحبه على والي العراق خالد بن عبد الله القسري من العوامل الأساسية في خروجهم ضده، انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٠ـــ١٣٣، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٩ـــ٢١٠.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٠.

لإنجاز بعض الأعمال، وأخذوا دواب البريد فلما انتهوا إلى القرية التي ابتاع الخمر منها قال بهلول : نبدأ أعمالنا بقتل عامل هذه القرية، فرفض أصحابه وقالوا : يجب أن نقضي أولا على خالد القسري الذي قالوا إنه يهدم المساجد، ويبني البيع والكنائس، ويولي المجوس على المسلمين، وينكح أهل الذمة المسلمات، وقالوا إذا قتلنا هذا العامل افتضح أمرنا وطوردنا قبل أن نعد أنفسنا[١]، ولكن بهلول أصر على قتل عامل القرية وقتله بالفعل، فانكشف أمرهم وبلغ خالدا خبرهم، فخرج من واسط والتقى بجنود قد خرجوا من الشام مددا لأمير الهند بقيادة واحد من بني القين من أهل الشام، وذلك في الحيرة فأمرهم خالد بقتال الثوار، ومنّاهم بالعطايا والهبات وأن يعفيهم من الخروج إلى الهند إذا قضوا على الثائر وأعوانه، وكان الخروج إلى الهند شاقا عليهم فأسرعوا إلى ذلك، وقالوا : نقتل هؤلاء النفر ونرجع إلى بلادنا[٢]، فتوجهوا لقتال بهلول ومن معه، وكان عددهم مع ما ضم إليهم من شرطة الكوفة ثمانمائة رجل[٣]، فقابلوا بهلول وقومه، ودار بينهم قتال شديد قتل فيه قائد الجيش الأموي وانهزم الجيش وتبعهم بهلول وقومه يقتلون فيهم حتى بلغوا الكوفة، وكان في الكوفة قوم يشايعون بهلول ويرون رأيه فخرجوا يريدون اللحاق به وفي طريقهم قتلهم أناس من أهل صرفين[٤].

وخرج إليهم بهلول وقال : من قتل هؤلاء القوم حتى أعطيه هذه الدراهم؟ وطمعا في الدراهم أخذ كل واحد يقول : أنا الذي قتلتهم ظنا

(١) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٣٠ــ١٣٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٩ــ٢١١.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣١.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١٠ــ٢١١.
(٤) صرفين : قرية من قرى الكوفة (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٤٠٤).

منهم أنه آتٍ من قبل والي العراق خالد القسري، وبعد أن تحقق بهلول من قتلة صحبه الحقيقيين قتلهم جميعا[1].

بلغ خالدا خبر الهزيمة وما فعله بهلول بصرفين، فوجه إليه جيشا بقيادة أحد أبناء حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني، فلقيه بهلول فيما بين الموصل والكوفة فاشتبك معهم وانهزم[2]، وارتحل بهلول إلى الموصل بمن معه، فخاف عامل الموصل من سطوته وبعث إلى الخليفة هشام يخبره بخروج بهلول وخططه، وأنه عاث في الأرض فسادا ويطلب منه النجدة والمدد لكونه غير آمن على ولايته منه[3].

وقد عدل بهلول عن خطته الأولى، ورأى البدء في القضاء على هشام فسار مع قومه يريد هشاما بالشام[4] إلا أن والي العراق ووالي الجزيرة اللذين خشيا غضب الخليفة عليهما إن تركاه يجتاز إلى الشام، جهز كل منهما جيشا، وانضم لجيشهما الجيش الذي أرسله هشام من الشام، واجتمعت هذه الجيوش بدير بين الجزيرة والموصل، وكان عددها عشرين ألفا، وأقبل بهلول وقومه إليهم وكان عددهم سبعين رجلا[5]، وحمل عليهم وقتل منهم الكثير واستمر القتال طول النهار، وكان بهلول لما رأى كثرة جيوش خصومه جعل من أصحابه ميمنة وميسرة، فقتل منهم أعدادا كثيرة، ومن ثم تحمس بهلول وأصحابه للقتال وعقروا دوابهم وترجلوا وقاتلوا قتالا مستميتا، وأصلتهم السيوف فقتل جميع أصحابه وهو يقاتل ويذود عنهم

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٢.
(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٣٢.
(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٣٢.
(٤) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٣٢. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١١.
(٥) عدد رجال بهلول أمر مشكوك فيه، ولماذا يستعد الخليفة وولاته هذا الاستعداد ويكونون هذه الجيوش الجرارة ليقاتلوا سبعين رجلا، ثم كيف يصمد هذا العدد اليسير أمام هذا الحشد الكبير، كل ذلك يجعل الأمر بعيد الاحتمال.

بشجاعة فحمل عليه رجل من جديلة يكنى أبا الموت فطعنه فصرعه[1].

قال الضحاك بن قيس يرثي بهلولا:

بدلت بعد أبي بشر وصحبته   قوم علي مع الأحزاب أعوانا
كأنهم لم يكونوا من صحابتنا   ولم يكونوا لنا بالأمس خلانا
يا عين أذري دموعا منك تهتانا   وابكي لنا صحبة بانوا وإخوانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها   وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

والملاحظ في طوائف الخوارج حماسهم الشديد لمبادئهم وقتالهم المستميت دونها في معظم معاركهم، كما هو واضح في هذه المعركة.

على أية حال، فإنه بعد إخماد حركة بهلول بن بشر والقضاء عليه، خرج في نفس السنة على الخليفة هشام **عمرو اليشكري** فلم يلبث أن قتل[2] ثم خرج في السنة نفسها **العنزي صاحب الأشهب** في نواحي الفرات قرب الكوفة، وكان عدد أتباعه ستين رجلا، فبعث إليهم والي العراق القسري السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف رجل، فالتقوا بالقرب من الفرات[3] فضغط الثائر العنزي على السمط وجيشه فضرب السمط بين أصابعه فألقى سيفه وشلت يده، إلا أن الجيش الأموي ضغط على العنزي وقومه فانهزموا، فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وقوم من أهلها ورموهم بالحجارة حتى قتلوهم[4].

وفي الحيرة خرج **وزير السختياني** سنة ١١٩ هـ أيضا فأفسد في الأرض وقتل وحرق، واستولى على بيت المال هناك فوجه إليه خالد القسري

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٢ــ١٣٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١١.

(٣) ما قيل عن عدد رجال بهلول بن بشر يقال عن رجال العنزي من حيث الشك في صحة العدد وكيف يواجهون ويصمدون أمام أعداد كبيرة كهذه الجيوش.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٤. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١٢.

جيشا مدعما بفرقة من شرطة الكوفة فنشب القتال بين الفريقين، ودارت الدائرة على الثائر وأصحابه ، وقتل جميع أصحابه بعد قتال مستميت، أما وزير السختياني فقد أثخن بالجراح وأخذ لخالد ، فوعظ خالداً وتلا عليه آيات من القرآن الكريم فأعجب خالد بما سمعه منه فامتنع عن قتله واكتفى بسجنه عنده، وأخذ يبعث إليه في بعض الليالي لإحضاره ليسامره وينادمه ويتحدث معه بأخبار ماضيهم وحاضرهم[1].

بلغ خبر ذلك للخليفة عن طريق أحد السعاة فاستشاط غضبا، لا سيما وأن السختياني سبق أن قتل وحرق وأباح الأموال، فكتب الخليفة إلى خالد يوبخه على تصرفه وموقفه مع السختياني ويأمره بقتله، وكان خالد يقول : إني أنفس به عن الموت لما يسمع بيانه وفصاحته . وقيل إنه كتب لهشام يهون من أمره ويلطف الموضوع وتأخر في تنفيذ قتله حتى كتب إليه الخليفة يوبخه ويؤنبه على عدم تنفيذ أوامره ويأمره بقتله وإحراقه فقتله حرقا ، وقد أظهر الرجل جلداً فريداً أثناء حرقه حتى مات[2].

وفي أواخر سنة ١١٩ هـ خرج **الصحاري بن شبيب بن يزيد** بنواحي حبَّل[3]، ويقول عن ذلك الطبري[4] : « وفيها أي سنة ١١٩ هـ شرى[5] الصحاري ابن شبيب وحكم بحبَّل ».

وقد وفد الصحارى على أمير العراق خالد القسري، وسأله سؤالا في الفريضة فلم يكترث به خالد ولم يجبه على سؤاله[6] وانصرف

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٤٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١١٢. محمد ماهر: الوثائق السياسية الادارية العائدة للعصر الأموي ص ٤٨٢ـ٤٨٣.

(٣) حبَّل : بلدة صغيرة بين النعمانية وواسط (انظر ياقوت الحموي: مجعم البلدان ج ٣ ص ٥١).

(٤) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٣٧.

(٥) شرى أي اتخذ مذهب الشراة وهم الخوارج.

(٦) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١٣.

الصحارى إلى واسط مغاضباً ونزل على بني تيم بن ثعلبة[1]، وتحدث لهم عما حدث له مع خالد فلاموه وقالوا له : « ما لك وابن النصرانية[2] تسأله عن الفريضة، كان أحرى بك أن تضربه بسيفك[3]، فقال لهم : والله ما أردت الا التوصل له لئلا ينكرني ثم أقتله بفلان يعني بفلان رجلاً من قعدة الصفرية، وكان خالد قتله صبرا »[4] ، ثم دعاهم إلى الخروج معه فتبعه منهم ثلاثون رجلا، وخرج بهم فبلغ خبره خالداً وقال : كنت خفتها منه[5]، ثم وجه إليه جندا فلقوه بناحية المناذر[6]، فقاتلهم قتالا شديداً إلا أنه قتل وجميع أصحابه[7].

وكانت آخر حركة للخوارج في عهد هشام هي الحركة التي ظهرت بمكان يقال له موقوع[8]، وذلك أثناء ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق (١٢٠ــ١٢٦ هـ) وكانوا تسعة عشر رجلاً وامرأة ، وقد أرسل إليهم أمير البصرة القاسم بن محمد الثقفي جيشا قضى عليهم، وأسرت المرأة وجيء بها إلى والي العراق، فأمر بقتلها فقتلت[9].

وبختام الحديث عن حركات الخوارج نلاحظ أن أياً منها لم يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الأموية، بل ولا على الولاية التي وقعت بها.

---

(١) تيم بن ثعلبة بطن من بطون العرب من طيء (انظر الزبيدي: تاريخ العروس ج ١ ص ٢١٧).

(٢) ابن النصرانية يعنون خالداً القسري لأن أمه كانت نصرانية.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١٣.

(٥) كان الصحارى قد سأل خالدا سؤالا في الفريضة فلم يأبه به أو يجبه على سؤاله، وقد ندم خالد على ذلك وخشي مغبة الأمر وها هو يقول : كنت خفتها منه.

(٦) المناذر: بلدة بنواحي خوزستان، وهي قسمان: مناذر الصغرى، ومناذر الكبرى (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ١٩٩).

(٧) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١٣.

(٨) موقوع: ماء بناحية البصرة (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ٢٢٦)

(٩) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٨ ص ٣٦٣.

وعن دوافع هذه الحركات نلاحظ أن العامل الديني كان قاسماً مشتركاً بين دوافع كثير من الحركات، والموجهة منها ضد والي العراق خالد القسري الذي كثيرا ما اتهم في دينه والانحياز إلى النصارى[1]، وقد يكون الهدف الديني القريب غلافا لهدف سياسي بعيد.

٢ ــ حركات البربر في الشمال الأفريقي

كان البربر في الشمال الأفريقي غير راضين عن بعض الأوضاع السائدة هناك، وبالذات معاملة بعض الولاة لهم، مما أثار حفيظتهم وأجج نار الفتنة[2]، فأشعلوا الثورة ضد الدولة الأموية، ومما ساعد في تفاقم الأمور وجود أعداد كبيرة من الخوارج وفدوا إلى أفريقيا من العراق، ومن ثم قاموا بتحريض البربر على الثورة، ونشروا مذهبهم الثوري بينهم[3].

وربما كان لهم أهداف سياسية يطمحون لتحقيقها رغبة في الاستقلال عن السلطة المركزية، وتركيز نفوذهم في تلك المناطق.

وقد انطلقت الشرارة الأولى في انتفاضة البربر في عهد هشام[4] في إقليم طنجة سنة ١٢٢ هـ[5]؛ حيث أساء عامل طنجة عمر بن عبد الله

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣١.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥١ــ٥٢. على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام ص ٣٢٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١ــ١٩٣. ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٠. فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٣٣١.

(٤) سبق أن ثار البربر على والي أفريقيا يزيد بن أبي مسلم سنة ١٠٢ هـ وقتلوه وذلك أثناء خلافة يزيد بن عبد الملك (انظر ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٠) .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٦٨. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥٢.

المرادي[1] معاملة البربر وقسى في معاملته المالية لهم[2] مما أثار حفيظتهم فأشعلوا نار الفتنة.

يقول ابن عذاري[3] : « إن عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة وما والاها، أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس[4] البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يستجب للإسلام ، فكان فعله الذميم هذا سببا لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير من القتل في العباد ».

ويذكر ابن عذاري أيضا[5] أن الخلفاء في المشرق يحبون طرائف المغرب، ويطالبون ولاتهم في أفريقيا ببعث المزيد منها، ويقول : « فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب، منَّاهم بالكثير (يقصد الخليفة ورجاله) وتكلَّف لهم وكلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة فحينئذ عدت البرابر على عاملهم فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحبحاب ».

ويبدو أن الاستياء كان عاما بين السكان من البربر ومن يظاهرهم من الخوارج؛ ويقول ابن الأثير[6] « تداعت البربر مسلمها وكافرها ».

---

(١) يذكر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١. أن عامل طنجة إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب ومعه عمر بن عبد الله المرادي، وما أرجحه أن والي إقليم طنجة هو المرادي أو على الأقل صاحب السلطة والقرار.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥١ـ٥٢.

(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٥١ـ٥٢. وانظر أيضا ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١، ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٠.

(٤) تخميس : أخذ الخمس.

(٥) البيان المغرب: ج ١ ص ٥٢. انظر أيضا ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٠.

(٦) الكامل: ج ٥ ص ١٩١.

وكان يقود ثورة البربر **ميسرة المدغري**[1]، ويصفه ابن عذاري بالحقير ويقول[2] : « وثارت البربر كلها مع أميرهم ميسرة الحقير ».

ويقول ابن عذاري أيضا[3] : «وتداعت بربر المغرب بأسره فثارت البربر بالمغرب الأقصى أول ثورة فيه وفي أفريقية في الإسلام ».

وقد استولى الثوار على طنجة، وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي، وبويع قائد البربر ميسرة من قبل أتباعه بالخلافة، وخوطب بأمير المؤمنين، وقويت شوكته والتفت جموع البربر حواليه[4]، وكان ميسرة يدين بمذهب الخوارج الصفرية[5].

وقد استخلف ميسرة على طنجة **عبد الأعلى بن حديج** الافريقي وكان رومي الأصل[6]، وسار هو إلى والي السوس إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب (ابن والي أفريقيا) وقضى عليه[7]، ولما علم والي أفريقيا عبيد الله بن الحبحاب بمقتل ابنه إسماعيل أمير السوس، ومقتل عامل طنجة عمر المرادي، استشاط غضباً، وكتب إلى حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع[8]

---

(١) يسميه ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١ بميسرة السقاء لأنه كان يبيع الماء بأسواق القيروان ويسميه ابن خلدون ج ٦ ص ١١٠ بميسرة المدغني.

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ج ١ ص ٥٣. انظر أيضا تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٦٨.

(٣) البيان المغرب: ج ١ ص ٥٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١. ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٠. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥٢.

(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١. ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٠.

(٦) ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٠.

(٧) تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢ ص ٣٦٨. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥٢.

(٨) حبيب هذا هو حفيد القائد الإسلامي المشهور وفاتح المغرب وباني القيروان عقبة بن نافع.

وكان على صقلية[1] ، وأمره بالعودة على الفور ليشارك في إخماد ثورة البربر ، وقد جهز ابن الحبحاب جيشا كبيرا ضم أشراف أفريقيا ووجوهها، وسيرهم بقيادة خالد بن حبيب الفهري إلى ميسرة وقومه قبل وصول حبيب، لأن الأمر لم يكن يحتمل التأخير، ولما وصل حبيب من صقلية أرسله بأثر خالد، أما خالد فسار بجيشه حتى عبر وادي شلف[2]، وهناك وصل حبيب بن أبي عبيدة بن نافع، ولم يبرح الوادي، والتقى خالد وجيشه بميسرة وقومه على مقربة من طنجة وجرت بينهم معارك طاحنة انصرف بعدها الزعيم البربري ميسرة إلى طنجة، فلم يرض البربر ذلك وقتلوه وأسندوا قيادتهم إلى **خالد بن حميد الزناتي**[3]، وسار بهم إلى مواقع خالد ابن حبيب، وجرى بينهم قتال شديد استعمل فيه البربر الخديعة، حيث فاجأوا الجيش الأموي بكمين انقض عليهم من الخلف فتكاثر عليهم البربر ، إلا أنهم قاوموا وقاتلوا ببسالة وصبروا حتى قتلوا جميعا ومن بينهم قائدهم[4]؛ يقول ابن الأثير[5] : « وقتل في هذه الوقعة حماة العرب وفرسانها فسميت غزوة الأشراف »[6].

ونتيجة لهذه المعركة اختل التوازن في أفريقيا، وانتقل الاضطراب إلى الأندلس حيث ثار أهل الأندلس – لما علموا بثورة البربر – على أميرهم عقبة بن الحجاج، فعزلوه وولوا عليهم عبد الملك بن قطن[7].

(١) قد أرسله ابن الحبحاب مع ابنه عبد الرحمن غازيا إليها سنة ١٢٢ هـ، وحقق مكاسب عسكرية (انظر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١).
(٢) وادي شلف: نهر بمقربة تيهرت (انظر ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٣).
(٣) ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٠.
(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩١ـــ١٩٢. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٣ـــ٥٤.
(٥) الكامل: ج ٥ ص ١٩٢.
(٦) ربما سميت بهذا الاسم لكثرة ما قتل فيها من أشراف العرب في أفريقيا.
(٧) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٢. ابن خلدون: ج ٦ ص ١١١. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٤.

أما ما كان من أمر حبيب بن أبي عبيدة بن نافع ومن معه، فلم يشتركوا في القتال، ولا نعلم سببا لذلك، وربما أنهم وصلوا متأخرين وعرفوا نتيجة المعركة بعد فوات الأوان، وأدركوا أنه لا قبل لهم بجحافل البربر الثائرة، فسار حبيب وقومه إلى تلمسان[1] ولما علم الخليفة هشام بما جرى في أفريقيا والأندلس من اضطراب الأمور وهزائم مرة لجيوش الخلافة ثار وقال: « والله لأغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي »[2].

استدعى الخليفة والي أفريقيا والأندلس ابن الحبحاب، وعين مكانه **كلثوم بن عياض القشيري**[3]، وسير معه جيشا كبيرا من أهل الشام، وأمر أمير كل بلد في طريقه أن يخرج معه بمن عنده من الجند، وقد انضم إليه أعداد كبيرة وقدم إلى أفريقيا في رمضان سنة ١٢٣ هـ[4].

ولم تحدد المصادر التي بين أيدينا عدد جيش كلثوم الحقيقي عندما وصل أفريقيا، وإن كان ابن عذاري[5] يذكر أن عدد جيش كلثوم عندما وصل وادي سبو[6] كان ثلاثين ألفا، وأنا أرجح أن عدد جيشه كان يفوق هذا العدد كثيرا، لأن الخليفة يدرك قوة البربر وتفاقم الأمور واضطراب الأحوال في أفريقيا، وجيش مثل ذلك لا يصنع شيئا أمام جيوش البربر الكثيفة، ثم كم عدد الجيوش التي انضمت لجيش كلثوم من الولايات التي مر بها حسب أوامر الخليفة ؟ وكم عدد ما انضم إليه من

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٢.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥٤.

(٣) الطبري في تاريخه: ج ٧ ص ٢٥٥ يسميه كلثوم بن عياض القسري.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٢. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٤.

(٥) البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب: ج ١ ص ٥٤٥.

(٦) وادي سبو: نهر بالمغرب قرب طنجة من أرض البربر (انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان ج ٣ ص ١٨٦).

بقايا الجيوش السابقة في أفريقيا وفيها جيش حبيب بن أبي عبيدة المقيم في تلمسان مواقفا للبربر هناك[1]؟!

كان على مقدمة الجيش **ابن عم كلثوم، بلج بن بشر القشيري** عندما وصل القيروان وعامل أهلها بجفاء وتكبر، وأمر أهلها ألا يغلقوا أبوابهم حتى يعرف أهل الشام منازلهم، وقال كلاما أغضبهم[2]، وكتب أهل القيروان إلى **حبيب بن أبي عبيدة**؛ وكان مواقفا للبربر بتلمسان كما مر بنا يشكون إليه بلج ، فكتب حبيب إلى والي أفريقيا كلثوم قائلا : « إن ابن عمك السفيه قال : كذا فارحل بعسكرك عنهم وإلا حولنا أعنة الخيل إليك »، فكتب كلثوم يعتذر إليه ويأمره أن يقيم بشلف حتى يقدم عليه[3].

استخلف كلثوم على القيروان **عبد الرحمن بن عقبة الغفاري** ، وسار حتى وصل معسكر حبيب بن أبي عبيدة ، وكان على مقدمته بلج ابن بشر فاستخف بلج بحبيب وسبه وجرى بينهما نزاع كاد يعصف بالجيش الأموي، إلا أنهما اصطلحا في الأخير، واجتمعا على قتال البربر[4] وكان يتزعم البربر **خالد بن حميد الزناتي**، وقد عرض حبيب على كلثوم وبلج خططاً حربية تنم عن معرفة عسكرية، إلا أنهما لم يأخذا بها، ودارت معارك طاحنة على مقربة من وادي سبو انتهت بمقتل والي أفريقيا كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة وكثير من وجوه العرب، وذهب قسم من فلول الجيش الأموي إلى الأندلس ومن بينهم بلج بن بشر وبقية فلول الجيش عادت إلى القيروان[5].

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٢.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٤.

(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٥٤.

(٤) المصدر السابق: ج ١ ص ٥٤ـ٥٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٢ـ١٩٣. ابن خلدون: ج ٦ ص ١١١. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٤ـ٥٥.

وأعتقد أن من أسباب هذه الهزيمة الصعبة اختلاف رأي قادة الجيش وعدم سماع كلثوم وبلج لرأي الآخرين، واعتدادهما بنفسيهما، ويقول ابن عذاري[1] : « ... فكان هذا الاختلاف سبب هلاكهم مع سوء رأي كلثوم وبلج ».

لقد دفعت نشوة النصر هذه البربر إلى الذهاب إلى مدينة القيروان بجيش قدر بثلاثمائة ألف رجل، بهدف نهبها واستباحتها ، إلا أن الله هزمهم بجيش قوامه اثنا عشر ألف مقاتل وتشتت جمعهم[2].

واستمرت فلول الجيش الأموي المتواجدة في القيروان تناوش البربر، ومن ذلك ما حصل عندما ظهر رجل يقال له **عكاشة بن أيوب الفزاري** بمدينة قابس، وكان على رأي الخوارج الصفرية، حيث سار إليه جيش من القيروان بقيادة **مسلمة بن سوادة**، ودار بينه وبين عكاشة وأتباعه قتال شديد انهزم فيه جيش مسلمة بن سوادة[3]، وعادوا إلى القيروان.

ويبدو أن القيادات القريبة في القيروان، نظمت صفوفها ووحدت كلمتها وأعدت قوة جديدة سيرتها مرة أخرى إلى عكاشة، وتقابل الطرفان ودارت معركة انتهت بهزيمة عكاشة وفراره وقتل الكثير من أصحابه[4].

تبلغ الخليفة هشام خبر مقتل والي أفريقيا كلثوم وهزيمة الجيش الأموي، فبعث أميراً على أفريقيا هو **حنظلة بن صفوان الكلبي** الذي كان والياً على مصر من قبل، وقد وصل أفريقيا في ربيع الاخر سنة ١٢٤ هـ[5]

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٥.

(٢) المصدر السابق: ج ١ ص ٥٦ـــ٥٧. وعدد جيش البربر يبدو أن فيه مبالغة كبيرة، ومن العسير توفر مثل هذا العدد، كما أنه ليس أمام البربر خصم قوي في ذلك الوقت حتى يحشدوا له هذا العدد.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٣.

(٥) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٩٣. ابن خلدون: ج ٦ ص ١١١. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٨.

ولم يستقر في القيروان طويلا حتى زحف إليه عكاشة بن أيوب الفزاري الخارجي في جمع عظيم من البربر، وكان عكاشة مع أتباعه سبق أن هزموا من قبل جيش القيروان، إلا أنه جمع شمله واستنفر البربر، وجاء بحشد عظيم ليأخذ بثأره، وكان يظاهره ثائر آخر لا يقل خطراً عنه هو **عبد الواحد بن يزيد الهواري**[1] في عدد كبير من المقاتلين البرابرة، واتفقا على خطة وهي أن يهجما على القيروان من جهات متغايرة، فلما قرب عكاشة من القيروان خرج إليه حنظلة ولقيه منفردا، فاقتتلا وانهزم عكاشة، وقتل من قومه عدد كبير . ويبدو أن خطتهما لم تنجح حيث لم يهجما في وقت واحد ومن جهات مختلفة حتى يربكا خصومهما.

وعاد حنظلة من فوره إلى القيروان خوفاً من مباغتة الثائر الآخر عبد الواحد الهواري لها[2]، وسير حنظلة جيشاً كثيفاً عدته أربعين ألفاً إلى عبد الواحد، ولكن الجيش لم يتوفق هذه المرة لمرض داهم الخيول لسوء تغذيتها وقد خسروا كثيرا منها، وعاد الجيش الأموي إلى القيروان[3].

أقبل عبد الواحد الهواري فنزل بالقرب من القيروان على بعد ثلاثة أميال منها بموضع يعرف بالأصنام، وقد التف حواليه ثلاثمائة ألف مقاتل[4]، فحشد حنظلة كل من في القيروان ، ونادى بالنفير العام ، واستنفر الجموع ، ووزع عليهم الأسلحة ، وخرج إلى عبد الواحد وقومه ، فلما اصطف الجيش للقتال قام العلماء يحثون الجيش الأموي على

(١) الملاحظ أن قائد البربر وزعيمهم السابق خالد بن حميد الزناتي اختفى من مسرح الأحداث وربما أنه مات أو أن قبائل منطقة طنجة البربرية ركنت إلى الهدوء.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٣.

(٣) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٩٣ــ١٩٤.

(٤) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٩٤.

الجهاد، والصبر في قتال البربر[1]، فإما النصر أو الشهادة، وقد ذكروهم بما سيفعلونه بالنساء من السبي ، والصبيان من الاسترقاق ، والرجال من القتل لو تم لهم النصر ليحفزوهم على الاستبسال في القتال، للذود عن العرض والمال والوطن، كما قامت النساء بتحريض الرجال على القتال ، فتشجع الجيش الأموي، وحملوا على البرابرة حملة واحدة ، واستماتوا في القتال حتى فازوا بالنصر ، وفر البربر وتبعهم الجيش الأموي إلى جلولاء[2] يقتلون فيهم، وقتل قائدهم عبد الواحد ، وحمل رأسه إلى قائد الجيش والي أفريقيا حنظلة، فسجد الناس لله شكراً وحمداً على نصره، وقد قتل في هذه الموقعة الفاصلة عدد كبير من البربر قدر بمائة وثمانين ألف قتيل[3].

ويقول ابن الأثير[4] : « لم يقتل في المغرب أكثر من هذه القتلة، فإن حنظلة أمر بإحصاء القتلى فعجز الناس عن ذلك حتى عدوهم بالقصب، وكان عدد القتلى مائة ألف وثمانين ألف[5] وهذه المعركة من المعارك المشهورة في التاريخ »؛ يقول عنها ابن تغري بردي[6] : « وهذه الملحمة أعظم ملحمة وقعت في الإسلام في المغرب ».

أما عكاشة الفزاري فأسر مع طائفة أخرى بمكان آخر، وحمل إلى حنظلة فقتله[7]، وكتب حنظلة إلى الخليفة هشام بالنصر، فسر بذلك

---

(١) يسميهم ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٤ بالخوارج وأحيانا بالبربر وهم برابرة خارجون.

(٢) جلولاء هذه ليست جلولاء المشهورة في بلاد فارس والتي وقعت فيها الموقعة المشهورة بين المسلمين والفرس سنة ١٦ هـ وكان النصر فيها للمسلمين، ويقول ياقوت الحموي : « وجلولاء أيضا مدينة مشهورة بافريقية، بينها وبين القيروان أربعة وعشرين ميلا » انظر معجم البلدان: ج ٢ ص ١٥٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٤. ابن خلدون: ج ٦ ص ١١١.

(٤) الكامل: ج ٥ ص ١٩٤. انظر أيضا ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٩.

(٥) يبدو لي أن الأرقام التي وردت فيما روى ابن الأثير بالنسبة للقتلى وعدد جيش عبد الواحد الهواري مبالغ فيها.

(٦) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة: ج ١ ص ٢٩٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٤. البيان المغرب: ج ١ ص ٥٩.

سرورا عظيما، وقد وقعت هذه المعركة في أواخر أيام هشام، وكان الليث ابن سعد يقول: « ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام »[1].

استعرضنا انتفاضات البربر وحركاتهم في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك في الشمال الأفريقي، وتعرضنا في بداية الموضوع للأسباب التي أدت إلى هذه الحركات.

أما النتائج التي أسفرت عنها فهي اضطراب الأحوال في أفريقيا، وضعضعة سلطة الدولة هناك، وحفر بعض الشروخ في جسم الدولة الأموية في قسمها الأفريقي والتي سهلت استقلال أجزاء من الشمال الأفريقي في وقت لاحق.

٣ ـ ثورة زيد بن علي

لم يرض العلويون عن وصول الأمويين إلى السلطة، وكانوا يرون أنهم أحق بالأمر، إلا أنهم مسالمون بعيدون عن العنف في كثير من الأحيان، وكان بعض الخلفاء الأمويين يعاملونهم معاملة طيبة تتسم بالتسامح معهم وتقديرهم[2]، وربما كان ذلك لإرضائهم وتفادي غضبهم حتى لا يقوموا بثورات ضد الدولة، ولا سيما وأنه يناصرهم الكثير من الفئات، وبالذات أهل العراق[3]، والذين كانوا على استعداد لمناصرة أي ثائر ضد الدولة الأموية. وقد لاحظنا في الحديث عن حركات الخوارج ضد الدولة الأموية أن معظمها قام في العراق.

(١) ابن خلدون: ج ٦ ص ١١٦. ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٥٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢١٣ ـ ٢٢٠. الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢١٨. تاريخ الطبري. ج ٦ ص ٥٤٧. وأيضا: ج ٧ ص ١٢ ـ ١٣ ـ ١٥. الثعالبي: لطائف المعارف ص ١٦. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص ١١٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٩.

كما أن أهل الكوفة دعوا الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الكوفة، وشجعوه على الخروج ضد الدولة الأموية ووعدوه بالمناصرة والمؤازرة، إلا أنهم قعدوا عنه وخذلوه، وانتهى الأمر باستشهاده مع رفاقه وكثير من أسرته وأهل بيته في موقعة كربلاء المشهورة، وهذا ما حصل منهم أيضا مع والده الإمام علي رضي الله عنه وأخيه الحسن(١).

واستمر العلويون في وداعتهم، لا نشاط لهم يذكر إلا ما كان من انضمامهم للمختار بن أبي عبيدة الثقفي عندما قام بثورته ضد الدولة الأموية سنة ٦٦ هـ(٢)، وأخذ يدعو باسم محمد بن علي المعروف بابن الحنفية، وتظاهر أنه يقاتل من أجل الأخذ بثأر الحسين بن علي(٣)، وقد جرت بينه وبين الجيش الأموي معركة على نهر الخازر بين أربيل والموصل، قتل فيها قائد الجيش الأموي عبيد الله بن زياد، وذلك سنة ٦٧ هـ(٤) إلا أنه قُضي على المختار من قبل مصعب بن الزبير وأخمدت ثورته بعد فترة وجيزة من انتصاره بالخازر وفي نفس السنة(٥).

ولم يسجل التاريخ في السنوات التالية شيئاً من تمرد العلويين ضد الدولة الأموية، ولما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة كان يعامل العلويين معاملة حسنة تماثل معاملة من سبقوه ، وكانوا يعيشون عيشة هادئة بعيدة عن العنف وإثارة القلاقل(٦) حتى جاءت سنة ١٢١ هـ وفيها قام زيد بن علي بثورته بالكوفة(٧).

---

(١) الكشي: الرجال ص ٢٢٤. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤٣ــ١٤٦، ١٥٩ــ١٦٠، ٣٤٧ــ٤٥٣. انظر أيضا الطبري: ج ٧ ص ١٦٨. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٦. العيون والحدائق: ج ٣ ص ٩٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٢١١.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٨٦ــ٨٩.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٦٣. تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٩٣ــ١١٠.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٣٥ ، ٣٦.

(٧) المصدر السابق: ص ١٦٠، ١٦٩.

وقد اختلفت الروايات في تحديد دوافع وأسباب مجيىء زيد إلى الكوفة، وخروجه ضد الخليفة هشام، وكان يقيم في المدينة؛

يقول عنه ابن طباطبا[1]: « كان من عظماء أهل البيت علما وزهدا وورعا ودينا وكرما ».

ويقول ابن خلدون[2] : « ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجا على هشام، داعيا للكتاب والسنة، وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء ، ورد المظالم، وأفعال الخير، ونصر أهل البيت ».

وكان الخليفة هشام يتخوف من خروج زيد عليه ، فنراه يكتب لوالي العراق يوسف بن عمر ويقول : « أَشْخِصْ زيداً إلى بلده فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعوا أهله إلا أجابوه »[3].

كما كتب ليوسف بن عمر عنه أيضا يقول : « ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة، فإني رأيته رجلا حلو اللسان، شديد البيان، خليقا بتمويه الكلام ، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله »[4].

وكان زيد يقيم بالكوفة آنذاك، كما كان الخليفة يتخوف من مناصرة أهل الكوفة لزيد، وها هو ذا يكتب ليوسف بن عمر عن أهل الكوفة وزيد ويقول : « أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم لأهل البيت ووضعهم إياهم في غير مواضعهم، لأنهم افترضوا على

(١) الفخري في الآداب السلطانية: ص ١٣٢.
(٢) تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٨. انظر أيضا الطبري: ج ٧ ص ١٧٢.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٨. محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية ص ٤٨٠.
(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٥.

أنفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم، ونحولهم[1] علم ما هو كائن حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج، وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد، ففصل أمير المؤمنين بينهما، فرأى رجلا جدلا لسنا خليقا بتمويه الكلام، وصوغه واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وبكثرة مخارجه في حججه، وما يدلي به عند لدد[2] الخصام من السطو على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج، فعجِّل إشْخِاصَهُ إلى الحجاز، ولا تخلِّهَ والمقام قبلك؛ فإن أعاره القوم أسماعهم فحشاها من لين لفظه وحلاوة منطقه، مع ما يدلي به من القرابة برسول الله ﷺ، وجدهم قُبَّلا إليه، غير متئدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم »[3].

أما سبب خروجه ضد الخليفة هشام فقد اختلفت الروايات فيه كما نوهت سابقا، فقيل: إنه كان بين زيد وبين ابن عمه عبد الله بن حسن ابن حسن بن علي خصومة على ولاية وقوف للإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وقد تخاصما فيها عند أمير المدينة خالد بن عبد الملك، إلا أنه لم يفصل فيها وأسمع زيدا ألفاظا غير لائقة، وقال زيد : والله ما لنا على هذا صبر[4]، وشخص إلى الخليفة هشام ليشكو عليه أمره، إلا أن الخليفة أهانه ولم يسمح له بالدخول عليه إلا بعد حين[5]، وكان كلما دفع إليه طلبا شرح عليه الخليفة أن إلحق بأميرك[6].

(١) نحله الشيء: نسبه إليه.
(٢) لدد الخصام: شدة الخصومة.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٩ــ١٧٠.
(٤) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٦٤ــ١٦٥. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٨.
(٥) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٦٥. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٨.
(٦) يعني أمير المدينة الذي جاء زيد شاكيا إياه على تباطئه في الفصل في خصومته مع ابن عمه وإهانته له بالكلام (انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٥)

لما سمح الخليفة لزيد بالدخول، حاوره زيد وأنكر عليه تصرفه وتصرف أمير المدينة، ثم أمره الخليفة بالخروج وقال زيد : نعم ثم لا أكون إلا بحيث تكره، ثم سار إلى الكوفة[1].

وأنا أستبعد أن يرفض الخليفة مقابلة زيد ويحبسه طويلا، وهو المعروف بالتسامح وبعد النظر لأنه يدرك أن مثل هذا التصرف سيكون له ردة فعل لدى زيد،وله أنصار كثيرون، والخليفة يسعى إلى تأليف القلوب وهدوء الأحوال، وربما كان لدى الخليفة معلومات عن نوايا زيد في الثورة والسعي وراء الخلافة، وهذا ما ذكره كل من الطبري والمسعودي[2]، ونورد هنا نص رواية المسعودي : « .. وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة، فلما مثل بين يديه، لم ير موضعا يجلس فيه، فجلس حيث انتهى به مجلسه، وقال : يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر من تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله.

فقال هشام : اسكت لا أم لك أنت، الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة ».

وقيل إن سبب شخوص زيد إلى العراق: أن يزيد[3] ابن أمير العراق السابق خالد القسري، ادَّعى أثناء التحقيق معه وتصفية أمواله من قبل يوسف بن عمر أنه أعطى مالا لزيد بن علي، ومحمد بن عمر بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبد الله بن العباس، وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكتب عنهم يوسف إلى الخليفة، وكان زيد بن علي بالرصافة

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٨.
(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٦٥. مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٠٦.
(٣) ويذكر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٣٠: أن الذي ادعى المال عند زيد ورفاقه هو خالد وليس ابنه وهذا ما أرجحه.

يومئذ ومحمد بن عمر بن علي معه، فاستدعاهم إليه وذكر لهم[1] ما ادعاه يزيد بن خالد فأنكروا وقال هشام : إنا باعثون بكم إلى يوسف بن عمر فقال زيد : أنشدك الله والرحم ألا تبعث بي إلى يوسف بن عمر .

قال : وما الذي تخاف من يوسف ؟

قال : أخاف أن يعتدي عليَّ. وهون الخليفة عليه الأمر وكتب معهم خطاباً إلى يوسف، إلا أنهم تخوفوا أن يتعدى كتاب الخليفة ويتطاول عليهم فأرسل معهم الخليفة رجلا من حرسه، وساروا إلى العراق ما عدا أيوب بن سلمة المخزومي فقد أبقاه الخليفة عنده لأنه من أخواله بني مخزوم[2]، ولما وصلوا العراق دخلوا على يوسف فسألهم عن المال الذي استودعه يزيد بن خالد عندهم، فأنكروا جميعا وقالوا : لم يستودعنا مالا ولا له قبلنا حق ، فأحضر يزيد بن خالد، فجمع بينهم وبينه، وقيل له: هذا زيد ابن علي، وهذا محمد بن عمر بن علي، وهذا فلان، وهذا فلان كنت ادعيت أنك استودعت عندهم مالا، فقال : مالي قِبَلَهُم قليلٌ ولا كثير.

فقال له يوسف : أبي تهزأ أم بأمير المؤمنين؟ فعذبه عذاباً شديداً[3]، وعاد أصحاب زيد إلى المدينة وبقي هو في الكوفة تحت إلحاح أهلها[4].

وتوجد رواية أخرى تقول : إن زيداً وداود بن علي بن عبد الله بن العباس، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، قدموا على خالد بن عبد

---

(١) المخاطبة هنا للجمع حسب رواية الطبري، والموجود من الجماعة في الأصل إثنان، ولكن فيما يبدو أن الباقين استدعوا لأن آخر الرواية تفيد أن أربعة منهم على الأقل كانوا متواجدين عندما واجه يوسف بن عمر يزيد بن خالد القسري بهم.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦١.

(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٦٠ـــ١٦١.

(٤) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٦٦.

الله القسري[1] أمير العراق قبل عزله فأجازهم ورجعوا إلى المدينة، فلما ولي يوسف بن عمر العراق كتب للخليفة بذلك، وذكر له أن خالدا ابتاع أرضا من زيد بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم رد الأرض عليه، فكتب الخليفة هشام إلى أمير المدينة أن يسيرهم إليه ففعل وحضروا بين يدي الخليفة، فسألهم عن ذلك فأقروا بالجائزة، وأنكروا ما سواها، وصدقهم الخليفة، وأمرهم بالمسير إلى العراق ليقابلوا خالدا، وساروا على كُرْهٍ، وقابلوا خالداً فصدقهم وعادوا نحو المدينة ، فلما وصلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيدا فعاد إليهم[2].

وآخر النص غير واضح فمن الذي صدقهم بعدما قابلوا خالدا؟ ويبدو أن المقصود أمير العراق يوسف بن عمر، وأنه لما قابلهم بخالد نفى خالد قضية الأرض، وصدقهم يوسف وأعادهم إلى المدينة، إلا أن زيداً عاد من القادسية إلى الكوفة بإلحاح وأماني من أهلها كما سنرى.

وهناك رواية تقول : إن الخليفة هشاماً استقدم زيداً وذكر له أن والي العراق يوسف بن عمر كتب له يقول : إن خالد بن عبد الله القسري استودعك ستمائة ألف درهم، فقال : ما لخالد عندي شيء.

قال : فلابد أن تشخص إلى يوسف بن عمر حتى يجمع بينك وبين خالد.

قال : لا توجه بي إلى عبد ثقيف يتلاعب بي

فقال الخليفة : لابد من إشخاصك إليه.

ويبدو أن زيدا احتدَّ في الكلام مع الخليفة فقال له : لقد بلغني أنك تؤهل نفسك للخلافة وأنت ابن أمة.

---

(١) يتهم خالد القسري بأنه يتعاطف مع العلويين

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٩.

قال زيد : ويلك مكان أمي يضعني ؟ والله لقد كان إسحاق بن حرة وإسماعيل ابن أمة، فاختص الله عز وجل ولد اسماعيل فجعل منهم العرب، فما زال ذلك ينمو حتى كان منهم رسول الله ثم قال : اتق الله يا هشام، فقال : أو مثلك يأمرني بتقوى الله ؟ فقال : نعم إنه ليس أحد دون أن يأمر بها، ولا أحد فوق أن يسمعها[1].

فأخرجه الخليفة مع رسل من قبله إلى والي العراق يوسف بن عمر، فلما خرج قال : والله إنني لأعلم أنه ما أحب الحياة قط أحد إلا ذل.

فلما قدم زيد الكوفة دخل إلى يوسف فقال : لِمَ أُشْخِصْتَنِي من عند أمير المؤمنين ؟ قال : ذكر خالد بن عبد الله القسري أن له عندك ستمائة ألف درهم.

وطلب زيد أن يحضر خالد فأحضره فقال له يوسف : هذا زيد بن علي فاذكر مالك عنده فقال : والله الذي لا إله إلا هو مالي عنده قليل ولا كثير، ولا أردتم بإحضاره إلا ظلمه[2]، وأمر يوسف زيداً بالخروج إلى المدينة، وطلب زيد منه أن يبقى ثلاثة أيام أو يومين إلا أن يوسف رفض بقاءه ولا ساعة، حيث طلب منه الخليفة ذلك، وخرج معه بعض الرجال الذين كلفهم يوسف بمرافقته للتأكد من سفره حتى يجتاز مسافة في طريقه إلى المدينة، ولما وصل العذيب عاد الرسل، وبعد عودتهم عاد زيد إلى الكوفة[3].

ومن المستبعد أن تحدد إقامة زيد بهذه الصفة، ويرفض الوالي أن يقيم في الكوفة ساعة واحدة.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٥.
(٢) المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٢٥.
(٣) المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٢٦.

ولقد تعددت الروايات حول خروج زيد، وادعاء والي العراق السابق خالد القسري أن له عند زيد وديعة من المال ، وربما ادعى خالد ذلك حينما كان تحت التعذيب، والمطالبة في المال للتخلص من العذاب ، أو على الأقل التخفيف عنه.

والشيء المتفق عليه أن زيداً بن علي وصل الكوفة وقد شدد والي العراق يوسف بن عمر المراقبة عليه، لأنه يعرف خطورة تواجده بين شيعته في الكوفة، وقد تخوف منه ومن أهلها الخليفة هشام من قبل كما لاحظنا.

وصارت شيعة زيد من أهل العراق تفد إليه سرا، وتشير عليه بالخروج، ويقولون له : « انا لنرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك به بنو أمية »[1].

وتتبعه يوسف بن عمر وخاف من استفحال أمره، وأمره بالخروج من الكوفة، وحاول التأخر متعللا بالمرض مرة، وأخرى بأنه ينازع بعض آل طلحة بن عبيد الله في مال بينه وبينهم في المدينة[2]، ويقول الطبري[3]: « وذكر أن زيدا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة أشهر، ويوسف يأمره بالخروج ويكتب إلى عامله على الكوفة، وهو يومئذ بالحيرة، يأمره بإزعاج زيد، وزيد يذكر أنه ينازع بعض آل طلحة في مال بينه وبينهم بالمدينة ، فيكتب العامل بذلك إلى يوسف فيقره أياما ثم يبلغه أن الشيعة تختلف إليه، فيكتب إليه أن أخرجه ولا تؤخره؛ وإنِ ادَّعى أنه ينازع فليخرجوا وليوكِّل من يقوم مقامه فيما يطالب به ».

وقد بايعه جماعة من أهل الكوفة، ولما رأى ذلك ابن عمه داود بن

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٦٦ــ١٦٧.

(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٦٧.

علي قال له : يا ابن عم، لا يغرنك هؤلاء من نفسك، ففي أهل بيتك لكَ عبرة، وفي خذلانهم إياهم.

فقال : يا داود إن بني أمية قد عتوا وقست قلوبهم.

فلم يزل به داود حتى عزم على الشخوص إلى المدينة، وشخص الاثنان حتى بلغا القادسية[1]، وتبعهما قوم من أهل الكوفة، وعزموا على زيد بالعودة إلى الكوفة، وقالوا : نحن أربعون ألفا إن رجعت إلى الكوفة، لم يتخلف عنك أحد، وأعطوه العهود والمواثيق على مناصرته، وجعل يُظهر لهم تخوفه أن يصنعوا معه مثل ما صنعوا مع أبيه وجده[2] من قبل، فحلفوا له انهم صادقون، وسيناصرونه ويذودون عنه، فقال داود بن علي : « يا ابن عم! إن هؤلاء يغرونك من نفسك، أليسوا قد خذلوا من كان أعز عليهم منك؛ جدك علي بن أبي طالب حتى قتل ، والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا منه رداءه من عنقه، وانتهبوا فسطاطه وجرحوه ، أَوَ ليسوا قد أخرجوا جدك الحسين، وحلفوا له بأوكد الإيمان ، ثم خذلوه وأسلموه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه، فلا تفعل ولا ترجع معهم »[3].

واتهم أهل الكوفة داود بأنه لا يريد أن يظهر زيد حسداً ، وأصر زيد على العودة مع أهل الكوفة، وقال له ابن عمه داود مقالة مودِّع مشفق عليه من المستقبل المجهول : « إني لخائف إن رجعت معهم ألا يكون أحد أشد عليك منهم »، ومضى داود إلى المدينة، وعاد زيد إلى الكوفة[4].

وقد حذر زيداً أحد رفاقه، وهو سلمة بن كهيل، من مغبة مبايعة

---

(١) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٦٧.

(٢) المقصود جده علي بن أبي طالب، وجده الحسين بن علي –رضي الله عنهما –

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٧–١٦٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٣٤. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٩.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٣٤–٢٣٥.

أهل الكوفة له، وذكّره بما عمل أجدادهم مع أجداده من نكث العهود والمواثيق، ومن خذلانهم في ميدان القتال، إلا أنه قال له : بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم، ولم يسمع قوله، وخرج سلمة إلى اليمامة خوفا مما سوف يحدث(١).

كما أن ابن عم زيد عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، كتب له يحذره من أهل الكوفة، ويذكر له أنهم سبق أن دعوه وأعرض عنهم ، ويصفهم بأنهم نفخ العلانية، خور السريرة، هوج في الرخاء، جزع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم، ولا تشايعهم قلوبهم ، لا يبيتون بعدة في الأحداث، ولا ينوؤن بدولة مرجوة(٢).

إلا أن زيدا استمر في طريقه ولم يسمع قول أحد ، وأقبلت عليه الشيعة تبايعه ، وقد أحصى ديوانه فكان عدد من فيه خمسة عشر ألف رجل.

ويذكر الطبري أنه أقام بالكوفة بضعة عشر شهرا، منها شهرين في البصرة(٣).

ومن غير المحتمل أن يكون قد مكث في الكوفة هذه المدة قبل ظهور أمره، وهو يقيم متخفيا عن السلطة الأموية ، وربما كانت إقامته أربعة أشهر، أو خمسة، حسبما ورد في رواية أخرى للطبري(٤) ، كما أن عدد أنصاره كان قليلا إذا ما قيس بالعدد الذي وعده به أهل الكوفة (أربعون ألفاً)، كما أنه من غير المحتمل أن يعمل زيد ديوانا لأتباعه في مثل ظروفه الصعبة، وكل عمله مُحاط بسياج من السرية ومحفوف بالمخاطر.

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٣٥. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٩.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٩.
(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٧١.
(٤) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٦٧.

ومهما يكن من أمر، فقد أرسل زيد إلى أهل السواد وأهل الموصل رجالا يدعونهم إليه[1] ولا شك أن دعوته لهم كانت محوطة بالسرية، وكان أثناء إقامته في الكوفة ينزل منازل شتى مخافة انكشاف أمره، فمرة في دار امرأته في الأزد، ومرة في أصهاره السلميين، ومرة عند نصر بن خزيمة في بني عبس، ومرات في مواقع كثيرة رغبة في اخفاء نفسه والتستر، خشية افتضاح أمره لدى أمير الكوفة، قبل أن يجهز نفسه ويتهيأ أصحابه[2].

أمر زيد أصحابه بالتأهب للخروج، فانطلق سليمان بن سراقة البارقي إلى والي العراق يوسف بن عمر، فأخبره بخبر زيد، فبعث يوسف بطلبه فلم يوجد حيث كان متخفيا كما ذكرنا[3]، وخاف زيد أن يعاجله أمير العراق فسعى إلى التعجيل بثورته قبل الموعد الذي سبق أن حدده مع أنصاره موعداً لإعلان الثورة، (يوم الاربعاء أول صفر سنة ١٢٢ هـ)، وكان على الكوفة آنذاك الحكم بن الصلت[4].

ولما علم أصحاب زيد أن والي العراق يوسف بن عمر عرف عن الثورة التي يعد لها زيد وأنه يتتبعه ، خافوا وأرادوا نكث بيعتهم له وعهودهم معه، فأتوا إليه فقالوا له : **ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ قال : رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يقول فيهما إلا خيراً.**

قالوا : فَلِمَ تطالب إذاً بدم أهل هذا البيت، إلا لأنهم وثبوا على سلطانكم فنزعوه من أيديكم؟

قال لهم زيد : إن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا أحقُّ بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا

---

(١) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٧١.
(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٧٢.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٢.
(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٨١. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٢.



عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا، وقد وُلُّوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة قالوا : فَلِم يظلِمُكَ هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتالهم؟

فقال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، إنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أجبتمونا سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل(١).

ففارقوه ونقضوا بيعته فسماهم زيد بالرافضة(٢).

وهكذا فعل أجدادهم مع أجداده، ولم يثن زيد عن المضي على الرغم من تفرق الناس من حوله، ولم يبق معه إلا مائتين وثمانية عشر رجلا، وسأل زيد عن الناس فقيل له : هم في المسجد الأعظم محصورون، فقال : لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر(٣).

وعندما علم يوسف بن عمر بالموعد الذي حدده زيد لإعلان ثورته (يوم الاربعاء الأول من شهر صفر سنة ١٢٢ هـ) بعث إلى أمير الكوفة الحكم بن الصلت يأمره أن يجمع الناس يوم الثلاثاء قبل موعِد إعلان ثورة زيد بيوم في المسجد، ويضع عليهم حراسة حتى لا يخرجوا لنصرة زيد، وكان الحراس من جند الشام.

أما زيد فخرج مع من بقي معه من رجاله، وكانوا قلة إلى المسجد لفك أسر من فيه وإطلاق سراحهم، ونادى زيد أن يا أهل المسجد

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٨٠ــ١٨١. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٢ــ٢٤٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٨١. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٢٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٣، تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٩.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٨٢. الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص ١٠٠.

اخرجوا، إلا أن أهل الشام المكلفين بحراسة من بداخل المسجد أطلوا على الناس من أعلى المسجد ورموهم بالحجارة، فانصرف زيد وصحبه وجرى بينهم وبين الجيش الأموي قتال داخل شوارع الكوفة وأزقتها، وحقق زيد بعض الانتصار في بداية الأمر، وقتل من جند الشام قرابة سبعين رجلا[١].

إلا أن يوسف بن عمر بعث إليهم بنجدة من القيقانية والبخارية[٢] وهم نشابة[٣] بقيادة سليمان بن كيسان الكلبي[٤]، وجعلوا يرمون زيداً وأصحابه حتى أثخنوهم بالجراح، ولما جن الليل أصيب زيد بسهم في جانب جبهته الأيسر ولما أخرج النصل مات زيد على الفور، ودفنه أصحابه في ساقية وأجروا الماء على قبره خوفا من أن يمثل به الأمير الأموي، إلا أن عبدا سنديا لزيد بن علي كان معهم عند دفن زيد فدل يوسف بن عمر على قبره، فأمر به ونبشت جثته وصلب[٥].

وسار يوسف إلى الكوفة ودخل المسجد وخطب في الناس خطبة تتميز بالشدة والعنف، وتشابه خطبة ابن عمه الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل العراق؛ قال فيها[٦] : « يا أهل المدرة الخبيثة، إني والله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع لي بالشنان، ولا أُخوَّف بالذنب، هيهات حبيت

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٧٤.

(٢) القيقانية والبخارية: ليسوا من أصل عربي حسبما يظهر من اللقب، والقيقان من بلاد السند مما يلي خراسان (انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢٢) أما البخارية فيذكر الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك: ج ٥ ص ٢٩٨ أن عبد الله بن زياد غزا الترك في بخارى سنة ٥٤ هـ، وأسر منهم ألفين وقدم بهم إلى البصرة وكلهم جيد الرمي بالنشاب.

(٣) نشابة : مهرة بالرمي بالنشاب.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٨٦.

(٥) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٨٦ـــ١٨٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٥ـــ٢٤٦. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ١٠٠.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٩١.

بالساعد الأشد؛ أبشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان، لا عطاء لكم ولا رزق، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم وأحرمكم أموالكم، أما والله ما علوت منبري إلا أسمعتكم ما تكرهون عليه، فإنكم أهل بغي وخلاف، ما منكم إلا من حارب الله ورسوله إلا حكيم بن شريك المحاربي، ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو أذن لقتلت مقاتلكم وسبيت ذراريكم ».

ومن الخطبة يتضح أمران :

الأول : غضب وحنق والي العراق على أهل الكوفة.

الثاني : تسامح الخليفة هشام مع أهل الكوفة وعدم موافقة والي العراق على قتل الرجال وسبي الذراري.

أما يحيى بن زيد، فإنه بعد مقتل والده هرب متخفياً إلى خراسان مع نفر من الزيدية[1]، وحط رحاله ببلخ وتوارى عن الأنظار، ثم ألقي القبض عليه وسجن، وبالتالي كتب أمير خراسان نصر بن سيار إلى والي العراق[2] يوسف بن عمر يخبره بأمر يحيى، فكتب يوسف بذلك إلى الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك[3] فكتب الوليد إلى نصر مباشرة يأمره بأن يؤمن يحيى ويخلي سبيل أصحابه[4].

أطلق نصر سراحه وأمره أن يلحق بالخليفة الوليد، وأمر له بألفي درهم، راح يحيى يتنقل بين البلدان، ولم يذهب إلى الخليفة[5]، وجمع بعض الأنصار، واستجمع قواه وصادم أمير خراسان، ودارت معارك بينه بين

---

(١) المصدر السابق: ج ٧ ص ١٨٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٤٧.

(٢) ولاية خراسان أثناء إمارة نصر عليها تابعة لوالي العراق (انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٤١)

(٣) تولى الوليد الخلافة بعد وفاة هشام بن عبد الملك.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٢٨. ابن الأثير يذكر أن نصراً كتب للخليفة مباشرة: ولكن المرجح ألا يكتب للخليفة مباشرة لأنه مرتبط بوالي العراق بأمر الخليفة (انظر الكامل: ج ٥ ص ٢٧١).

(٥) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٢٨ـــ٢٢٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٧١.

الجيش الأموي بالجوزجان[1] انتهت بقتله، وصلبه وذلك سنة ١٢٥ هـ[2].

ونلاحظ في ثورة زيد بن علي افتقارها إلى التخطيط والعمق، وعدم الاستفادة من أخطاء من سبقوه، وبالذات ركونه إلى أهل الكوفة متناسيا ماضيهم مع أجداده وتحذير المخلصين له من نكث أهل الكوفة وخذلانهم إياه، إلا أنه لم يأخذ بالآراء، وهذا في الحقيقة نمط كل الثورات التي قام بها آل علي، لم تنته بنتائج إيجابية كالتي انتهت إليها حركة أبناء عمومتهم العباسيين، حيث أطاحوا بالأمويين وحلوا محلهم في السلطة كما سنرى.

٤ ــ ثورة الحارث بن سريج

في سنة ١١٦ هـ خلع الحارث بن سريج طاعة الخليفة هشام بخراسان، وكان بالنخذ[3]، وأقبل إلى الفارياب[4]، ويقول ابن خلدون[5] : «كان الحرث (الحارث)[6] هذا عظيم الأزد بخراسان، فخلع سنة ست عشرة ومئة [١١٦ هـ] ولبس السواد ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا على ما كان عليه دعاة بني العباس».

وقد وصف الحارث بأنه مسلم ورع، وقد اشترك في صفوف المسلمين في حروبهم مع الترك وأبلى بلاء حسنا، وهو الذي قال يحض الناس في قتالهم مع الترك في إحدى المعارك : « أيها الناس القتل

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٢٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٧١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٢٨ــ٢٣٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٧١ــ٢٧٢. ابن مهنا: عمدة الطالب في أنساب آل طالب ص ٢٣١.

(٣) نُخذ، بضم أوله وفتح ثانيه، ناحية بخراسان بين عدة نواح منها : الفارياب، وذم، واليهودية، وأمل (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ٢٧٦)

(٤) الفارياب : مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربي جيحون (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ٢٢٩).

(٥) تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٢. انظر أيضا ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٣.

(٦) ابن خلدون: يسميه الحرث ولكن الصحيح الحارث.

بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت »[1]، ومن ثم تغير على الدولة الأموية، وقلب لها ظهر المجن، وشارك أعداءها في الحروب ضدها[2].

أما عن قيامه بثورته واتخاذ السواد شعاراً، فيبدو أن سوء الأحوال في منطقة خراسان وبلاد ما وراء النهر، وضعف سلطة بعض الولاة الأمويين هناك دفع الحارث إلى أن يقوم بثورته، وهو حسب شعاره المعلن قام يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه[3]، ومن ذلك يستنتج أن الحارث لم يكن راضيا عن سير الأمور في خراسان، ولا على المعاملة التي كان يمارسها بعض الولاة مع بعض الفئات هناك.

ويقول فلهوزن[4] في معرض حديثه عن تذمر الموالي في خراسان: « ... وقد بدأ الحارث ثورته مستندا إلى هذا التذمر، فحرض الموالي وأثارهم بأن وعدهم بإحقاق حقهم فيما وعدوا به من إسقاط الجزية عنهم، كما وعدهم بأن يشركهم في الأعطيات التي كانت تعطى للمقاتلة ».

ويسوق الطبري روايات تدل على تذمر الموالي وبعض العرب في خراسان من معاملة بعض الولاة لهم[5]، وقد انضم كثير من الموالي إلى صف الحارث[6].

وليس بغريب تهافت الموالي لمناصرة الحارث لأنهم كثيرا ما انضموا لكل ثائر ضد السلطة الأموية، وآزروا ثورته، كما سنرى تأييدهم ومؤازرتهم للدعوة العباسية.

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١١٩.
(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ١١٩.
(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩٥. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٢.
(٤) تاريخ الدولة العربية: ص ٤٤٢.
(٥) انظر تاريخ الرسل والملوك: ج ٦ ص ٥٥٩، وج ٧ ص ٢٠، ٩٦، ١١٠.
(٦) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩٦، ١١٠. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٤.

وقد يكون دافع الحارث في الأساس سياسيا، وتسيطر عليه روح الانتقام، حيث سبق أن ضربه العامل الأموي على بلخ، التجيبي بن ضبيعة المري ــ أثناء ولاية الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان (١١١ــ١١٦هـ) ــ أربعين سوطا[١]، ولا شك أنه كان حاقداً على الدولة، ويطمح إلى الانتقام منها والإطاحة بها، بالإضافة إلى رغبته في تحقيق طموحاته السياسية من غلبة على تلك الجهات.

والمرجح أنه أراد بإعلانه الدعوة لكتاب الله وسنة نبيه وأنه يكافح من أجل نصرة المظلومين لكسب الأنصار والأعوان، وقد حصل ذلك له حيث انضم إلى صفوفه الكثير من الموالي والعرب الناقمين على الدولة الأموية[٢]، ويقول ابن الأثير[٣] : « وأقبل الحارث إلى مروٍ يقال في ستين ألفا، ومعه فرسان الأزد وتميم منهم : محمد بن المثنى، وحماد بن عامر الحماني، وداود الأعسر، وبشر بن أنيف الرياحي، وعطاء الدبوسي، ومن الدهاقين دهقان الجوزجان، ودهقان الفارياب، وملك الطالقان، ودهقان مرو الروذ ».

أما عن اتخاذ السواد، فمن المحتمل أن ذلك كان لكسب الأنصار والتأييد أيضا، وهناك روايات كثيرة ينقلها صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية[٤] حول انتصار أهل الرايات السود، وأن رسول الله ﷺ حض المسلمين على تأييد حملة الرايات السود المقبلين من خراسان[٥].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٥.

(٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩٦، ١١٠.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٥ ص ١٨٤.

(٤) أخبار الدولة العباسية: مؤلف مجهول ص ١٩٩، ٢٠٧. انظر أيضا الكبيسي: عصر هشام بن عبد الملك ص ٢٤٨.

(٥) روايات صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية تحتاج إلى غربلة وتمحيص، وأنا أشك بصحتها، ولكن ربما سيقت لتحبيب الناس بالدعوة العباسية التى اتخذت شعارها السواد وتحفيزهم للانضمام لها، وكذلك =

مهما يكن الأمر فقد انطلقت شرارة ثورة الحارث في النخذ كما ذكرنا، ومنها أقبل إلى الفارياب فاستولى عليها، وأراد **والي خراسان عاصم ابن عبد الله الهلالي** أن يرد الحارث إلى صف الجماعة ، فأرسل له **مقاتل ابن حيان النبطي ، وحطاب بن محرز السلمي** يدعوانه لذلك ، إلا أنه سجنهما وأوكل بهما أحد رجاله، فأوثقاه وهربا من السجن، وعادا إلى عاصم فأخبراه بخبث سيرة الحارث ، فأمرهما أن يعلنا للناس ذلك ففعلا[1]، ولا شك أن عاصماً أراد بذلك تشويه سمعة الحارث حتى ينفر منه الناس.

ومن الفارياب توجه الحارث إلى بلخ بأربعة آلاف رجل، وكان عليها **نصر بن سيار والتجيبي بن ضبيعة المري** فلقيا الحارث بعشرة آلاف رجل[2] فقاتلهم ومن معهما فانهزم الجيش الأموي وتبعه الحارث ودخل مدينة بلخ، وخرج منها نصر بن سيار، وأمر الحارث بالكف عنهم، وأمَّر عليها **سليمان بن عبد الله بن حازم**[3]، ويقول الطبري[4] : « إن الحارث دعاهم إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا، فلم يجيبوه فدار القتال بينهم ».

وبعد غلبة الحارث على بلخ سار إلى الجوزجان، فغلب عليها كما غلب على الطالقان ومرو الروذ[5]، وقد استشار أصحابه إلى أي بلد يقصد بعد ذلك فأشاروا عليه بعدم التوجه إلى مرو لكونها بيضة خراسان وفرسانها

= الحال بالنسبة للحارث بن سريج، ويقول الشاعر الكميت : من قصيدة نقلها الطبري في تاريخه: ج ٧ ص ٩٤ـ٩٥ :

وإلا فارفعوا الرايات سودا ... على أهل الضلالة والتعدي

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٣.
(٢) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٨٣.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٥. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٣. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٢.
(٤) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٩٥.
(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٣.

كثيرون وقالوا : « ... ولو لم يلقوك إلا بعبيدهم لانتصفوا منك فأقم ، فإن أتوك قاتلتهم، وإن قاوموك قطعت المادة عنهم »(١).

إلا أنه لم يأخذ برأيهم واتجه إلى مرو، وكان على رأس جيش كبير ضم فرسان العرب وكبار العجم وقوامه ستون ألفا(٢).

ويلاحظ سرعة تزايد أنصار الحارث حيث ارتفع عدد جيشه من أربعة آلاف إلى ستين ألف، وهذه قفزة كبيرة إن صح رقم جيشه الأخير.

ويبدو أن بعض أهل مرو كاتبوا الحارث ووعدوه أن يقفوا معه، ولما علم والي خراسان عاصم الهلالي بذلك هددهم بإخلاء المدينة وباللحاق بأرض قومه أبرشهر(٣)، وأن يطلب من هناك النجدة من الخليفة وقال : « يا أهل خراسان قد بايعتم الحارث بن سريج، لا يقصد مدينة إلا أخليتموها له، إني لاحق بأرض قومي أبرشهر، وكاتب منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدني بعشرة آلاف من أهل الشام »(٤) فقال له المجشر بن مزاحم : « إن أعطوك بيعتهم بالطلاق والعتاق فأقم ، وإن أبوا فسر حتى تنزل أبرشهر »(٥) فأعطوه العهود والمواثيق بمناصرته ، وأن يبقوا معه حتى النصر أو يموتون دونه إن بذل لهم المال فوعدهم بذلك(٦).

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٥-٩٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٤. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٢.

(٣) أبرشهر: هي نيسابور، ويقول الشاعر البحتري يرثي طاهر بن عبد الله بن الحسين :

وللّه قبر في خراسان أدركت ... نواحيه أقطار العلا والمآثر
مقيم بأدنى أبرشهر وطوله ... على قصر آفاق البلاد الظواهر

(انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ٦٥-٦٦)

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٦. وكأن عاصماً بتحديد هوية المدد أنهم من أهل الشام يريد أن يشعر أهل خراسان أنه غير واثق بهم، وأن ثقته تتوفر بأهل الشام أكثر.

(٥) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩٦.

(٦) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩٦.

خرج عاصم بأهل مرو ومن معه من غيرهم فعسكر بجياسر[1]، وفرق المال بين الجند، والتقى الجيشان، وجرت مناظرة بين الطرفين تستهدف إنهاء النزاع، إلا أنها لم تسفر عن نتيجة ، وانضم كثير من جيش الحارث إلى الجيش الأموي ، ودارت معركة بينهما انتهت بهزيمة الحارث ، وغرق كثير من أصحابه في نهر مرو والنهر الأعظم ، وانصرف الدهاقين إلى بلادهم[2].

عقب هذه الهزيمة جرت مفاوضات بين عاصم والحارث قام بها سفراء من الطرفين لم تسفر عن نتيجة تنهي الحرب وترد الثائر إلى صف الجماعة[3]، وجرى بعدها بين الفريقين قتال عنيف انهزم على إثره الحارث واجتاز نهر مرو وكف عنه عاصم، وكان ما بقي معه ثلاثة آلاف رجل، وقتل من قومه مائة رجل[4]، ويقول الطبري[5] : « لما هزم الحارث كف عنه عاصم ولو ألح عليه لأهلكه ».

وهكذا نرى تخلي الناس عن الحارث ، وهذا يعطي الدلالة على أنهم لم يقتنعوا بصحة ما ادعاه، وما يدعو إليه، لذلك تخلوا عنه وشكُّوا في أمره ، فنرى خالد بن عبد الله بن حبيب أحد أعوانه وهو يناظر الحارث وينوي التخلي عنه يقول : « ألم تزعم أنه لا يرد لك رأيه ؟ »[6].

وفي سنة ١١٧ هـ عزل الخليفة هشام والي خراسان عاصم بن عبد الله، وكان عاصم غير مرتبط بوالي العراق، واتصاله بالخليفة مباشرة[7]، وأمر

(١) جياسر : قرية من قرى مرو (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ١٩٥) .

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٧. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٤. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٧.

(٤) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩٨. تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٩٢.

(٥) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٩٨.

(٦) المصدر السابق: ج ٧ ص ٩٨.

(٧) وهذه من المرات القلائل التي تفصل فيها ولاية خراسان عن ولاية العراق، لأنها كانت مرتبطة بها في عهد هشام في أغلب الأحيان، وواليها يراجع إلى والي العراق (انظر تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٩٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٦-١٨٧)

الخليفة والي العراق خالد بن عبد الله القسري أن يرسل أخاه أسداً لخراسان ليصلح ما أفسده عاصم[1].

أما عاصم فلما بلغه أن الخليفة عين **أسد القسري** مكانه أراد أن يصالح الحارث، وكتبا وثيقة تتضمن أن ينزل الحارث أي منطقة من مناطق خراسان شاء، وأن يكتبا للخليفة يسألانه بكتاب الله وسنة نبيه، فإن أبى اجتمعا عليه ، ووقعت الوثيقة من بعض رؤساء القوم معهم، ورفض التوقيع عليها **يحيى بن حضين بن المنذر** وقال : « هذا خلع لأمير المؤمنين » وانتقض الاتفاق[2].

وجرت معركة بين عاصم والحارث قبيل وصول أسد إلى خراسان، وذلك بأعلى مرو انهزم فيها الحارث، وقتل من أصحابه الكثير ، كما أسر منهم ثمانون رجلاً أكثرهم من بني تميم (قبيلة الحارث)، وقتلهم عاصم[3].

وصل أسد بن عبد الله خراسان وكانت هذه ولايته الثانية عليها، ولما علم بخبر اتفاق عاصم مع الحارث، وموقف يحيى بن حضين من الاتفاقية أجلَّ له موقفه وكتب لأخيه خالداً والي العراق يخبره بذلك ، فأمره بإجازة يحيى بعشرة آلاف درهم وكساه مائة[4] حلة[5].

واصل أسد قتال الحارث ، وقسم جيشه إلى قسمين قسم يتكون من أهل الكوفة وأهل الشام وعليهم **عبد الرحمن بن نعيم الغامدي** أرسله

---

(١) تحدثنا عن ذلك في الفصل الخامس عند الحديث عن الأحوال الداخلية في خراسان.
(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٧.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٠٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٧.
(٤) يبدو أن عدد الحلل مبالغ فيه لأنه من غير المعقول من وجهة نظري أن يجاز بمائة كسوة.
(٥) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٠٤. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٧.

لقتال الحارث في نواحي مرو الروذ ، وقسم سار بهم أسد إلى آمل[1]، واستطاع أن يخضع كثيراً من المدن التي سقطت في يد الحارث، وقد سلك سبيل السياسة والمهادنة حيناً وأحياناً استعمل الشدة والعنف . يقول الطبري[2] : « سار أسد إلى سمرقند في طريق زم[3] فلما قدم زم، بعث إلى الهيثم الشيباني ــ وهو في باذكر وهو من أصحاب الحارث ــ فقال : إنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم؛ ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند، وأنا أريد سمرقند، وعليَّ عهد الله وذمته ألا يبدأك مني شر، ولك المواساة واللطف والكرامة والأمان لمن معك ، وإن أبيت ما دعوتك إليه فعليَّ عهد الله وذمة أمير المؤمنين وذمة الأمير خالد[4]، وإن رميت بسهم ألا أؤمنك بعده، وإن جعلت لك ألف أمان لا أفي لك به ».

وقد حقق أسد انتصارات كبيرة حيث هزم خيول آمل، وكانت بقيادة زياد القرشي مولى حيان النبطي، وحاصر مدينة آمل وكان عليها أحد أنصار الحارث وهو خالد بن عبد الله الهجري، وطلب أهلها الأمان فأمنهم ووافق على مطالبهم[5]، واستعمل على آمل يحيى بن نعيم الشيباني، وسار إلى بلخ ومنها توجه إلى ترمذ، وكان الحارث محاصراً لها، ونزل أسد دون النهر ولم يستطع العبور إليهم، ولم يستطع أيضا أن يمد أهل ترمذ بالمساعدة ، وجرى قتال بين أهل ترمذ والحارث انهزم فيه أهل ترمذ لأن الحارث استعمل معهم الخديعة في الحرب حيث جعل كمينا من خلفهم وثبوا بهم دون علمهم[6].

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٠٥.

(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٠٦. أيضا انظر ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٩.

(٣) زم: بلدة صغيرة على طريق جيحون من ترمذ وآمل (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ١٥١)

(٤) يعني أمير العراق خالد القسري.

(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٨.

(٦) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٨.

ثم رحل أسد إلى بلخ دون أن يعمل شيئا لأهل ترمذ حسبما يتضح لنا من المصادر التي بين أيدينا، إلا أن أهل ترمذ جمعوا وأعدوا أنفسهم وخرجوا إلى الحارث مرة أخرى، وهزموه شر هزيمة، وقتلوا جماعة من أعيان قومه(١).

في سنة ١١٨ هـ اتخذ أسد مدينة بلخ حاضرة لولايته، ونقل إليها الدواوين، واتخذ المصانع، وجهز الجيوش وسيرها غازية إلى طخارستان وغنمت، وأرسل أسد **جديع الكرماني** على رأس قوة إلى القلعة التي كان فيها أهل الحارث وبعض أصحابه، وتدعى التبوشكان، فحاصرها الكرماني حتى استسلموا، فقتل مقاتليهم ، وسبى عامة أهلها من العرب والموالي، وباعهم في المزاد العلني في سوق بلخ(٢).

وبدأت جوانب بناء الحارث تتصدع، فبالإضافة إلى ما حل بأهله وأصحابه نقم عليه جمع من أتباعه وانشقوا عليه وعددهم أربعمائة وخمسون رجلاً، وكان رئيسهم **جرير بن ميمون القاضي**، وقد طلبوا من أسد الأمان بعد أن اتفقوا مع الحارث أن يرحل عنهم وارتحل بالفعل، وسرَّح أسد إليهم جديع الكرماني في ستة آلاف رجل، وحاصرهم وقد عطشوا وجاعوا فطلبوا أن ينزلوا على الحكم ويُترك لهم نساؤهم وأولادهم، فأجابهم على ذلك، فنزلوا على حكم أسد، فأرسل إلى الكرمان أن يحمل إليه خمسين رجلاً منهم المهاجر بن ميمون القاضي فحملوا إليه فقتلهم، وكتب إلى الكرماني أن يجعل الذي عنده أثلاثا: فثلث يقتلهم، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم، وثلث يقطع أيديهم فنفذ الكرماني أمر أسد وباع أمتعتهم(٣).

---

(١) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٨٨ــ١٨٩.

(٢) ويبدو إن صَحَّتْ الرواية عن بيع العرب والموالي في المزاد العلني مع أنني أستبعد ذلك أن أسداً كان حانقاً عليهم لذلك عاملهم معاملة الرق وأسرى الحرب من الكفار.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٧ــ١٩٨.

ولما رأى الحارث ما حل بأهله وأصحابه رحل إلى نواحي طخارستان ، ولما قامت الحرب بين العرب والترك في سنة ١١٩ هـ انضم الحارث إلى الترك وقاتل في صفوفهم[١]، ويقول الطبري[٢] : « فأصبح أسد فصلى وخطب الناس وقال : إن عدوّ الله الحارث بن سريج استجلب طاغيته (يعني خاقان الترك) ليطفىء نور الله ويبدل دينه، والله مذله إن شاء الله ».

وقد دارت معارك بين جيش أسد وجيوش الترك والحارث بن سريج، وقد حقق أسد انتصاراً حيث قتل وغنم، وفر الترك لا يلوون على شيء. يقول ابن الأثير[٣] : « ذهب الترك في الأرض لا يلوون على أحد ».

أما خاقان ففر، وكان الحارث يحميه أثناء فراره ويدافع عنه[٤]، ثم إن خاقان جهز نفسه واستجمع قواه واستعد للحرب ثانية، وجاء لمحاصرة سمرقند، وكان معه الحارث بن سريج، وقد حمله وأصحابه خاقان على خمسة آلاف برذون[٥]، إلا أن خاقان نازع كورصول أحد قادته على لعبة بينهما (النرد) فكسر كورصول يده وهدده خاقان بكسر يده إلا أن كورصل بيته وقتله، وانتهى أمره وتفرق الترك ونشبت الفتنة بينهم ما بين قتل ونهب[٦].

وقد عاود الحارث مناصرة الترك ثانية في سنة ١٢١ هـ أثناء ولاية نصر بن سيار على خراسان، حيث انضم إلى صفوف خاقان الترك الجديد كورصول الذي سبق أن قتل سلفه وحل محله، ودارت معارك بين

---

(١) المصدر السابق: ج ٥ ص ٢٠٣.
(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١١٩.
(٣) الكامل في التاريخ: ج ٥ ص ٢٠٤.
(٤) المصدر السابق: ج ٥ ص ٢٠٥.
(٥) هذا الرقم إن كان صحيحا يفيد أن الحارث لا زال له أتباع كثيرون.
(٦) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٥.

الطرفين انتهت بقتل الزعيم التركي وتفرق أصحابه[1].

أما الحارث بن سريج، فقد أمر والي العراق وشرق الدولة الإسلامية يوسف بن عمر أمير خراسان نصر بن سيار أن يسير إليه، ويقول الطبري[2] : « كتب يوسف بن عمر إلى نصر: سر إلى هذا الغارز ذنبه بالشاش (يعني الحارث) فإن ظفرك الله به وبأهل الشاش، فخرب بلادهم، واسْبِ ذراريهم، وإياك وورطة المسلمين ».

وقد نفذ نصر أمر يوسف، وسير قوة بقيادة **يحيى بن الحضين** إلى الشاش، وجرت مناوشات بين الطرفين، ثم سار نصر بنفسه على رأس جيش إلى الشاش، فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن، واشترط عليه نصر أن يخرج الحارث بن سريج عن بلده فأخرجه إلى الفارياب[3].

والمصادر التي بين أيدينا لا تعطي أي إشارة عن أخبار الحارث منذ خروجه من الشاش سنة ١٢١ هـ إلا في سنة ١٢٧ هـ، وخلال خلافة الوليد بن يزيد حيث يذكر الطبري[4] : « أن الحارث بن سريج وافى مرو خارجاً إليها من بلاد الترك بالأمان الذي كتبه له الخليفة الوليد بن يزيد، فصار إلى نصر بن سيار أمير خراسان، ثم خالفه وبايعه على الخلاف جمع كبير، ولم يلبث أن قتل مع أخيه وعدد من أعوانه بالقرب من حائط مرو وذلك سنة ١٢٨ هـ[5].

وهكذا انتهت هذه الثورة ولم يكن لها نتائج سوى ما ساهمت به مع الحركات الأخرى من ضعضعة قوى الدولة في قسمها الشرقي ، فقد

---

(١) المصدر السابق: ج ٥ ص ٢٣٦ـ٢٣٧.
(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ١٧٥.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٣٨.
(٤) تاريخ الرسل والملوك: ج ٧ ص ٣٠٩.
(٥) المصدر السابق: ج ٧ ص ٣٠٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٣٤٢ـ٣٤٦.

تسبب ذلك في خلخلة بناء الدولة في إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر.

٥ ـ حركات أخرى

قامت في عهد الخليفة هشام بالإضافة إلى ما ذكرنا بعض الحركات البسيطة التي لم يكن لها تأثير يذكر، إلا أننا من باب الإحاطة بالشيء سنتعرض لها، ومن ذلك **حركة القبط في مصر سنة ١٠٧ هـ** أثناء ولاية **الحر بن يوسف**، وأسباب ذلك أن عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر آنذاك، كتب إلى الخليفة هشام بأن أرض مصر تحتمل زيادة خراجها لوفرة إنتاجها، فزاد على كل دينار قيراطا (١/٢٠) فأثار هذا حفيظة أهل مصر من القبط، فتمردوا على الدولة، وكان مركز التمرد قرى الحوف[٢] الشرقي[٣].

فبعث لهم والي مصر الحر بن يوسف أهل الديوان[٤] فقاتلوهم وقتل منهم أناس كثيرون، وأخمدت حركتهم، وهذا أول انتقاض للقبط في مصر[٥]، وقد رابط الحر في دمياط ثلاثة أشهر، ومن ثم استخلف عليها حفص بن الوليد[٦]، ومرابطة والي مصر في دمياط يعني أنه كان يخشى انتقاض القبط مرة ثانية.

والمصادر التي بين أيدينا لا تشير إلى خلاف القبط إلا في سنة ١٢١ هـ حيث ثاروا في الصعيد وحاربوا عمالهم، وكان ذلك أثناء ولاية

---

(١) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٣. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٧٩.
(٢) الحوف بمصر حوفان: الشرقي والغربي، وهما متصلان؛ أول الشرقي من جهة الشام، وآخر الغربي قرب دمياط يشتملان على بلدان وقرى كثيرة (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٣٢٢).
(٣) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٣. الريس: الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٣٥.
(٤) يبدو أن المقصود بأهل الديوان: هم الجند النظاميين أي المسجلين بالديوان.
(٥) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٤. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٧٩.
(٦) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٧٤. المقريزي: الخطط ج ١ ص ٧٩.

حنظلة بن صفوان على مصـــر ، فأرسل لهم حنظلة أهل الديوان أيضا فقتلوا من القبط الكثير، وأخمدوا حركتهم[1].

لم تواجه الدولة أية صعوبة في إخماد حركتي القبط ، ولم يكن لهاتين الحركتين أي تأثير على مستقبل الدولة في مصر.

وفي الكوفة خرج على الدولة المغيرة بن سعيد وآخر يدعى بيان[2]، وكانوا يدعون الوصفاء وذلك سنة ١١٩ هـ[3]، وقد ادعى المغيرة السحر وأنه يستطيع أن يعمل الكثير من المعجزات[4]، وكان يرى تأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتكفير من عداه من الصحابة إلا من ثبت مع علي[5]، ويقول ابن الأثير[6] : « جاء المغيرة إلى محمد الباقر فقال له : أقرر أنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق فقال : أعوذ بالله ».

أما بيان فإنه هو الآخر كان يقول بالهية علي وبنية، وادعى النبوة ، وزعم أنه المراد بقوله تعالى « هذا بيان للناس »[7].

وما أن علم خالد بن عبد الله القسري والي العراق بخبرهم، حتى أرسل لهم من قضى على فتنتهم وأسر المغيرة وأصحابه، وأحضروا لخالد فأمر بهم فأحرقوا.

---

(١) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٨١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٢٨١.

(٢) المصادر التي بين أيدينا لا تذكر اسم بيان الكامل.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٢٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٧.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٢٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٧ــ٢٠٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٨ــ٢٠٩.

(٦) المصدر السابق: ج ٥ ص ٢٠٩.

(٧) المصدر السابق: ج ٥ ص ٢٠٩ .

ويبدو أن عدد من انضم لحركة المغيرة وبيان كان قليلا جدا وقد رفضهم الناس ولم يتبعهم إلا القليل[1]، ولم يجد والي العراق صعوبة في القضاء على حركتهم.

٦ ــ الدعــوة العباسيــة

لم يعمل أحد من العباسيين على الدعوة لنفسه بالخلافة طيلة القرن الأول الهجري، بل اقتصر الأمر في المطالبة بالخلافة والسعي للوصول إليها على أبناء علي بن أبي طالب وأحفاده، الذين كانوا يرون أنهم أصحاب الحق الشرعي في الخلافة، واستندوا في ذلك على بعض الأدلة، وناهضوا الأمويين بشدة[2]، وبذلوا في ذلك الأرواح والأموال بدءا بالحسن، ومرورا بأخيه الحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وانتهاءا بزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب وابنه يحيى.

أما العباسيون فكانوا ملتزمين بالهدوء، بعيدين عن التيارات السياسية والصراعات حول السلطة، ومستفيدين في الوقت نفسه مما كان يجري لبني عمومتهم العلويين، وما يجري منهم من نزاع وحركات تضعف الدولة الأموية التي يخططون للإطاحة بها وتولي مقاليد الأمور من بعدها.

وظل العباسيون على موقفهم هذا حتى مطلع القرن الثاني الهجري، حيث كانت الأحوال السياسية تنبئ عن حدوث انقلاب كبير في الدولة الإسلامية، فكثر أنصار الخوارج والشيعة وقوي حزباهما حيث أخذ الضعف يدب في دولة بني أمية .

ولا شك أن تردي الأحوال في الدولة الأموية شجع العباسيين على

(١) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٢٨ــ١٢٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٠٨ــ٢٠٩.

(٢) جمال سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ص ٧٧١.

التطلع إلى نيل الحكم، إلا أن الكثير من المصادر ترد انتقال المطالبة بالخلافة من العلويين إلى العباسيين إلى **وصية أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رأس العلويين** في السنوات الأخيرة من القرن الأول الهجري، والذي يقال عنه أنه كان في زيارة للخليفة سليمان بن عبد الملك، ومعه عدد من الشيعة، فرأى سليمان من فصاحته وبلاغته ما أخافه منه وحسده عليه، وتظاهر بإكرامه وقضى حوائج من وفد معه من شيعته، لكنه ما لبث أن دبر قتله بالسم وهو في طريقه إلى أرض الشراة وذلك سنة ٩٨ هـ[١].

ولما أحس أبو هشام بدنو أجله قصد ابن عمه **علي بن عبد الله بن العباس وابنه محمد في الحميمة[٢]، حيث كانا يقيمان هناك، وقد أوصى أبو هشام إلى علي وأولاده بالإمامة والدعوة من بعده، كما أوصاهم بالشيعة خيرا، والتفت شيعة أبي هشام حول علي وبنيه[٣].**

ومن هذه الوصية تحول حق المطالبة بالخلافة من بيت علي بن أبي طالب إلى البيت العباسي، وتأخذ الحيرة الباحث حول أسباب تنازل أبي هاشم رئيس الفرع العلوي عن الدعوة والمطالبة بالخلافة لعلي بن عبد الله بن العباس رئيس الفرع العباسي وأبنائه، ويقال إن السبب هو عدم وجود من يعتمد عليه من العلويين لخلافة أبي هاشم في المطالبة بالخلافة والدعوة إلى ذلك، ثم هل يعني أن تنازل أبي هاشم عن هذا الحق يحرم باقي العلويين من المطالبة بالخلافة والسعي إليها، إن ذلك لم يثنهم عن السعي في طلب الخلافة، وقد لاحظنا كيف ثار بعد تاريخ تنازل أبي هاشم

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٣ ص ٤٠، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥٣.

(٢) الحميمة: من أرض الشراة من أعمال عمان، من أطراف الشام كانت منزل بني العباس (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٧. انظر أيضا حاشية الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٨).

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٤٠ــ١٤١. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥٣. أخبار الدولة العباسية: مؤلف مجهول ص ١٨٦.

زيد بن علي، وسعى إلى نيل الخلافة والإطاحة بالدولة الأموية إلا أنه قضي عليه ، ومن بعد ثار ابنه يحيى وقضي عليه أيضا، وحتى في العهد العباسي لم يتوقف نشاط آل علي في السعي لنيل الخلافة، حيث ثار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية، وأخوه إبراهيم ضد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، واستطاع المنصور أن يقضي عليهما، فقتل محمد النفس الزكية بالمدينة المنورة، وقتل إبراهيم بالبصرة[1].

إن الشك يراودنا في صحة رواية تنازل أبي هشام لعلي بن عبد الله ابن العباس وبنيه ، ويبدو أن دعاة بني العباس أرادوا بإشاعة ذلك إضفاء الصبغة الشرعية على دعوتهم وكسب العلويين إلى جانبهم، وكذلك الفرس الذين كثيراً ما ساندوا العلويين[2].

ومهما تكن، الأمور فإن الزعيم العباسي **محمد بن علي**، وجد الوقت مناسبا، والفرصة مواتية لممارسة نشاطه، وبدأ الدعوة وأرسل الدعاة من مركز إقامته الحميمة، وقد بدأ نشاطه حتى في حياة والده الذي عاش إلى سنة ١١٧ هـ، **وكانت بداية الدعوة سنة ١٠٠ هـ حيث وفد على الزعيم العباسي محمد بن علي عدد من الشيعة وبايعوه**[3]، وكان ممن قدموا على محمد بن علي **ميسرة العبدي، وأبو عكرمة السراج، ومحمد ابن خنيس ، وحيان العطار** ، وقالوا : « **ابسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان، لعل الله أن يحيي بك العدل، ويميت بك الجور، فإن هذا**

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٤ــ٢٩٨. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥٤٥ــ٥٥٤، ٥٦٠ــ٥٧٠.

(٢) من يرغب في تفصيل وتحليل أكثر في هذا الموضوع، فبإمكانه الرجوع إلى كتابنا، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ص ٩٦ــ٩٨.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٢. تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٦٢. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥٣.



وقت ذلك وأوانه والذي وجدناه مأثوراً عن علمائكم »[1].

وكان أولئك النفر هم نواة الدعاة العباسيين، حيث أرسل محمد بن علي ميسرة العبدي إلى العراق، ووجه محمد بن خنيس، وأبا عكرمة السراج، وحيان العطار إلى خراسان وأمرهم بالدعوة له ولآل بيته[2]، وكانت الدعوة محاطة بسرية تامة حيث أوصاهم الزعيم العباسي محمد بن علي أن يدعوا الناس في رفق وستر[3].

ويتساءل البعض عن أسباب توجيه الدعاة للعراق وخراسان دون باقي الجهات، ولكن التساءل أو الحيرة تزول إذا عرفنا أن الزعيم العباسي محمد بن علي كان يتميز بعقل راجح، وعلى دراية كبيرة بالأمور، لذلك أدرك أن العراق وبالذات منطقة الكوفة مركز التشيع، على استعداد للتعاون مع دعوته ومؤازرتها[4] لا سيما وأنها للرضا من آل محمد، أما خراسان فالأحوال فيها لم تكن مستقرة، ونار العصبية فيها كانت متأججة، كما أن كثيراً من الموالي لم يكونوا راضيين عن الحكم الأموي لأمر أو لآخر، وعلى استعداد للتعاون ومناصرة أي ثائر ضد الدولة الأموية، كما أن الدعوة لآل البيت مؤداها نقل الخلافة إلى بيت النبي ﷺ، وفي هذه الفكرة تقارب مع ما كان سائداً عند الفرس من نظام الملكية الفارسية القديمة منذ أيام الساسانيين[5].

وكان اختيار محمد بن علي لمراكز دعوته اختياراً موفقاً حقق النجاح المطلوب، وكان يدرك شعور أهل الولايات الإسلامية وولاءاتهم

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٢. انظر تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٦٢.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٦٢.
(٣) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٢.
(٤) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٦٩.
(٥) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ١٢.

وميولهم السياسية قبل أن يوجه إليها الدعاة، فنراه يقول في الخطاب الذي وجهه إلى بعض دعاته : « ... أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول : كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كاعلاج، ومسلمون في أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، وعداوة لنا راسخة وجهلا متراكبا، وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سالمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل، ولم يقدح فيها فساد، وما يزالون يدالون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات تخرج من أجواف منكرة، وبعد فكأني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح هذا الخلق »[١].

كما أن اختيار محمد بن علي لموقع إقامته الحميمة ينم عن ذكاء وبعد نظر، حيث إنه من هذه القرية الصغيرة كان ينظم الدعوة ويدير الأمور، وهي قرية صغيرة في ظاهرها، ولكنها في الواقع لها موقع جغرافي هام حيث كانت تشرف على القوافل التجارية، وتقع على مقربة من ملتقى طرق الحج[٢].

وتتجلى مهارة الزعيم العباسي محمد بن علي وحذقه وحسن سياسته، في المنهج الذي رسمه لدعوته وفي اختيار الشعارات للدعوة، ومهنة الدعاة وتحديد أسلوب الدعوة، وطريقة التعامل مع الناس، فقد أمر دعاته أن يدعوا للرضا من آل محمد، ويقول موصياً أحد دعاته : « إن

---

(١) أخبار الدولة العباسية (مؤلف مجهول): ج ٢ ص ١٢.

(٢) المؤلف: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ص ٩٨.

دعوت أحدا من العامة فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد، فإذا وثقت بالرجل في عقله وبصيرته فاشرح له أمركم، وقل بحجتك التي لا يعقلها إلا أولو الألباب، وليكن اسمي مستورا عن كل أحد »[1]، وهذه دعوة ذكية يظنها العلويون المخلصون وأنصارهم دعوة من أجلهم، ويعتقد الخراسانيون أنها إنما تعني صاحب الحق الإلهي، لذلك كثر أنصار الدعوة وبقي صاحبها في مأمن من قبضة الأمويين حتى أواخر أيام الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ، حيث انكشف صاحب الدعوة إبراهيم بن محمد وألقى عليه الخليفة الأموي مروان بن محمد القبض وسجنه ومات ميتة غامضة، وكان أمر الدعوة قد قوي وعودها قد اشتد، ولم يؤثر ذلك فيها حيث قام في الأمر بعده أبو العباس السفاح أول خليفة عباسي[2].

وقد أمر محمد بن علي دعاته أن يمارسوا مهنة التجارة ويمارسوها ظاهرياً ، أما حقيقة أمرهم فبث الدعوة وغرس جذورها في القلوب، وقد ساعدهم ذلك في إخفاء هدفهم عن أنظار بني أمية في كثير من الأحوال[3].

وكان لا يسمح لأحد من الدعاة بالاتصال بالحميمة إلا عن طريق المشرف على الدعوة في العراق، إمعانا في السرية حتى لا ينكشف المركز الرئيسي لنشاط العباسيين التنظيمي وهو الحميمة، ولم ينكشف أمر الحميمة إلا في أواخر الحركة وقبيل انتقال أقطاب البيت العباسي إلى العراق سنة ١٣٢ هـ كما ذكرنا[4].

---

(١) أخبار الدولة العباسية: ص ٢٠٤.
(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢٠٣ـ٢٠٤.
(٣) أخبار الدولة العباسية: ص ٢٠٣ـ٢٠٤.
(٤) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٥٧ـ٣٥٩. المؤلف: أثر الفرس السياسي ص ١٠١.

وقد أوصى محمد بن علي دعاته باللين واللطف أثناء نشر الدعوة، حتى لا ينكشف أمرهم، وقال[1] : « إنه محرم عليكم أن تشهروا سيفا على عدوكم كفوا أيديكم حتى يؤذن لكم »، وقال أيضا[2] : « ... فاكتموا أمركم وترفقوا في دعوتكم »، كما أوصى الدعاة بالأناة وعدم التسرع حتى لا يقعوا فيما وقع فيه العلويون من التسرع وعدم الاستعداد، وقال[3] : « وحذر شيعتنا التحرك مما يتحرك فيه بنو عمنا آل طالب ».

سبق أن ذكرنا أن الزعيم العباسي محمد بن علي أرسل دعاته لكل من العراق وخراسان، ولما زاد عدد مناصري الدعوة والدعاة استوجب الأمر أن يعمل المشرف عليها تنظيما لكيانها، وكان هذا التنظيم في غاية الدقة والسرية[4].

وقد اشتمل تنظيم جهاز الدعوة الإداري على سلسلة من المراتب، تبدأ بمرتبة النقباء، وكان عددهم اثني عشر نقيباً[5]، والنقباء وحدهم هم الذين كانوا يعرفون سر إمام الدعوة، ويحتفظون بهذا السر لأنفسهم، ويلي مرتبة النقباء مرتبة نظراء النقباء، وعددهم يساوي عدد النقباء والنظير يخلف النقيب في حالة وفاته[6].

ثم يأتي بعد ذلك الدعاة وعددهم سبعون داعيا[7] ثم دعاة الدعاة[8]، وقد أوضحت القيادة أن تشكيل الجهاز وتنظيم كادر رجالات

---

(١) أخبار الدولة العباسية: ص ٢٠٤.
(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٦.
(٣) أخبار الدولة العباسية: ص ٢٠٠.
(٤) حسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٦.
(٥) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٦٣. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥٣.
(٦) أخبار الدولة العباسية: ص ٢١٩.
(٧) المقدسي: البدء والتاريخ ج ٦ ص ٥٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥٣ــ٥٤. أخبار الدولة العباسية: ص ٢٢١ــ٢٢٢.
(٨) أخبار الدولة العباسية: ص ٢٢٢ــ٢٢٣.

الدعوة وضع لتيسير مهمة الدعوة وليس لخلق فروق بين رجال الدعوة، وليس هناك تفضيل لأحد على أحد إلا بالعمل[1].

وكان لهذا التنظيم أثره الطيب في تقدم الدعوة وتطورها وانتشارها، كما كان لطريقة اختيار النقباء والدعاة تأثير جيد على نجاح الدعوة، حيث اختير كثير منهم من بلدان متعددة من خراسان، سواء من أهلها أو المقيمين بها وهي : مرو، ونسا، وأبيورد، وبلخ، ومرو الروذ، وخوارزم، وآمل. وكل داعية كان سفيرا للدعوة في بلده، وقد قام كل منهم بما وكل إليه من عمل خير قيام ، ونجحوا في نشر الدعوة والدعاية لها في البلدان التي وكل إليهم الدعوة فيها، وكان لمعظمهم قدرات عسكرية جيدة، وقد تفانوا في سبيل الدعوة وأخلصوا لها حتى كتب لها النجاح[2].

قام رجال الدعوة العباسية بما وكل إليهم من مهام متخذين من توصيات الزعيم العباسي محمد بن علي منهجا يسيرون عليه ويلتزمون بخططه، وكل ذلك والدولة الأموية في غفلة عما يجري في الساحة حتى استفحل الأمر واتسع الخرق على الراقع

وكان يقوم على الدعوة في العراق في البداية ميسرة العبدي[3]، ولما مات ميسرة أقام محمد بن علي على الدعوة في العراق **بكير بن ماهان** ويصفه الدينوري بأنه رجل مفوه[4]، وقام بالدعوة وأنفق في سبيلها الأموال، وبعد وفاته رأس الدعوة في العراق **أبو سلمة الخلال**[5] الذي سمي فيما بعد بوزير آل محمد[6]، وقد قام بدور كبير في تنظيم الدعوة

---

(١) المصدر السابق: ص ٢١٥. المؤلف: أثر الفرس السياسي ص ١٠٣.
(٢) أخبار الدولة العباسية: ص ٢٢٦ـــ٢٢٩. المؤلف: أثر الفرس ص ١٠٤.
(٣) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٦٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ١٠ ص ٢٥٨.
(٤) الأخبار الطوال: ص ٣٣٤.
(٥) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٣٣٩.
(٦) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٤. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧٠.

والدعاية لها والعمل من أجلها ونشرها حتى قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية.

وقد ربط الزعيم العباسي محمد بن علي رئيس الدعوة في خراسان برئيس الدعوة في العراق، وأمره أن يكاتبه، ويقول الدينوري[1] : « ... ثم كتب (يعني محمد بن علي) إلى أبي عكرمة وحيان[2] وكانا صاحبي الأمر في خراسان يأمرهما أن يكاتبا أبا سلمة، فدعاهما إلى الدخول معه في أمره، فأجاباه ودخلا معه وكَانَفَاه ».

أما الدعوة في خراسان فقد قام في تنظيمها عدد من الرجال منهم : أبو عكرمة السراج مولى ابن عباس[3]، وكان أول الدعاة[4] وكان يظاهره عدد من النقباء والدعاة منهم : محمد بن خنيس، وحيان العطار، وسليمان بن كثير الخزاعي[5]، ولاهز بن قريظ، وخالد بن إبراهيم أبو داود، وعمران بن إسماعيل أبو النجم[6]. وقد واجه الدعاة صعوبات بالغة وصلت إلى حد التعذيب والقتل من قبل السلطة الأموية في خراسان، وممن قتل في سبيل الدعوة أبو عكرمة السراج، وحيان العطار[7] ولم يثن ذلك عزائم بقية النقباء والدعاة، بل زادهم عزيمة وإصراراً على بلوغ الهدف.

وممن قام بالدعوة في خراسان عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة، وتحمس للدعوة وسعى إلى نشرها، وخلفه على الدعوة كثير الكوفي وكان نشيطاً عمل على نشر الدعوة بصبر وثبات، وفي سنة ١١٨ هـ وجه بكير

---

(١) الأخبار الطوال: ص ٣٣٤.
(٢) المقصود أبو عكرمة السراج وحيان العطار. وكانفاه: عاوناه (القاموس المحيط / ١٠٩٩، ط ١ ١٤٠٦ مؤسسة الرسالة.
(٣) يسميه ابن الأثير أحيانا بأبي محمد الصادق (انظر الكامل ج ٥ ص ٥٣).
(٤) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٦٢. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥٣.
(٥) خزاعة من قبيلة الأزد القحطانية (انظر عمر كحالة: معجم قبائل العرب ج ١ ص ٣٣٨ــ٣٤٠).
(٦) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٥٦٢.
(٧) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٣٦، ١٤٤. الشيبي: مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص ٢٣.

بن ماهان رئيس الدعوة في العراق والمشرف على الدعوة في خراسان عمار بن يزيد إلى خراسان ليرأس شيعة بني العباس هناك ويشرف على الدعوة[1]، وأقام بالدعوة وأطاعة الناس إلا أنه انحرف وخرج عن الإسلام بدعوته إلى المحرمات، وغير اسمه وتسمى بخداش، وعلم بأمره أمير خراسان أسد بن عبد الله القسري، وتابعه حتى ألقى القبض عليه، وناظره فأغلظ خداش القول لأسد فأمر به فقتل[2].

ثم وجه الزعيم العباسي محمد بن علي بخمسة نفر من شيعته إلى خراسان: هم سليمان بن كثير الخزاعي[3]، ومالك بن الهيثم، وموسى بن كعب، وخالد بن الهيثم، وطلحة بن زريق، وأمرهم بكتمان أمرهم وألا يفشوه لأحد إلا بعد أن يأخذوا العهود المؤكدة بالكتمان، فقاموا بنشاط وهمة في نشر الدعوة والترغيب في الانضمام إليها[4].

أخذت جذور الدعوة تتعمق في سهول خراسان وشعابها واتسعت خلاياها ، وأصبح لابد من وجود رئيس للدعوة يشرف عليها ، ويصرف أمورها ، وينظم تحركها ، ويكون على مستوى جيد وقدر كبير من الكفاءة والحزم والصرامة، لأن المرحلة القادمة مرحلة بالغة الخطورة، حيث هي مرحلة المواجهة مع الخصم ومحاولة الوصول إلى الغاية، وهي الإطاحة بالخلافة الأموية، ونقل السلطة من البيت الأموي إلى البيت العباسي ، وإما الفناء المدمر لجميع الدعوة ورجالها، وقد طلب أعضاء الدعوة في خراسان

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٩٦.
(٢) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٩٦.
(٣) الخزاعي: أحد النقباء في خراسان كما مر بنا، وربما أنه جاء لمراجعة محمد بن علي في بعض الأمور، وقد يكون جاء مبعوثا من قبل شيعة بني العباس في خراسان بعد فتنة خداش، وهذا ما يذكره ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢١٨.
(٤) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٥.

من صاحب الدعوة إبراهيم بن محمد بن علي — **الذي تسلم قيادة الدعوة بعد وفاة والده** — تعيين رئيس لها، وقد اختار لهذا الأمر رجلا فارسياً في مقتبل العمر وصف بالحزم والعلم والشدة والدهاء هو **أبو مسلم الخراساني**[1]، وكان لأبي مسلم هذا دور فعال في نجاح الدعوة العباسية في خراسان، ومن ثم قيام دولة بني العباس، وقد أرسله إبراهيم بن محمد ، إلى خراسان سنة ١٢٨ هـ وأثناء خلافة مروان بن محمد وأمر الشيعة بالسمع والطاعة له[2].

وكتب صاحب الدعوة إبراهيم بن محمد إلى شيعته في خراسان كتابا يتضمن توجيههم ورسم الخطط المستقبلية لهم، ويأمرهم بطاعة أبي مسلم، وتسليمه مقاليد أمورهم، وهذا نص الكتاب[3] « صدق وعد الله لأوليائه وحقت كلمة الله على أعدائه ولا تبديل لكلمات الله ولن يخلف الله الميعاد، إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، أما بعد : فأعدوا لأعداء الله النيات، فإنها سيوف لا تلي ، وأعدوا لأعداء الله البصائر فإنها جنن يقيكم الله بها بأسهم، واستشعروا الطاعة فإنها سهام لا تطيش ، واعلموا أنه بحسب السلامة في النيات تكون السلامة في الأبدان من نكبات الظالمين، وعلى قدر الزيادة في البصائر يزيد الله أهلها في الأيد والبطش، فاستبصروا اليقين وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، أما بعد : فقد وجهت إليكم مجد الدهر عبد الرحمن بن مسلم مولاي، فألقوا إليه أزمة أموركم، وحملوه أعباء الورد لها

---

(١) قال المأمون لما ذُكر أبو مسلم عنده : « أجل ملوك الأرض ثلاثة هم الذين قاموا بثقل الدول الاسكندر، واردشير، وأبو مسلم الخراساني » (انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٧ ويراود الباحث بعض الشكوك أن يقول المأمون هذا الكلام، لأن ذلك يقلل من قيمة أجداده كمؤسسين للدولة، ومشرفين على دعوتها قبل ذلك، والمأمون بهذ القول يقرر أن أبا مسلم هو الذي قام بثقل الدولة.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٥٨، ٣٤٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٧.

(٣) أخبار الدولة العباسية: ص ٢٦٩ـ٢٧٠.

والصدر في محاربة عدوكم ، وعاهدوا الله على الطاعة، وكونوا بحبله معتصمين، وقال تعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[١] ، وقد أمر إبراهيم ابن محمد أبا مسلم بمكاتبة أبي سلمة الخلال رئيس الدعوة في العراق ويعني ذلك تبعيته له[٢].

قام أبو مسلم بالدعوة في خراسان بحزم وعزم وكفاءة، حتى قويت شوكته، وضرب خصومه واحدا بآخر. حتى ضعفوا، وقضى عليهم واحد بعد الآخر، ومما ساعد أبا مسلم في نجاح أمره اشتعال نار العصبية في خراسان، واختلاف رأي الجماعة، والنزاع الحاد بين الوالي الأموي نصر بن سيار، وزعماء المعارضة هناك مثل الحارث بن سريج، وجديع الكرماني[٣]، وقد تحولت الدعوة العباسية إلى ثورة متأججة شملت كل أنحاء خراسان والعراق، وقد قضت على الدولة الأموية[٤]. وتولى بنو العباس الخلافة الإسلامية، ونجح بنو العباس فيما فشل به بنو عمومتهم العلويون سنين طويلة وذلك بإعلان قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ[٥].

---

(١) سورة النور آية ٥٥.

(٢) أخبار الدولة العباسية: ص ٢٧٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٣٥٦ـ٣٦٦.

(٤) نلاحظ أن دعاة بني العباس أثناء خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ـ١٢٥ هـ) لم يكن لهم نشاط مواجهة بل دعوة سرية ، وتعتبر الانطلاقة الحقيقية للدعوة العباسية في خراسان بعد إسناد رئاستها إلى أبي مسلم الخراساني سنة ١٢٨ هـ.

(٥) من له رغبة في تفصيل أكثر عن دور أبي مسلم الخراساني ومجريات الدعوة العباسية ومن ثم الثورة فبإمكانه الرجوع إلى كتابنا، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ص ١٠٩ـ١٧٦.



مصـادر ومراجـع الكتـاب

أولاً : المصـــادر :

١ ـ ابن الأثير : عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير.
الكامل في التاريخ، الأجزاء : الثالث، الرابع، الخامس.
دار صادر بيروت ودار بيروت ١٣٨٥ هـ.

٢ ـ ابن الأثير : المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (شقيق الأول)
النهاية في الأثر في غريب الحديث والأثر، الجزء الرابع، دار احياء التراث ـ بيروت.

٣ ـ الإربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو
خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، مكتبة المثنى ـ بغداد

٤ ـ الأزدي : أبو زكريا يزيد بن محمد
تاريخ الموصل، دار التحرير والنشر ـ القاهرة ١٣٨٧ هـ
تحقيق د. / علي حبيبة

٥ ـ الإصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد
مسالك الممالك

٦ ــ **الإصفهانــــي** : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد
أ ــ الأغاني : الجزئين الخامس عشر والحادي والعشرين، دار الثقافة ــ بيروت ١٩٥٨ م
تحقيق عبد الستار أحمد فراج
ب ــ مقاتل الطالبيين، المطبعة الحديثة ــ النجف ١٣٥٣ هـ

٧ ــ **البغـــــدادي** : أبو منصور عبد القادر طاهر
الفرق بين الفرق ــ القاهرة ١٩١٠ م تحقيق محمد بدر

٨ ــ **البــــلاذري** : الإمام أبو الحسن
أ ــ فتوح البلدان، دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٩٨ هـ ــ راجعه وعلق عليه محمد رضوان
ب ــ أنساب الأشراف « مخطوط » الجزء الثامن

٩ ــ **ابن تغري بردي** : جمال الدين أبو المحاسن يوسف
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

١٠ ــ **الثعالبـــــــي** : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل
لطائف المعارف ليدن ١٨٦٧ م

١١ ــ **الجاحـــــظ** : عمرو بن بحر
البخلاء ــ القاهرة ١٩٦٣ م

١٢ ـ الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس
الوزراء والكتاب الطبعة الأولى، مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة، تحقيق مصطفى السقاء وآخرون

١٣ ـ الجوهري : اسماعيل بن حماد
تاج اللغة وصحاح العربية، الجزئين : الثاني والثالث، دار العلم للملايين ـ بيروت، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار

١٤ ـ ابن حزم : علي بن أحمد
جمهرة أنساب العرب، دار المعارف ـ مصر ١٣٨٢هـ تحقيق عبد السلام هارون.

١٥ ـ الحموي : شهاب أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
معجم البلدان، الأجزاء : الأول، الثاني، الثالث، الرابع، الخامس، دار صادر ـ بيروت، ودار بيروت

١٦ ـ ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك، مكتبة المثنى ـ بغداد

١٧ ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد
أ ـ مقدمة ابن خلدون، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت
ب ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر « المعروف بتاريخ ابن خلدون » الأجزاء : الثالث، الرابع، السادس

١٨ ــ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزئين : الثالث، الرابع، دار صادر ــ بيروت، تحقيق د. / إحسان عباس

١٩ ــ ابن خياط : خليفة
تاريخ خليفة بن خياط، الحزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب بالنجف ١٣٨٦ هـ، تحقيق د. / أكرم ضياء العمري.

٢٠ ــ الدياربكري : حسين بن محمد الحسن
تاريخ الخميس في أخبار أنفس نفيس، الجزء الثاني
مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ــ بيروت

٢١ ــ الدينوري : أبو حنيفة بن داود
الأخبار الطوال، الطبعة الأولى، القاهرة، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر، تحقيق ومراجعة د. / جمال الدين الشيال وزميله

٢٢ ــ الذهبي : محمد بن أحمد
أ ــ تاريخ الإسلام الجزء الثالث ــ القاهرة ١٢٢٩ هـ
ب ــ سير أعلام النبلاء، الجزئين الأول والرابع، تحقيق د. / محمد أسعد أطلس / معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

٢٣ ـ الزبيدي : محمد مرتضى
تاج العروس الجزء الثامن، دار صادر ـ بيروت ١٣٨٦ هـ

٢٤ ـ الزبيري : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن مصعب
نسب قريش، دار المعارف ـ مصر، عني بتحقيقه ونشره والتعليق عليه ليفي بروفنسال

٢٥ ـ الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر
أساس البلاغة، دار صادر ـ بيروت

٢٦ ـ ابن سعد : محمد سعد بن منيع الزهري
الطبقات الكبرى، الجزئين الخامس والسابع، دار صادر بيروت ١٣٧٧ هـ

٢٧ ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر
تاريخ الخلفاء، توزيع دار الثقافة / مكة المكرمة، تحقيق لجنة من الأدباء.

٢٨ ـ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير
تاريخ الرسل والملوك، الأجزاء : الرابع، الخامس، السادس، السابع، الطبعة الثانية، دار المعارف ـ مصر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢٩ ـ ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٨٠ م

٣٠ ــ **ابن عبد الحكم** : عبد الرحمن بن عبد الله
أ ــ فتوح مصر وأخبارها ــ ليدن ١٩٢٠ م
ب ــ فتوح مصر والمغرب ــ القاهرة ١٩٦١ م

٣١ ــ **ابن عبد ربه** : أحمد بن محمد
العقد الفريد الأجزاء : الثاني، الرابع، السابع ــ القاهرة ١٩٥٣ م

٣٢ ــ **ابن العديم** : كمال الدين
زبدة الحلب في تاريخ حلب تحقيق ونشر الدكتور سامي الدهان ١٣٨٠ هـ

٣٣ ــ **ابن عساكر** : علي بن الحسن
تاريخ دمشق، الجزء العاشر ــ دمشق ١٩٥٤ م

٣٤ ــ **العصامي** : عبد الله بن حسين بن عبد الملك
سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، الجزء الثالث، المطبعة السلفية ــ القاهرة.

٣٥ ــ **الفيروزأبادي** : مجد الدين
القاموس المحيط، الجزئين الثاني، الثالث، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ ترتيب الطاهر أحمد الزاوي

٣٦ ــ **القالي** : أبو علي إسماعيل بن القاسم
الأمالي، الجزء الأول، دار الفكر ــ بيروت

٣٧ ــ ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم
أ ــ الإمامة والسياسة « منسوب لابن قتيبة »
الطبعة الأولى ــ مصطفى الحلبي ــ القاهرة
ب ــ الشعر والشعراء، طبعة ليدن، مطبعة بريل ١٩٠٢ م
جـ ــ المعارف، الطبعة الثانية، دار المعارف ــ مصر، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة

٣٨ ــ القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي
مآثر الأناقة في معالم الخلافة، الجزء الأول، عالم الكتب بيروت ــ تحقيق عبد الستار أحمد فراج

٣٩ ــ الكتبي : محمد بن شاكر
فوات الوفيات، الجزئين : الثالث، الرابع
تحقيق د. / إحسان عباس

٤٠ ــ ابن كثير : أبو الفداء الحافظ
البداية والنهاية، الجزء التاسع، دار الفكر ــ بيروت ١٤٠٢ هـ

٤١ ــ الكشي : محمد بن عمر
الرجال اسفند ١٣٤٨ هـ

٤٢ ــ الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف
كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين ــ بيروت ١٩٠٨ م

٤٣ ــ المــــاوردي : أبو الحسن علي بن حبيب
الأحكام السلطانية، الطبعة الثانية، البابي الحلبي ــ القاهرة ١٩٦٦ م

٤٤ ــ المبـــــــرد : أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
الكامل في اللغة والأدب، الجزء الأول، مكتبة المعارف ــ بيروت

٤٥ ــ المـــــراكشي : ابن عذاري
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزئين الأول، الثالث، الطبعة الثانية، دار الثقافة ــ بيروت ١٤٠٠ هـ ــ تحقيق : ليفي بروفنسال وزميله

٤٦ ــ المسعـــودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي
أ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثالث، دار الأندلس للطباعة والنشر ــ بيروت ١٣٨٥ هـ
ب ــ التنبيه والإشراف ــ القاهرة ١٩٥٧ م

٤٧ ــ المقـــــدسي : المطهر بن طاهر
البدء والتاريخ الجزء السادس طبع عام ١٩١٦ م

٤٨ ــ المقـــــري : أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى
نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، الجزء الثالث، دار صادر ــ بيروت ، تحقيق د. / احسان عباس

٤٩ ــ المقريــــزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار « المعروف بالخطط المقريزية » دار صادر بيروت.

٥٠ ــ ابن منظور : محمد بن مكرم علي
لسان العرب المحيط، الحزء الثاني، دار لسان العرب ــ بيروت، إعداد وتصنيف يوسف خياط وزميله

٥١ ــ ابن مهنا : أحمد بن علي بن الحسين
عمدة الطالب في أنساب آل طالب طبع عام ١٣١٨ هـ

٥٢ ــ ابن نباتة : جمال الدين
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، دار الفكر العربي ــ القاهرة ١٣٨٣ هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

٥٣ ــ اليعقوبـــــي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
المعروف باليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، دار صادر ــ بيروت ١٣٧٩ هـ

٥٤ ــ أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم « القاضي »
الخراج، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية ١٩٥٢ م

مصادر مجهولة المؤلفين

١ ــ **أخبار الدولة العباسية** دار الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ١٩٧١ م، تحقيق الدكتور / عبد العزيز الدوري وزميله

٢ ــ **تاريخ الخلفاء** طبع سنة ١٩٦٧ م

٣ ــ **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، الجزء الثالث، مكتبة المثنى ــ بغداد

ثانيا : المـــراجع

١ ــ أبو النصر : عمر
الأيام الأخيرة للدولة الأموية، المكتبة الأهلية ــ بيروت ١٩٦٢ م

٢ ــ أرسلان : شكيب
تاريخ غزوات العرب في فرنسا، مطابع نيلوس الحديثة بيروت

٣ ــ البستانـــي : بطرس
محيط المحيط، الجزء الثاني، مكتبة لبنان ــ بيروت

٤ ــ حتـــي : د. / فيليب حتى وزملاؤه
تاريخ العرب مطول، الجزئين الأول، الرابع. دار الكشاف والنشر والتوزيع ١٩٦٥ م.

٥ ــ الحجـــي : د. / عبد الرحمن علي
التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الطبعة الثانية، دار القلم ــ دمشق، بيروت ١٤٠٢ هـ

٦ ــ حسن : د. / حسن إبراهيم
أ ــ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الأول، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤ م

ب ـ زعماء الإسلام، مكتبة النهضة المصرية
١٩٦٦.

٧ ـ حسن : د. / علي إبراهيم
التاريخ الإسلامي العام مكتبة النهضة المصرية
١٩٧٢ م

٨ ـ حماده : د. / محمد ماهر
الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي
الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ـ بيروت
١٤٠١ هـ

٩ ـ الخضري : محمد
تاريخ الأمم الإسلامية، الجزء الثاني، الطبعة
الثانية، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٧٦ هـ

١٠ ـ الريس : د. / محمد ضياء الدين
الخراج في الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى،
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٩٥٧ م.

١١ ـ الزركلي : خير الدين
الأعلام، الجزء التاسع، الطبعة الثالثة، مكتبة
المثنى للطباعة والنشر والتوزيع

١٢ ـ زيادة : د. / محمود محمد
الدولة الأموية، مطبعة التأليف بالمالية بمصر
١٣٨٨ هـ

١٣ ـ زيدان : جورجي
تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الرابع، مطابع
دار الهلال ١٣٠٢ هـ

١٤ ـ سرور : د. / محمد جمال الدين
الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٣٨٦ هـ.

١٥ ـ سيدو : ل . م
تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر سنة ١٣٦٧ هـ

١٦ ـ الشبيبي : محمد رضا
مؤرخ العراق ابن الفوطي، الجزء الأول، مطبعة التفيض بغداد ١٣٧٠ هـ

١٧ ـ شلبي : د. أحمد
التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ م

١٨ ـ العبادي : د. / أحمد مختار
دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ١٩٨٢ م

١٩ ـ عثمان : فتحي
الحدود الإسلامية البيزنطية، الأجزاء : الأول، الثاني، الثالث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٢٠ ـ العش : د. / يوسف
الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٢ م

٢١ ــ العمـــــرو : د. / علي عبد الرحمن
أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، الطبعة الأولى، مطبعة الرجوي ــ القاهرة ١٣٩٩ هـ

٢٢ ــ عنــــان : د. / محمد عبد الله
دولة الإسلام في الأندلس، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة

٢٣ ــ فلهــــوزن : يوليوس
تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٩٦٨ م، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريداه

٢٤ ــ فيشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى ــ القاهرة ١٩٥٠ م ترجمة د. / زيادة وزميله

٢٥ ــ الكبيــــسي : عبد المجيد محمد
عصر هشام بن عبد الملك، مطبعة سلمان الأعظمي بغداد ١٩٧٥ م

٢٦ ــ كحالـــــة : عمر رضا
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٣٩٨ هـ

٢٧ ـ مايلـــــز : س . ب
الخليج بلدانه وقبائله، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة بعمان ١٩٨٢ م، ترجمة : محمد أمين عبد الله

٢٨ ـ محمـــــود : حسن أحمد محمود وزميله
العالم الإسلامي في العصر العباسي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي ـ القاهرة.

٢٩ ـ معلـــــوف : لويس
المنجد في اللغة والأدب، الطبعة التاسعة عشرة، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت.



المحتـــوى

والحمد لله رب العالمين


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com